



كتاب الخواتيم

(خواتيم مجالس الوعظ)

للإمام المُفسِّر الحافظ الفقيه الـمُتَفنن الأديب الشاعر واعظ الإسلام

أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي

(510-597هـ)

عُني به

د. عبد الحَكيم الأنيس

إدارة البحوث



الطَّبعَةُ الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

ISBN 978 - 9948 - 09 - 568 - 2

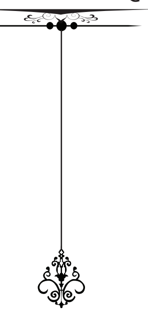
لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+ | فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+

الإمارات العربية المتحدة | ص. ب: ٣١٣٥ - دبي

mail@iacad.gov.ae | www.iacad.gov.ae



التدقيق اللغوي

شروق محمد سلمان







دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري
Islamic Affairs & Charitable Activities Department



كتاب الخواتيم

(خواتيم مجالس الوعظ)

للإمام المفسر الحافظ الفقيه المُتفنِّن الأديب
الشاعر واعظ الإسلام أبي الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزي البغدادي

(٥١٠-٥٩٧هـ)

عُنِيَ به

د. عبد الحكيم الأنيس

كبير باحثين أول بإدارة البحوث




بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــــد: فيسر « **دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي ـ إدارة البحوث** » أن تقدِّم إصدارَها الجديد « **كتاب الخواتيم** » للإمام المفسر المتفنن الأديب الشـــاعر واعظ الإسلام الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي، لجمهور القراء من السادة الباحثين والمثقفين والمتطلعين إلى المعرفة.

وقد جعلَهُ مؤلِّفه أربعين فصلاً.

تناولَ في الفصولِ الخمســةِ الأولى شيئاً مِنْ قصص آدم، ويوسف، وأيوب، وموسى، وداود.

ثم أوردَ خمســة وثلاثين فصلاً، يدورُ معظمُها حول معالجةِ أمراض النفس، والتوبةِ الصادقةِ، والاســتقامةِ، والإقبالِ على اللهِ، ومحبتــهِ، والخوف منه، وأداءِ الشعائر أداءً حقاً.

وأســلوبُ الشيخ رائق رائع، وقد استخدمَ المُحسِّــنات البديعية، وظهرتْ مهارتُهُ في الكلام أظهرَ ما يكون، ولا عجبَ في ذلك إذا علمنا أنه كان موهوباً في هذا الفنِّ، وأنه انتقى من كتبهِ الســابقةِ عليه أكثرَ كلامهِ حرارة، وأنه كان يصدر في ذلك عن قلب عامر، ولسان ذاكر.

وقد ذكَرَ شــعراً لأكثــر مِنْ (٨٠) شــاعراً، وهذا يدلُّ على ســعة اطلاعه ومحفوظه، وفيه كذلك مِنْ شعرِ نفسهِ .

وفرغ منه في يــوم الخميس (١٩) من ذي الحجة ســنة (٥٨١) بالمدرســة الشاطئية بباب الأزَج ببغداد.

ووصلت إلينا نسخة المؤلف نفسه، وعنها يطبع لأول مرة.

وهذا الإنجاز العلمي يجعلنا نقدم عظيم الشــكر والدعاء **لأسرة آل مكتوم** حفظها الله تعــالى التي تحب العلــم وأهله، وتؤازر قضايا الإســلام والعروبة بكل تميز وإقدام، وفي مقدمتها **صاحب الســمو الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتــوم**، نائب رئيس الدولة، رئيس مجلس الوزراء، حاكم دبي الذي يشــيِّد مجتمع المعرفة، ويرعى البحث العلمي، ويشجع أصحابه وطُلابه .

راجين من العلي القدير أن ينفع بهذا العمل، وأن يرزقنا التوفيق والســداد، وأن يوفق إلى مزيد من العطاء على درب التميز المنشود.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وســلَّم على النَّبي الأمي الخاتم سيّدنا محمد وعلى آله وصحبــه أجمعين.

إدارة البحــوث



المقدمة

الحمدُلله ربِّ العالمين، وأفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

وبعد: فقد كان الإمامُ أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي البغدادي أشهرَ واعظٍ في تاريخ الإسلام، وقد بُهِرَ به مَنْ حضرَهُ ورآهُ وسمعَهُ مِنَ السَّامعين والرَّحالة والمُؤرِّخين، مِنْ أهلِ عصره ومَنْ بَعْدَهم، وكان له صولاتٌ وجولاتٌ في بغداد على مدى سبعين عاماً[1]...

وقد ألّف في فنِّ الوعظ مؤلفاتٍ كثيرةً، وعدَّ له سبطُهُ في ذلك (٦٣) مُؤلَّفاً[2]، وهناك غيرُها[3].

---

(١) وحج سنة (٥٥٣هـ) فتكلّم في الحرم المكي نوبتين. انظر المنتظم (١٠/ ١٨٢).

(٢) انظر مرآة الزمان (٢٢/ ٩٩).

وهي ما بين مطبوعٍ ومخطوطٍ ومفقودٍ (أو متوار)، والمطبوعُ أكثر من عشرة، والمخطوط أكثر من عشرة أيضاً.

(٣) وقال عنه الشيخ ابنُ تيمية: «وله في الوعظ وفنونهِ ما لم يُصنَّفْ مثلُه». الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٩). =

وممّا ألَّفه في ذلك كتابٌ سمّاهُ: «المقاطع» انتقى فيه أشعاراً لطيفةً، تصلحُ لختام مجالس الوعظ، ثم رأى أنه يَصْلحُ أنْ يتقدَّمها ما يُلائمها من الكلام، لئلا تأتي مفردةً فلا يتبيَّن لها معنى، فألَّفَ هذا الكتاب الذي أُقدِّمُ له، وسمّاهُ: «الخواتيم» أي خواتيم مجالس الوعظ.

وهذا الكتاب انتقاهُ مِنْ مؤلفاتهِ السابقةِ، وآثرَ أنْ يكون المُنتقى مِنْ أقوى كلامه حرارةً، وضمَّ كلَّ شيءٍ إلى ما يَليق به، وهدفُهُ كما قال في مقدمته أنْ يكثرَ «عددُ الكؤوس المُسْكرة، فيُخلَّف سكرانُ الوجد طريحاً في الدار بعد رحيل السَّفْر».

وهذا يعني أنَّ كتاب «الخواتيمَ» يشتمل على كتاب «المقاطع»، فهما كتابانِ في كتاب، وهذا مكسبٌ كبيرٌ؛ لأنَّ «المقاطع» لم يصلْ إلينا.

وقد جعلَهُ أربعين فصلاً.

تناولَ في الفصولِ الخمسةِ الأولى شيئاً مِنْ قصص آدم، ويوسف، وأيوب، وموسى، وداود.

= وقال ابنُ كثير: «وتفرَّد بفنِّ الوعظ الذي لم يُسْبق إلى مثله، ولا يُلحق شأوه فيه، وفي طريقته، وشكله، وفي فصاحته، وبلاغته، وعذوبة كلامه، وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه، وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة بما يُشاهَدُ من الأمور الحسِّية، بعبارةٍ وجيزةٍ سريعةِ الفهم والإدراك، بحيث يَجمعُ المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة». البداية والنهاية (١٤/ ٤٦٦).

ثم أوردَ خمسة وثلاثين فصلاً، يدورُ معظمُها حول معالجةِ أمراض النفس، والتوبةِ الصادقةِ، والاستقامةِ، والإقبالِ على اللهِ، ومحبتهِ، والخوف منه، وأداءِ الشعائر أداءً حقاً.

توثيق نسبة الكتاب:

وصلَ إلينا هذا الكتابُ بخطِّ المؤلِّف.

وقد نسبَهُ إليه سبطهُ أبو المُظفر يوسف في «مرآة الزمان»[١].

والذهبي في «تاريخ الإسلام»[٢]، و«سير أعلام النبلاء»[٣].

والصفدي في «الوافي بالوفيات»[٤]. وغيرُهم.

تنبيه على خطأ في ذكر العنوان:

جاء في مَسْرد مؤلفات الشيخ في «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب: «النحاة الخواتيم»[٥].

---

(١) (٢٢/ ٩٩).
(٢) (١٢/ ١١٠٣)، ط دار الغرب.
(٣) (٢١/ ٣٦٩).
(٤) (١٨/ ١٩٠).
(٥) الذيل (٣/ ٤٢٠) من طبعة حامد الفقي، و(٢/ ٤٩٦) من طبعة الدكتور عبدالرحمن العثيمين.
ومثل ذلك في «المنهج الأحمد» (٤/ ٢٧)، و«الدر المُنضّد» للعُليمي (١/ ٣١٢).

وهــذان كتابــان، لا كتــاب واحــد، والصــواب: «النجــاة»[١]، «الخواتيم»[٢].

و جاء ذكره في «معجم الكتب»[٣] لابن المِبرد: «النجاة بالخواتيم» وهو خطأ أيضاً.

أسلوب الشيخ فيه:

أسلوبُ الشيخ رائق رائع، وقد استخدمَ المُحسِّنات البديعية، وظهرتْ مهارتُــهُ في الكلام أظهرَ مــا يكون، ولا عجبَ في ذلــك إذا علمنا أنه كان موهوباً في هذا الفنِّ، وأنه انتقى من كتبهِ الســابقةِ عليه أكثرَ كلامهِ حرارة، وأنه كان يصدر في ذلك عن قلب عامر ولسان ذاكر.

---

(١) وأرجح أنَّ «النحاة» تحريف، وقد ذكره السبطُ فيما لجدِّه مِنْ مؤلفاتٍ في الرياضات. انظر مرآة الزمان (٢٢/ ٩٨).

(٢) ذكرَ الأستاذ عبدالحميد العلوجي في كتابه «مؤلفات ابن الجوزي» ص ٥٣٤ هذا العنوان (النحاة الخواتيم)، وقال:
«ذكــره ابنُ رجب في الذيل على طبقات الحنابلة. ويبدو في هذا العنوان خلط، فقد ذكره سبط ابن الجوزي بعنوان (الخواتيم) وحسب».
أقول: ليس الخلط من ابن رجب، وإنما من الناشر الذي وضع قوساً واحداً للعنوانين. وليس في الأمر خلط أصلاً، فالنجاة (وليس النحاة) كتابٌ آخر لابن الجوزي.

(٣) ص ٨٥.



يقول الحافظ ابنُ رجب في ترجمته: «قال ابنُ النجار - بعد ذكرِهِ نبذةً مِنْ أسماء مُصنَّفاتهِ -: مَنْ تأمَّلَ ما جمعَهُ بانَ له حفظُه وإتقانُه، ومقدارُه في العلم.

وكان -رحمه الله- مع هذه الفضائل والعلوم الواسعة ذا أورادٍ وتألُّهٍ، وله نصيبٌ مِنَ الأذواق الصحيحة، وحظٌّ مِنْ شربِ حلاوةِ المُناجاةِ. وقد أشارَ هو إلى ذلك.

ولا ريبَ أنَّ كلامَه في الوعظِ والمعارفِ ليس بكلامِ ناقلٍ أجنبيٍّ مُجرَّدٍ عن الذوق، بل كلام مشاركٍ فيه.

وقد ذكر ابنُ القادسي في تاريخه: أنَّ الشيخ كان يقومُ الليل، ويصومُ النهار، وله معاملاتٌ، ويزورُ الصالحين إذا جنَّ الليل، ولا يكادُ يفترُ عَنْ ذكر الله»[١].

وقد طغى الشعرُ على النثر لِمَا قدَّمتُ أنَّ أصل الكتاب «المقاطع» وهو شعرٌ كله، ثم رأى أنْ يُضيف إليه ما يلائمه من الكلام.

وقد ذكَرَ شعراً لأكثر مِنْ (٨٠) شاعراً[٢]، وهذا يدلُّ على سعة اطلاعه

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٦).

(٢) وسيزيد العدد لو وقفنا على نسبة ما لم نقف عليه الآن.



ومحفوظه[١]، وفيه كذلك مِنْ شعرِ نفسهِ[٢].

ولم يَنسبْ هذا الشعر إلى قائليه مطلقاً، كما درَجَ على ذلك في كتبه الوعظية الأخرى -سوى «المُدهش»[٣]-، ولعله أرادَ أنْ يتفرَّغ القارئُ

(١) للشيخ كتابٌ سمّاه: «المُختار من الأشعار» في عشر مجلدات. مرآة الزمان (٢٢/ ٩٨).
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» في حوادث سنة (٥٨٩)، (١٤/ ٤٢٤-٤٢٥):
«وفيها أنفذ الخليفةُ الناصرُ العباسي إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي يطلبُ منه أنْ يزيدَ على أبيات عدي بن زيد المشهورة ما يناسبُها من الشعر، ولو بلغ ذلك عشر مجلدات، وهي هذه الأبيات:

أيها الشامتُ المُعيِّرُ بالدهر أأنتَ المُبرأُ الموفورُ؟
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ منَ الأيامِ بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خلَّدنَ أم مَنْ ذا عليه مِنْ أن يُضامَ خفيرُ؟
أين كسرى كسرى الملوك أبو ساسان أم أين قبله سابورُ؟
وبنو الأصفر الملوكُ ملوكُ الروم لم يبق منهمُ مذكورُ
وأخو الحَضْر إذ بناهُ وإذ دجلة تُجبى إليه والخابورُ
شادهُ مرمراً وجللهُ كلساً فللطيرِ في ذُراهُ وُكورُ
لم تهبه ريبُ المنونِ فزالَ الملكُ عنه فبابهُ مهجورُ
وتذكَّرْ ربَّ الخَوَرنقِ إذ أشرفَ يوماً وللهُدى تكفيرُ
سرَّهُ حالُهُ وكثرةُ ما يَملكُ والبحرُ مُعْرِضاً والسديرُ
فارعوى قلبُهُ وقالَ وما غبطةُ حيٍّ إلى المَماتِ يصيرُ؟
ثم بعدَ النعيم والمِلك والنهي والأمر وارتهمُ هناك قبورُ
ثم أضحوا كأنهمْ أورقٌ جفَّتْ فألوتْ بها الصَّبا والدَّبورُ
غيرَ أنَّ الأيامَ تختصُّ بالمرءِ وفيها العظاتُ والتفكيرُ».

(٢) عرفتُ هذا لقيامي بجمع شعرهِ مِنْ قبل، وللشيخ: «ما قلتُه مِنَ الأشعار. جزء» (انظر الذيل لابن رجب ٢/ ٤٩٥)، ولم يصل إلينا، أو هُوَ مُتوارٍ في مكانٍ ما.

(٣) وهل النسبة فيه مِنَ المؤلف أو مِنْ غيره؟ يُنظر ويُبحث، فقد وُجدَتْ في بعض النسخ دون بعض.

للمعنى، ولا يشتغل بالقائل، وربما ليسوغَ له التصرُّف.

وهذا الشعرُ عموديٌّ، ودوبيت، وفيه مِنْ «كان وكان» بيتان فحسب[١].

وأكثرُ مَنْ ذَكَرَ له شعراً: مهيار الديلمي (ت:٤٢٨هـ)، ثم الشريف الرضي (ت:٤٠٦هـ)، ثم صرَّدُر (ت: ٤٦٥هـ)، والثلاثة بغداديون.

وهو يختار مِنْ قصائد، ولا يلتزمُ تسلسلَ المُختار، وقد يُقدِّم ويُؤخِّر.

وقد يتصرَّفُ في الألفاظ، ومِنْ ذلك تغييرُ ضميرِ المُؤنَّث إلى مُذكَّرٍ أو جَمْعٍ.

ويكرِّرُ بعضَ الأشعار.

ولحظتُ أنه مزَجَ بين شعرِ شاعرين في أكثرَ مِنْ خمسة عشر موضعاً!

وأبرزُ ما يُسَجَّلُ هنا أنه حوَّلَ ما أوردهُ من الشعر إلى وجهةٍ أخرى غير ما قصدَهُ الشاعرُ... وهذا مقصدٌ جميلٌ، وبراعةٌ واضحةٌ.

وهو يوظف هذا الشعر حسب إشاراته، ومن اللطائف ما قاله ابن خلكان في ترجمة الشاعر البارع ابن المعلم الواسطي: «وحُكيَ عن ابن المعلِّم المذكور أنه قال: كنتُ ببغداد، فاجتزتُ يوماً بالموضع الذي يجلس

(١) والبيتان له من كتابه «لقط الجمان في كان وكان».

فيه أبو الفرج ابن الجوزي للوعظ، فرأيتُ الخلق مزدحمين، فسألتُ بعضهم عن سبب الزحام فقال: هذا ابن الجوزي الواعظ جالس، ولم أكنْ علمتُ بجلوسه، فزاحمتُ وتقدَّمتُ حتى شاهدتُهُ وسمعتُ كلامَهُ وهو يعظ، حتى قال مستشهداً على بعض إشاراته: ولقد أحسنَ ابنُ المعلِّم حيث يقول:

يزدادُ في مسمعي تكرارُ ذكركمُ طِيباً، ويحسُنُ في عيني تكرُّرُهُ[١]

فعجبتُ من اتفاقِ حضوري واستشهادِهِ بهذا البيت من شعري، ولم يَعلم بحضوري لا هو ولا غيره من الحاضرين.

وهذا البيتُ مِنْ جملة قصيدة له مشهورة»[٢].

تاريخ التأليف ومكانه:

علمنا مِنْ ختام النسخة أنَّ المُؤلِّف فرغ منه في يوم الخميس (١٩) من ذي الحجة سنة (٥٨١) بالمدرسة الشاطئية[٣] بباب الأزَج[٤].

وهذه المدرسة وقفَتْها جهةُ الخليفة المُستضيء «بَنَفشه»[٥] سنة (٥٧٠هـ)،

(١) وهذا البيت مِنْ قصيدةٍ ذَكَرَ هنا بعضَ أبياتها في الفصل (١٨).

(٢) وفيات الأعيان (٥/ ٨).

(٣) في كتاب «الكتاب العربي المخطوط» للدكتور أيمن فؤاد سيد (٢/ ٥٧٦): «الشاطبية» لأنَّ الكلمة غير منقطة في الأصل. وهو خطأ.

(٤) يُعْرَفُ باب الأزج الآن بباب الشيخ.

(٥) «بَنَفشه» اسمٌ فارسيٌّ يعني زهرة البنفسج. أفاده الشيخ نظر الفاريابي.

وسلَّمتها إلى ابن الجوزي، وكان يومُ افتتاحها يوماً مشهوداً[١].

وكانتْ إقامةُ الشيخ فيها إلى حين نفيه إلى واسط سنة (٥٩٠هـ).

وقد تجاوزَ عمرُه حين فراغهِ مِنْ هذا الكتاب السَّبعين من العمر.

مصادره:

ذكَرَ المُؤلِّفُ في مقدمته أنه سَبَقَ له في فنِّ الوعظ كتبٌ، وأنه آثرَ أنْ ينتقي مِنْ أقوى الكل حرارة... ولم يُصرِّحْ بعناوين تلك الكتب، وهي كثيرة، ورأيتُ جملاً وعباراتٍ ممّا جاء هنا في كتبه: «التبصرة»، و«اللطف»، و«المنثور»، و«موافق المرافق»، و«الياقوتة»، و«المواعظ والمجالس»[٢]، و«المُطرب»[٣].

ونجدُ كثيراً مِنْ أخبار الصالحين الواردة هنا في كتابهِ «صفة الصفوة».

أما مصادره في الشعر فيمكن تخمينها مِنْ مصادر تخريجه.

وانظر عنها «سيدات البلاط العباسي» للدكتور مصطفى جواد.

(١) انظر المنتظم (١٨/ ٢١٠).

(٢) هكذا طُبِعَ هذا الكتاب ولا بُدَّ أنَّ له عنواناً مميزاً، وقد سُمِّيَ في بعض مخطوطاته بـ: «هادي النفوس إلى الملك القدوس»، وهذا العنوانُ غريبٌ أيضاً لم يُذكرْ في قوائم مؤلفات الشيخ.

(٣) وكلها مطبوعة عدا «المُطرب».

أثره فيما بعده:

نجدُ أثَرَهُ في كتاب المُؤلِّف «المُدهش» الذي فرَغَ منه بعد عشرِ سنواتٍ مِنْ تأليفه هذا الكتاب[1].

وفي كتبِ الشيخين ابنِ القيمِ، وابنِ رجب إفادةٌ واضحةٌ مِنْ كلامِ الشيخ أبي الفرج، ومنه ما هو في «الخواتيم»، و«المُدهش».

النسخة المعتمدة:

هي نسخة المُؤلِّف كما سبقَ ذكرُه، وقد جاء في غلافها بخطه:

«مِنْ كلامِ عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي وتأليفِهِ نفعه اللهُ بالعلمِ آمين».

وقد ضَرَبَ على سطورٍ في خمس عشرة ورقة[2]، وكتبَ في الحواشي[3]، فهل هي مسودةٌ لم يُبيّضها، أو بيَّضها ثم بدا له أنْ يُغيّرَ فيها؟ اللهُ أعلمُ،

(١) جاء في آخر «المدهش» (٢/ ٧٦٤): «فرَغَ منه ناظمُه عبدُالرحمن بن علي بن الجوزي يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وخمس مئة، حامداً الله سبحانه، ومصلياً على رسوله محمد وعلى آله ومسلماً...».
وفي هذا التاريخ كان -رحمه الله- منفياً في واسط.

(٢) انظر الأوراق (٤، ٥، ٧، ١٠، ١٤، ٢٤، ٣٧، ٤٢، ٤٥، ٥٢، ٥٦، ٥٩، ٦١، ٦٨، ٦٩)، الفصول (١، ٢، ٣، ٥، ٧، ١٣، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٨، ٣٩).

(٣) انظر الأوراق: (١٣، ٢١، ٢٤، ٣٨، ٤٥، ٤٧، ٥٧، ٦٨).

ولكنْ يبدو مِنْ كثرة التعديلِ والكتابةِ على الحواشي أنها مسودة، وربما لم يجدْ حاجة لتبييضها...

وهذه النسخة أهداها المُؤلِّفُ إلى ولده يوسف الذي وُلِدَ سنة (٥٨٠هـ)، وقد جاء على غلافها:

«هذا الكتاب ملكٌ لولدي أبي محمد يوسف نفعَهُ اللهُ، وبلَّغَهُ الأملَ. وكتب ابنُ الجوزي».

ولا ندري متى كتبَ هذا، وقد كان ليوسف حين فرغَ والدُه منه سنةٌ واحدةٌ، وقولُه: «نفعهُ الله وبلغهُ الأمل» يُشْعِرُ أنه كان حينَ الإهداءِ يطلبُ العلمَ وله أملٌ، ولعل ذلك كان بعد عودة الشيخ مِنْ منفاه في واسط سنة (٥٩٥هـ).

وفي خطِّ الشيخِ ظواهر إملائية، يُمكن إفرادُها بالذكر، فهو لا يضعُ ألفاً بعد واو جماعة الفعل، ولا ينقطُ الياء في آخر الكلم، ولا يضعُ همزة في أوله.

ويكتب: «بكى»: «بكا».

ومِنْ ذلك أنه كتبَ: «يئستُ» هكذا: «ياءست» مِنْ غير تنقيط.

والتزم تمييز الحاء بحاء صغيرة تحتها.

وقد ضبط كثيراً من الحروف، ورأيتُ في بعض المواضع نقطاً أو ضبطاً فيه نظرٌ، ولعله مِنْ قارئٍ نظرَ في الكتاب، والله أعلم.



كما أنَّ بعضَهم أضافَ كلمة «شــعر» عند الشــعر في الفصول العشرة الأولى بقصد تمييزِهِ، ثم ترَك.

وتقع النسخة في (٧٠) ورقة.

وكان السبطُ يوسفُ، وابنُ رجب، وابنُ المِبْرد، والعُليمي، قد نصُّوا على أن الكتاب جزآن، ولم أجد في هذه النسخة تجزئة.

نسختان للكتاب لم نرهما:

جاء على الغلاف تحت قولِ المُؤلف:

«هذا الكتاب ملكٌ لولدي أبي محمد يوســف نفعَــه اللهُ، وبلَّغهُ الأملَ. وكتبَ ابنُ الجوزي»:

«نقله عليٌّ داعياً لمالكهِ ببلوغِ أمله».

وعليٌّ هذا -فيما أرجِّحُ- هو ابنُ المُؤلِّف، وُلد ســنة (٥٥٠)، وتوفي سنة (٦٣٠)، وهو الــذي كتبَ له والدُه «لفتة الكبــد في نصيحة الولد»، وكان ناسخاً، ووَصَلَ إلينا مِنْ مؤلفاتِ والدهِ بخطه: «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات»، و«رؤوس القوارير»[1].

(١) وكلاهما في تركيا.

وجاء في آخرِ النسخةِ تحت قولِ المؤلِّف:

«فرغَ من هذه النسخة ناظمُهُ[١] عبدُالرحمن بنُ علي بنِ محمد بنِ الجوزي في يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة مِنْ سنة إحدى وثمانين وخمس مئة، بالمدرسةِ الشاطئيةِ ببابِ الأزَج حامداً لله ومُصلِّياً على رسوله محمد وآله أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل»:

«كتبهُ أجمع أحمدُ بنُ محمد بن عبدالله الموصلي عفا اللهُ عنه وعن المسلمين أجمعين».

وهاتان النسختان - نسخة عليّ ابن الجوزي، وأحمد الموصلي - لا أعرفُ عنهما شيئاً الآن.

رحلة النسخة، وموضعها الآن:

-جاء في الورقة الأخيرة آخر النسخة:

«تُوفي الشيخ نجيب الدين يعقوب[٢] [نسبة لم أستطعْ قراءتها]

(١) هذه الكلمة لا تعني أنه شعر، ويُفسرِّها قولُ المؤلف في أول الكتاب: «كتاب الخواتيم مِنْ كلام عبد الرحمن ... وتأليفهِ».

(٢) أقول: وهذا الرجل مترجم في «البداية والنهاية» في وفيات هذه السنة (٦٢٣هـ) (١٥/ ١٥٧).

ونص ترجمته:

«ياقوت -ويقال له يعقوب بن عبد الله- نجيب الدين، متولي الشيخ تاج الدين الكندي، وقد وقف إليه الكتبَ التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق، =

قدَّسَ اللهُ روحه في يوم الأحد غرة رجب المبارك سنة ثلاث وعشرين وست مئة ببغداد المحروسة، وصلى عليه الشيخُ [فراغ في الأصل] ودُفِنَ بمشهدِ أبي حنيفة رحمه اللهُ تعالى».

ويعقوب هذا من أهل الشام، وربما دلَّ هذا على وجود النسخة آنذاك في الشام، فكأنَّ كاتبَ هذا شاميٌّ، وقد يشهدُ لهذا أنه بيَّضَ لاسم الشيخِ الذي صلّى على المُتوفَّى، ولو كان حاضراً لما غابَ عنه معرفة اسمِهِ.

لكنْ يبرزُ هنا سؤالٌ وهو أنَّ مالك النسخة يوسفَ ابنَ المُؤلِّف كان حيّاً في ذلك التاريخ[1]، فهل يسمحُ بخروجِ النسخة من يده؟

-ونجدُ على الغلاف تملكاتٍ، منها هذا التملك:

«ممّا تبرك بملكه الفقيرُ إليه سبحانه مصطفى القاضي بمصر المحمية».

= وكانت سبع مئة وأحد وستين مجلداً، ثم على ولده مِنْ بعده، ثم على العلماء، فتمحقتْ هذه الكتب، وبِيع أكثرُها.
وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة، وأدب، وشعر جيد.
وكانت وفاتُه ببغداد في مستهل رجب، ودفن بمقبرة الخيزران بالقرب مِنْ مشهد أبي حنيفة».
تعليق: ياقوت أو يعقوب هذا هو مُعتق الكندي، فلعل الصواب: مولى. انظر ترجمة الكندي في البداية والنهاية (١٥/ ٧٣).

(١) ثم قتله هولاكو مع الخليفة المستعصم على باب بغداد سنة (٦٥٦هـ).

وهذا يعني أنّ النسخة آلتْ إلى مصر في بعض أدوارها.

-وهـي ترقـدُ الآن في مكتبة إنابي في بورصـة في تركيا ضمن مجموعة «حسين چلبي»، برقم (٤٣٥)[1].

عملي في الكتاب:

- قمتُ بعد نسـخِ الكتاب بمقابلةِ النَّص، وحلِّ مُشـكلاته، فالكتاب -وإنْ كان بخطِّ المُؤلِّف- إلا أنه كان يدعُ حروفاً كثيرةً بلا تنقيط، وقد يصلُ الحروفَ بعضها ببعض.

وقد وقعَ له سهوٌ في بعض المواضع، كما ترى التنبيهَ عليه في الحواشي.

وأصابَ النسـخةَ مـاءٌ في بعض الكلـمات، وصعبتْ قـراءةُ كلماتٍ؛ لكتابتها بخطٍّ ناعمٍ بين السطور، أو على الحواشي، فنالَ منها مقصُّ التجليد، أو التصوير.

- قمتُ بتفتيحِ الكتابِ وتنسيقهِ تنسـيقاً يُسهِّل قراءتَهُ والاندماجَ فيه، والإفادةَ منه.

(١) وقد ذكرَ هذه النسخة الأستاذ رمضان ششن في كتابه «مختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا» ص ٤٠. فله الشكر.

- وضبطتُهُ نثراً وشـعراً ليدرج القارئُ في قراءتـه، ويتوجهَ إلى المَعنى توجُّهاً سريعاً.

- عزوتُ الآيات، والأحاديثَ، والآثار -وهي قليلة-.

وقد تسامحَ بإيراد بعض الأخبار عن أهل الكتاب.

- بحثتُ عن قائلي الشعر، ونسبتُ ما عرفتُ قائله، وما لم أعرفه سكتُّ عنه.

ولم أستقصِ اختلافَ الألفاظ، فليس هذا موضعه، وقد يعودُ هذا الاختلافُ إلى الرواية، أو إلى تصرُّفِ النُّساخ، أو إلى تصرُّفِ المؤلِّف، لينسجمَ مع ما يريدُ من الاستشهاد به، وقد يكون تصرفاً غيرَ مقصود أحياناً، وإنما حصلَ بسبب كثرة محفوظهِ وتداخلِ الألفاظِ فيما بينها وتعاقبِها.

ولعله استجازَ التصرُّف لأنه لم يَنسبْ هذه الأشعار إلى قائليها، فخرجَ عن سياق الرواية.

وقد أبينُ أرقامَ الأبيات المُختارة ليأخذ القارئُ تصوّرَاً عن طريقته.

وبينتُ ما حصلَ فيه مزجٌ، وهو مِنْ شعر شاعرين، وذلك في أكثر مِنْ خمسة عشر موضعاً. والبيانُ بوضعِ نجماتٍ تفصلُ بين الممزوج، وبالتعليق.

-عرَّفتُ بالأعلام، عدا الصحابة -وهم أكثر مِنْ سبعين علَماً- تعريفاً يليق بهذا الكتاب، ولم أطلْ، ومعظمُهم من رجال «صفة الصفوة»[١]، فرأيتُ أن يكون العزو إليه، وهو عزوٌ للترجمة، وللخبرِ الواردِ عن المُترجَم.

-لم أعرِّفْ بالأماكن الواردة في الشعر، ويُطلَبُ هذا مِنْ مصادرِه، وقد لا يكون الموضعُ المذكورُ مقصوداً لذاتِه، وإنما أصبحَ رمزاً لشيءٍ مُعيّنٍ.

-قد يكون في بعض ما قاله المؤلِّفُ نظرٌ، أو وجهةُ نظرٍ أخرى، ولا حرجَ في ذلك، إذا كان بالدليلِ، وبالتعبيرِ المُناسبِ لأقدارِ العلماء.

وقد علقتُ على شيءٍ من ذلك، كقولهِ بأنَّ الذبيحَ إسحاق.

-ترجمتُ للشيخ ترجمةً موجزةً، وقد قال ابنُ رجب رحمه الله: «ذكرَه العمادُ الكاتب في «الخريدة»، وابن خلكان، والحموي، وابنُ النجّار، وأبو شامة، وغيرهم، وأثنوا عليه مع أنَّ اشتهارَهُ بالعلوم والفضائل يُغني عن الإطناب في ذكرِه، والإسهابِ في أمرِه، فلقد بلغَ ذكرُهُ مبلغَ الليل، وسارتْ بتصانيفِهِ الركبانُ إلى أقطارِ الأرض، وانتفعَ الناسُ بها انتفاعاً بيناً»[٢].

---

(١) وقد خصَّ المؤلفُ عدداً منهم بكتبٍ كعمر بن الخطاب، وعمر بن عبدالعزيز، والحسن البصري، والفُضيل بن عياض، ورابعة، ومعروف الكرْخي، وبشر الحافي.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٨٦).

ونسألُ اللهَ أن ينفع بهذا الكتاب، وأنْ يتقبلَ الجهدَ المبذولَ فيه، والحمد لله ربِّ العالمين.

عبد الحكيم الأنيس

دبي: ١٦ من صفر الخير ١٤٣٨هـ[١]



(١) وبهذا يكون قد مرَّ على تأليفِ الكتاب وخطِّ الشيخ فيه (٨٥٧) سنة. وصدَقَ الشيخُ المؤلفُ إذ يصفُ الكتابَ بالولدِ المُخلد.



ترجمة المؤلف

هو الإمامُ الكبيرُ «عالمُ العـراق، وواعظُ الآفاق، المُكْثِرُ المُعْجِبُ، نادرةُ العالم، حجةُ الإسـلام»[١] العلامـة المُتفنِّن أبو الفرج عبـد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي، مِنْ ذرية أبي بكر الصديق.

وُلِدَ في بغداد سنة (٥١٠هـ)[٢]، ونشأ فيها، وطلبَ العلم باعتناء عَمَّتِهِ، إذ توفي أبوه وهو صغير.

وأخـذ العلمَ عن كثيريـن، ذَكَرَ منهم في «مشـيخته» (٨٦) شـيخاً، وثلاث شيخات.

ووعظَ وهو صغير، واعتنى بذلك حتى أصبحَ واعظَ الإسلام الأشهر، وترَكَ في هذا الفن مؤلفات رائعة.

وألّفَ في فنون العلم أكثرَ من (٣٤٠) مؤلَّفاً.

ودرَّس في عددٍ من مدارس بغداد.

وبنى لنفسه مدرسةً وقَفَ عليها كتبَه.

وتُوفي في ١٢ من شهر رمضان سـنة (٥٩٧هـ)، ودُفِنَ في مقبرة الإمام أحمد بن حنبل في باب حرب، وكان يوم تشييعه ودفنه يوماً مشهوداً، شاركتْ

(١) وصفه بهذا الكتانيُّ في «فهرس الفهارس» (١/ ٣٠٨).

(٢) وقيل غير ذلك.



فيه الأُلوف المؤلفة[١].

وقد أثنى عليه المؤرِّخون ثناء كبيراً، وأذكر هنا شهادة ثلاثةٍ منهم:

- قال المؤرِّخ ابن أبي الدم (ت:٦٤٢هـ):

«إمامُ وقته في علم الوعظ، والحديث، والجرح والتعديل، والتفسير، والتاريخ والسِّير، والفقه على مذهب أحمد بن حنبل.

صنَّفَ في كلِّ علم، وطبَّق الأرضَ ذكرُهُ، واشتهرتْ تصانيفه.

وكان من الفضل والعلم بمكانٍ عالٍ، وأمّا علمُ المواعظ وموادُّه فهو مُسَلَّمٌ إليه»[٢].

- وقال سبطُهُ يوسف (ت:٦٥٤هـ):

«صنَّفَ الكتبَ في فنون كثيرة، وحضرَ مجالسَهُ الخلفاءُ والوزراءُ والعلماءُ

---

(١) له تراجم كثيرة، انظر: خريدة القصر (ج٣م١ص٢٦٠)، والتقييد (٢/ ٩٧)، والكامل (٧/ ٤٥٢)، والتاريخ المُظفري (الورقة ١٨٩)، ومرآة الزمان (٢٢/ ٩٣)، والتكملة (١/ ٣٩٤)، ومشيخة النَّعال البغدادي ص (١٤٠)، والمُذيل على الروضتين (١/ ١٠٠)، والجامع المختصر (٩/ ٦٥)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٤٠)، وآثار البلاد (ص٣٢٠)، والمختصر في أخبار البشر (٣/ ١٢٦)، ومشيخة قاضي القضاة ابن جماعة (١/ ٩١)، وتاريخ الإسلام (٤٢/ ٢٨٧)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٢)، والعبر (٣/ ١١٨)، والمختصر المحتاج إليه ص (٢٣٧)، والمُستفاد ص (١١٦)، وتاريخ ابن الوردي (٢/ ١٦٩)، والوافي بالوفيات (١٨/ ١٨٦)، ومرآة الجنان (٣/ ٤٨٩)، والبداية والنهاية (١٣/ ٢٨)، والذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٤٥٨)، وتاريخ ابن الفرات (م٤ج٢ص٢١٠) وغيرها.

(٢) التاريخ المظفري (الورقة ١٨٩).

والأعيانُ، وأقل ما كان يَحضرُ مجلسَه عشرةُ آلاف، وربَّما حضرَ عنده مئةُ ألف، وأوقع اللهُ له في القلوب القبول والهيبة.

وكان زاهداً في الدنيا مُتقلِّلاً منها.

وسمعتُهُ يقولُ على المنبر في آخر عمره: كتبتُ بأصبعيَّ هاتين ألفي مجلد(١)، وتابَ على يدي مئةُ ألف، وأسلمَ على يدي ألفُ يهودي ونصراني.

وكان يَجلس بجامعِ القصر(٢)، والرُّصافةِ، والمنصورِ(٣)، وبابِ بدر(٤)، وتربة أم الخليفة(٥)، وغيرها.

وكان يختمُ القرآنَ في كلِّ سبعة أيام.

ولا يخرجُ من بيته إلا إلى الجامع للجُمُعة والمجلس(٦).

وما مازَحَ أحداً، ولا لعِبَ مع صبي، ولا أكلَ مِنْ جهةٍ حتى تيقَّن حِلَّها، وما زالَ على ذلك الأسلوب حتى توفّاه الله تعالى»(٧).

---

(١) مِنْ تصانيفهِ، وتصانيفِ غيره.

(٢) جامع الخلفاء اليوم.

(٣) جامعا الرُّصافة والمنصور لا آثارَ لهما اليوم.

(٤) مِنْ أبواب دار الخلافة العباسية.

(٥) تُعرفُ اليوم بقبر زبيدة خطأ.

(٦) قال الذهبي مُعلقاً على هذا في «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٧٠):
«فما فعلتْ صلاةُ الجماعة؟».
أقولُ: في المدارسِ العلميةِ مساجد، والظاهرُ أنه كان يُصلِّي فيها مع طلابهِ وتلاميذهِ.

(٧) مرآة الزمان (٢٢/ ٩٤).

ومن المهم أنْ نتوقفَ عند قولــه: «ولا أكلَ من جهةٍ حتى تيقَّن حِلَّها» فهــذا -واللهُ أعلمُ- وراء ما كتبه اللهُ له مِــنْ قبول، وما جعله له من تأثيرٍ في سامعيه، وفي قارئيه، إلى اليوم.

- وقال الإمام الذهبي (ت:٧٤٨هـ):

«الشــيخُ الإمامُ العلامة، الحافظُ المفسِّرُ، شيخُ الإسلام، مفخرُ العراق، جمالُ الدين...

وكان رأســاً في التذكير بلا مدافعة، يقولُ النظــمَ الرائق، والنثرَ الفائق بديهاً، ويُسْــهِبُ، ويُعْجِبُ، ويُطْرِبُ، ويُطْنِــبُ، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حاملُ لــواء الوعظ، والقيِّمُ بفنونه، مع الشــكلِ الحســنِ، والصوتِ الطيِّبِ، والوقعِ في النفوس، وحُسْنِ السيرة.

وكان بحراً في التفســير، علامة في السِّــير والتاريخ، موصوفاً بحُسْــنِ الحديث، ومعرفة فنونه، فقيهاً، عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشــاركة في الطــب، ذا تفنُّنٍ وفهمٍ وذكاءٍ وحفظٍ واســتحضارٍ، وإكبابٍ على الجمع والتصنيف، مع التصوّن والتجمُّل، وحُسْــنِ الشــارة، ورشــاقةِ العبارة، ولطفِ الشمائل، والأوصافِ الحميدة، والحرمةِ الوافرة عند الخاصِّ والعامِّ، ما عرفتُ أحداً صنَّفَ ما صنَّفَ»[١].

❁ ❁ ❁

(١) سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥ و٣٦٧).



نماذج من المخطوط

كتاب الخواتيم

من كلام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

هذا الكتاب ملك لولدي أبي محمد يوسف نفعه الله وبلغه الآمال وكتب ابن الجوزي

الحمد لله رب العالمين

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا





بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

الحمد لله على التحميد والشكر له على التوحيد وصلواته على أشرف العبيد محمد وصحبه على الأمر الرشيد صلاة توجب لهم نهاية المزيد وسلم تسليما طول التخليد لما كان مجلس الوعظ ينبغي أن يكون أشده حرارة وأزعاجا آخره وضعت كتابا سميته المقاطع تثبت فيه أشعارا لطيفة تصلح لختام المجالس ثم إني رأيت أنه يصلح أن يتقدمها ما يلائمها من الكلام لئلا تأتي مفردة فلا يتبين لها معنى وقد سبق لي في هذا الفن كتاب إلا أني آثرت أن أنتقي من أقوى الكل حرارة وأضم كل شيء إلى ما يليق به ليكثر عدد الكؤوس المسكرة فيخلف سكران الوجد طريحا في الدار بعد رحيل السفر وقد جعلتها أربعين فصلا والله الموفق

الفصل الأول في ذكر آدم عليه السلام

لما أريد خلق آدم قيل للملائكة يا معجبين بعباداتهم اطلعوا من خوخات صوامعكم وانظروا ما أصنعه أخذت قبضة من تراب فصببت عليها قطرات من ماء مرج البحرين بالتقبيل فنفخت الروح في صدف الباطن فجاء طفل التعلم يدرس لوح التفهم فقلت أنبئهم

والذى بالبين والبعد بلانى ما جرى ذكر الحمى الا شجانى

حبذا أهل الحمى من ساكن شفنى الشوق اليهم وبرانى

كلما رمت سلوا عنهم جذب الشوق اليهم بعنانى

احسد الطير اذا طارت الى ارضهم او اقلعت للطيران

اتمنى اننى اصحبها نحوهم لو اننى أعطى الأمانى

لا تزيدونى غراما بعدكم جل الحزن بعدكم ما قد كفانى

ذهب العمر ولم احظ بكم وتقضى فى تمنيكم زمانى

يا خليلى احفظا عهدى الذى كنتما قبل النوى عاهدتمانى

واذكرانى مثل ذكرى لكما فمن الانصاف ان لا تنسيانى

وسلا من انا أهواه على اى جرم صد عنى وجفانى

لما اشتد بكاؤه ودام اتاه الوحى ما هذا البكا الذى بك فأجاب

لسان حاله

ما رحلت العيس عن ارضكم فرأت عيناى شيا حسنا

هل لنا نحوكم من عودة ومن التعليل قولى هل لنا

قد شجانا الياس من بعدكم فعدونا باحاديث المنى

يا نديمى على ذكرهم وحديث الشوق قد اسكرنا

ولعمرى لو وجدنا راحة من هواكم لطلبنا شجنا



أنظر الورق في الأيك تغني ايها النضر جزتنا مثل حزني

لا اراك الله نجد ابعدها ايها الحادي بنا ان لم تجبني

هل ثنا بني الحي بث الجوى في ديار الحي سوى دار غصن

هب لها السوق ولكن رادنا اننا نبكي عليها وتغني

بازمان الخيف هل من عودة يبسم الدهر بها من بعد ضن

ارضينا هذه نبات اللوى عن زرود بالها صفقة غبن

سل اراك الجزع هل مرت به مزنة رقت تراه غير جفني

واحاديث الغضا هل علمت انها تملك قلبي قبل اذني

ما انتفع ادم في بليته وعصى بكمال وعلم ولهذا دعته عن اسجدو وامداخلته ذل ظلمناه ما زال مدنزل يروع قصص الغصص تحملها انفاس الاسف

الا يا نسيم الريح من ارض بابل تحمل الى اهل الحجاز سلامي

واني لأهوى ان اكون بارضهم على انني منها استفدت سقامي

الفصل الثاني في ذكر يوسف عليه السلام

الانبيا دار فرقة حكم في جرع لذا انفاسه شوقه عاش منها

الطرف على الحب باك والجسم كاروون بالي

والهجر ملازمي فما انفك عني وما احتيالي

الصبر عن الحب صبر والوصل اذا طلب عالي

امسيت لحبه وشوقي لا انساه مدى الليالي

الفصل التاسع والعشرون

سبب صلاح الدين رقة القلب والقساوة معصية قوية قال

مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب

شعر

قد اصبحت قلوبنا قاسية يابى لها السقا ان يلينا

تغرنا الدنيا كانا لا نرى وجه الغرور ظاهرا مبينا

كم قد ظننا انها تبقى لنا وعن قريب يكذب الظنونا

ولونه الشباب مستحسنة وكف من قد جاوز الستينا

لما رقت قلوب الصالحين رقت الدموع الى العيون تجري

اسفا على تبذير الزور ٥ يا هذا الوقت ما فاتك صار

عيشك عينا بالبكا ٥ اسفا المهجور ما اطوله الهجر والطرود

ما اكثر بالطرد

يا اللهم سادتي تغري لي من قطع من وصالكم اسالي

الهجر من جميع الصاب اليوم ولا قطعتها الاحبات



من يرجع دهرنا بأرض الجزع بين الأثلات والربا في سلع
والصبر وليس ذا في وسعي يا حزن أقم وأنت سر يا دمعي
كم أشكو وأين تنفع الشكوى ولا قل تصبري وحل البلوى
إلى حلا على جفاكم تقوى أهوى ولقى إذا جفيتم أهوى
إن كان بكاي في هواكم يجري أو حسبتها القسم منه خزي
أو كنتم ترضون بالجفا والصد سلمت لأمركم وهذا جهدي

آخر الكتاب والحمد لله

فرغ من هذه النسخة بطوبة عبد الرحمن علي محمد الحوري في يوم الخميس تاسع عشر ذي الحجة سنة إحدى [illegible] بالمدرسة [illegible] حامداً لله ومصلياً على رسوله محمد وآله أجمعين وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتبه أحمد بن محمد بن عبد الله الموصلي عفا الله عنه وعن [illegible] المسلمين أجمعين

الله مولى السرائر

توفي الشيخ مجد الدين يعقوب اللمداني [illegible] في يوم الأحد غرة رجب المبارك سنة [illegible] وصلى عليه الشيخ ودفن بمشهد الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى



كتاب الخواتيم

(خواتيم مجالس الوعظ)

للإمام المفسر الحافظ الفقيه الـمُتفنِّن الأديب
الشاعر واعظ الإسلام أبي الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزي البغدادي

(٥١٠-٥٩٧هـ)

عُـنِيَ به

د. عبد الحكيم الأنيس

كبير باحثين أول بإدارة البحوث



الحمدُ لله على التحميد، والشكرُ له على التوحيد، وصلواتهُ على أشرف العبيد، محمد وصحبه على الأمر الرشيد، صلاة تُوجِبُ لهم نهاية المزيد، وسلَّمَ تسليماً طويلَ التخليد.

لما كان مجلسُ الوعظ ينبغي أنْ يكون أشدّه حرارةً وإزعاجاً آخرهُ، وضعتُ كتاباً سمَّيتُهُ (المقاطع)(١)، تنقَّيتُ فيه أشعاراً لطيفةً، تصلحُ لختام المجلس.

ثم إني رأيتُ أنه يصلحُ أنْ يتقدَّمها ما يُلائمُها من الكلام، لئلا تأتي مفردةً فلا يتبيَّنُ لها معنى، وقد سبقَ لي في هذا الفنِّ كُتبٌ، إلا أني آثرتُ أنْ أنتقي مِنْ أقوى الكلِّ حرارة، وأضمَّ كلَّ شيءٍ إلى ما يليقُ به، ليكثرَ عددُ الكؤوسِ المُسْكِرة، فيُخلَّفُ سكرانُ الوجدِ طريحاً في الدار بعد رحيلِ السَّفْرِ.

وقد جعلتُها أربعين فصلاً. واللهُ المُوفِّقُ.

---

(١) وقد ذكره السبطُ في «مرآة الزمان» (٢٢/ ٩٩)، وابنُ الفرات في «التاريخ» (٤/ ٢/ ٢١٣)، وقال السبطُ: «جزء».

الفصل الأول

فيه ذكرُ آدم عليه السلام

لـمّا أُريدَ خلقُ آدم قيلَ للملائكة:

يا مُعجبين بعِباداتهم[١]: اطلعوا مِنْ خَوْخات صوامِعِكم، وانظروا ما أصنَعُ.

أخذتُ قبضةً مِنْ تراب، فصببتُ عليها قطراتٍ مِنْ ماء ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾[٢]، فنفختُ الروحَ في صدَفِ الباطن، فإذا طفلُ التعليمِ بيدهِ لوحُ التفهيمِ، فقلتُ: ﴿أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[٣] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[٤].

جلسَ على سريرِ المملكةِ مُكَرّماً، فمدَّ يدَهُ إلى لقمةٍ قد نُهِيَ عنها، فأُخْرِجَ.

فيا بنيهِ: احذروا بليّةَ المعاصي فهيَ التي نزلَتْ به، فنزلَتْ به عَنْ مرتبةِ ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾[٥]، إلى حضيضِ ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾[٦].

---

(١) انظرْ: البداية والنهاية (١/ ١١٣).

(٢) مِنْ سورة الرحمن، الآية ١٩.

(٣) مِنْ سورة البقرة، الآية ٣٣.

(٤) مِنْ سورة الرحمن، الآية ٢٢.

(٥) مِنْ سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٦) مِنْ سورة البقرة، الآية ٣٨.

جاءهُ جبريل - الذي سـجدَ لهُ - يجرُّ ناصيتَه للإخراجِ[١]، ولسانُ حالهِ يستغيثُ:

حُـداةَ العيسِ رِفْقاً بالأسـيرِ ليغنَمَ نظـرةً قبـلَ المسـيرِ
ويا بانَ الحِمى هـل فيكَ ظلٌّ؟ فعندَ حشـايَ مُزْدَحَـمُ الزفيرِ
ويـا ريحَ الشـمالِ بحـقِّ حبِّي وصدقي هل مررتِ على الغديرِ؟
وهل سُحِبتْ على شِـيحٍ ورَنْدٍ ذيولُـكِ يـا مُبَلْبِلَـةَ الضميرِ؟

أقـامَ في الأرض حزيناً على فقْدِ موطنِ الفرحِ، فكلَّما لاحَ له جبريلُ قال له بلسانِ الحالِ:

ألا يا صَبا نجدٍ متى هجتِ مِنْ نجْدِ؟[٢]

فيجيبُه جبريلُ بلسانِ الحال:

خـلِّ دمـعَ العـينِ ينهملُ بـان مَـنْ تهـواهُ فاحتملوا
كلُّ دمـعٍ صانـهُ كلِـفٌ فهْـوَ يـومَ البَيْنِ مُبْتـذَلُ[٣]

أجلَبُ البكاءِ وأحلبه برقٌ يشيمهُ المحبُّ مِنْ ديارِ المحبوبِ:

---

(١) انظرْ: البداية والنهاية (١/ ١٢٤).
(٢) لعبدالله بن الدمينة من أبيات، وتتمتـه: لقَدْ زادَني مَسرَاكِ وَجْدًا عَلى وجْدِ. انظرْ: ديوان الحماسة (٢/ ١٤٥)، وديوان ابن الدمينة ص٨٥، ومثير العزم الساكن (٢/ ٩٥).
(٣) لمحمد بن حسـان الضبي من أربعة أبيات. المحمدون من الشعراء (١/ ٢٦٥)، الترجمة (١٨٤).

رأى على الغَوْرِ وميضاً فاشتاقْ ما أجلبَ البرقَ لماءِ الآماقْ!

ما للوميضِ والفؤادِ الخفَّاقْ؟ قد ذاقَ مِنْ بَيْنِ الخليطِ ما ذاقْ

داءُ غرامٍ ما لهُ مِنْ إفراقْ قد كَلَّ آسيهِ، وقد ملَّ الراقْ

قلبي وطرفي مِنْ جوىً وإقلاقْ في غرَقٍ ما ينقضي وإحراقْ

يا ناقُ أدّاكِ المؤدِّي يا ناقْ ماذا المقامُ والفؤادُ قد تاقْ؟

هل حاجةُ المأسورِ إلا الإطلاقْ؟[1]

كان كلَّما رأى الملائكةَ تصعدُ وجناحُهُ قد قُصَّ زاد قلقُهُ:

وأصبحتُ كالبازي الـمُنَتَّفِ ريشُهُ يرى حسراتٍ كلَّما طارَ طائرُ

يرى خارقاتِ الجوِّ يخرقنَ في الهوا فيذكرُ ريشاً مِنْ جناحيه وافرُ

وقد كان دهراً في الرياض مُنَعَّماً على كلِّ ما يهوى مِنَ الصيدِ قادرُ

إلى أنْ أصابتهُ مِنَ الدهرِ نكبةٌ فأصبحَ مقصوصَ الجناحينِ حاسرُ[2]

كان مِنْ أعظمِ البلاءِ عليه تردُّدُ الركبِ إلى بلدِ الحبيبِ يُودِّعون الزَّمِنَ:

ولم يبقَ عندي للهوى غيرَ أنني إذا الركبُ مرُّوا بي على الدارِ أشهقُ[3]

كان يستنشقُ من القادمين عليه ريحَ الوصال.

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٢/ ٤٢-٤٣).

(٢) أي: هو وافر. هو قادر. هو حاسر.

(٣) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أمن ذكر دارٍ بالمصلى إلى منى. انظرْ: ديوانه (٢/ ٧٧).

ويسأل سؤالَ مُتحسِّرٍ على الديار:

خــبِّراني عــن العقيــقِ خُبَـيراً أنتُــما بالعقيــقِ أحــدثُ عهــدا

كان كلَّما تذكَّر الجنّة قلق.

وكلَّما رأى الملائكةَ تصعدُ يحترقُ:

والــذي بالبَيْن والبُعــدِ بلاني ما جرى ذكرُ الحِمى إلا شجاني

حبَّذا أهل الحِمى مِنْ ســاكنٍ شــفَّني الشَّــوق إليهم وبراني

كلَّــما رُمــتُ ســلواً عنهــمُ جذبَ الشَّــوق إليهــمْ بعَناني

أحســدُ الطيرَ إذا طــارتْ إلى أرضهــمْ أو أقلعــتْ للطَّيرانِ

أتـمنــى أنني أصحبُـهــا نحـوهمْ لو أنني أُعْطى الأماني

لا تزيــدوني غرامــاً بعدَكُــمْ حلَّ بي مِنْ بعدكُمْ ما قد كفاني

ذهــبَ العُمْــرُ ولم أحظَ بكم وتقــضّى في تمنِّيكــمْ زمــاني

يا خليليَّ احفظــا عهدي الذي كُنتــما قبلَ النَّوى عــاهدْتُماني

واذكــراني مثــلَ ذكــريْ لكما فمِنَ الإنصافِ أنْ لا تَـنْـسَـياني

وســلا مَــنْ أنــا أهــواهُ على أيِّ جُــرْمٍ صدَّ عنّي وجفاني؟

لما اشتدَّ بكاؤُه ودامَ أتاهُ الوحيُ: ما هذا البلاءُ الذي بك؟



فأجابَ لسانُ حالهِ:

ما رَحَلْــتُ العيسَ عَنْ أرضِكُمُ ... فــرأتْ عينــايَ شــيئاً حسَــنا

هــلْ لنا نحوكــمُ مِــنْ عودةٍ؟ ... ومِــنَ التعليــلِ قولي: هــلْ لنا

قد شــجانا اليأسُ مِــنْ بَعْدِكُمُ ... فعِدُونــا بأحاديــثِ الــمُنى

يــا نـديمــيَّ على ذكــرهمُ ... وحديثُ الشَّــوق قدْ أسْــكَرنا

ولعمــري لــو وجدنا راحــةً ... مِنْ هواكــمْ لطلبنا شــجَنا[1]

كان يقــولُ لوَلدهِ: يا بُنيَّ طالَ والله حُزني عــلى دارٍ أُخرِجْتُ منها، فلو رأيتَها زهقَتْ نفسُك:

قفْ فتلــكَ الطلولُ ... وابْكِهــا يا رســولُ

واقــرَ عنّي سلامي ... مَنْ عليهــا نــزولُ

رُبَّ سكـــانِ دارٍ ... في فــؤادي حلــولُ

واســألِ الدارَ عنهمْ ... واستمعْ ما تقـــولُ

لي وللبَيْنِ فيــهــمْ ... شرحُ حــالٍ يطولُ

قــد كفــاني غرامي ... لا تــزدْ يا عــذولُ

لســتُ أدري إذا ما ... لُــمْتَــني مـا أقـولُ

خلَّـفوني مُـعَـنَّـى ... والــمُعَنَّى حَمُولُ

(١) للخفاجي مِنْ قصيدته: ما على أحسنكم لو أحسنا. انظرْ: ديوانه ص٥٧٣-٥٧٥.

كان إذا لِيْمَ في كثرةِ بكائهِ يُجيبُ بلسانِ حالهِ:

دعنيَ فالعيشُ بعدهمْ ما يحلو ... والوصلُ لهمْ بمُهجتي ما يغلو

قلبي مِنْ طُولِ ذكرهمْ ما يخلو ... هيهاتَ محبٌّ مثلهمْ ما يسلو

خرج آدمُ إلى الكعبة فطافَ بها، فخاضَ في دموعهِ[1]:

دموعُ عيني مُذْ جَدَّ بيْنُهُمُ ... مثلُ الدَّوالي وهْيَ الدَّوا لي

كان أولادُه يعجبون مِنْ طولِ بكائهِ.

ومَنْ لم يرَ يوسف لم يَعذرْ يعقوب.

ما زالَ يندبُ معاهدَ القُرْبِ حتى أجابتهُ الأطلالُ، وأسكتَ الحمائم:

أتظنُّ الوُرْقَ في الأيْكِ تُغنِّي؟! ... إنها تُضْمِرُ حُزْناً مثلَ حُزني

لا أراكَ اللهُ نجداً بَعْدَها ... أيُّها الحادي بنا إنْ لَمْ تُجِبْني

هلْ تُباريني إلى بثِّ الجَوى ... في ديارِ الحيِّ نَشوى ذاتُ غُصْنِ؟

هَبْ لها السبْقُ، ولكنْ زادَنا ... أنَّنا نبكي عليها وتُغَنّي!

يا زمانَ الخَيْفِ هل مِنْ عودةٍ ... يَسْمحُ الدهرُ بها مِنْ بعدِ ضَنِّ

أَرَضِينا بثَنِيّات اللّوى ... عن زَرُوْدٍ؟ يا لها صفقة غَبْنِ

سَلْ أراكَ الجِزْع: هل مرَّتْ بهِ ... مُزنةٌ روّتْ ثَراهُ غير جَفْني؟!

وأحاديثَ الغضا: هل علمَتْ ... أنها تملكُ قلبي قبلَ أذْني؟[2]

---

(١) كذا، وفيه مبالغة واضحة.

(٢) للخفاجي. انظرْ: ديوانه ص٢٣٤-٢٣٧، والمدهش (١/ ٢٦٢).

ما انتفعَ آدمُ في بليّةِ ﴿ وَعَصَىٰٓ ﴾[١] بكمالِ ﴿ وَعَلَّمَ ﴾[٢].

ولا ردَّ عنه عزُّ ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾[٣].

وإنما خلّصَهُ ذُلُّ ﴿ ظَلَمۡنَآ ﴾[٤].

ما زالَ مُذْ نزلَ يرفعُ قصصَ الغُصص، تحملُها أنفاسُ الأسف:

ألا يا نسـيمَ الريحِ مِـنْ أرضِ بابلٍ تحمَّـلْ إلى أهـلِ الحجـازِ سـلامي

وإني لأهـوى أنْ أكـونَ بأرضهـمْ على أنّني منها اسـتفدتُ سـقامي[٥]

❁ ❁ ❁

---

(١) مِنْ سورة طه، الآية ١٢١.

(٢) مِنْ سورة البقرة، الآية ٣١.

(٣) مِنْ سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٤) مِنْ سورة الأعراف، الآية ٢٣.

(٥) للشريـف المرتضى من أبيات، هما فيها (١، ٥). انظـرْ: ديوانه (٣/ ٢٢٨-٢٢٩)، وفيه: أهل الخيام. بأرضكم.

الفصل الثاني

في ذكر يوسف عليه السلام

الدنيا دارُ فرقة، كم في جُرَعِ لذاتِها شَرْقة.

عاش فيها آدمُ باكياً.

وقام نوح نائِحاً.

وصار داود نادِباً.

وبات يعقوب للحبيب مُفارِقاً:

آه لم يـدرِ مـا العـذابُ فـؤادٌ ... لم يذقْ طعمَ فرقـةِ الأحبابِ[1]

كان عيشُ يعقوب بيوسف سليماً، فمُذْ فارقهُ صار سليماً:

راحوا فراحتْ راحتـي مِنْ راحتي ... صفـراً، وأمسـى ذكرهـمْ لي راحا

فتحوا عـلى قلبي الهمـومَ وأغلقوا ... بابَ الـسُّرورِ وضيَّعوا الـمِفتاحا

ما زال على حَزْن الحُزْن لَقى إلى يومِ اللقا.

بقي ثمانين سنة لا يستلذُّ نوماً ولا سِنةً.

(١) للمتنبي مِنْ قصيدته: يا ديار العباهر الأتراب. انظرْ: ما أورده محقّقُ «معجز أحمد» الدكتور عبدالمجيد دياب في آخره (٤/ ٤٣٠-٤٣١).

لـمّا فقَدَ الـمَنظورَ ذهبَ الناظر:

لم يبـقَ بعدَكُمُ رسـمٌ ولا طللُ	إلا وللشَّـوقِ في حافاتـهِ عملُ
غبتمْ فأوحشـتمُ الدنيا ببُعْدِكُمُ	عنّي ولا عوضٌ عنكمْ ولا بَدَلُ
حمّلتموني على ضعفي بفرقتكمْ	ما ليس يحملهُ سـهلٌ ولا جبلُ
إذا شممتُ نسـيماً مِنْ دياركمُ	فقدتُ عقلي كأني شـاربٌ ثمِلُ

لما رحل إخوةُ يوسـف للمِيرة دخلوا عليه، فأقبلَ عليهم سائِلاً، وأقبلَ الدمعُ سائلاً.

وتقلْقَلَ تقلْقُلَ الواجد، ليسمعَ أخبارَ الوالد.

فقال القومُ: جئنا مِنْ أرض كنعان، ولنا شـيخٌ يقال له: يعقوب، وهو يقرأُ عليك السـلام. فلما سـمعَ رسـالةَ أبيهِ إليه انتفضَ طائرُ الوجدِ لذكرِ المحبوب:

وداعٍ دعـا إذ نحنُ بالخَيْـفِ مِنْ مِنى	فهيَّـجَ أحـزانَ الفـؤادِ ومـا يَدري
دعـا باسـمِ ليـلى غيرَهـا، فكأنّما	أطارَ بليلى[1] طائراً كانَ في صدري[2]

فردَّ السلامَ قلبُه قبلَ لسانهِ، وشغَلَهُ وكفُ شأنهِ عنْ شأنهِ.

---

(١) في الأصل: بقلبي. وهو سهو من المؤلف.

(٢) للمجنون. انظرْ: الأغاني (٢/ ٢٢)، ومثير العزم الساكن (١/ ٢٨٣).

وقال مِقْولُ إبدائه بعبارةِ صُعدائه:

خذي نفَسي يا ريحُ مِنْ جانبِ الحِمى … فلاقـي به ليـلاً نسـيمَ رُبـى نجدِ

فـإنَّ بـذاك الجـوِّ حيّـاً[1] عهدتُهُ … وبالرَّغـم مني أنْ يطـولَ به عهدي

ولـولا تداوي القلبِ مِـنْ ألمِ الجوى … بذكـرِ تلاقينـا قضيتُ مِـنَ الوجدِ

ويـا صاحبيَّ اليـوم عُوْجا لتسـألا … رُكَيْباً من الغَوريـن أنضاؤُهم تخدِي

عن الحـيِّ بالجَرْعاء جَرْعـاء مالكٍ … هل ارتبعـوا واخضرَّ واديهمُ بعدي؟

شـممتُ بنجـدٍ شِـيحةً حاجريـةً … فأمطرتُهـا دمعي، وأفرشـتُها خدّي

ذكرتُ بهـا ريّا الحبيبِ عـلى النَّوى … وهيهـاتَ ذا يا بُعْـدَ بينِهـما عندي

وإني لمجلـوبٌ ليَ الشَّـوقُ كلَّـما … تنفَّـسَ بـاكٍ[2]، أو تـألَّمَ ذو وجـدِ

تعرَّضُ رُسْلُ الشَّوقِ والركبُ هاجدٌ … فتُوقظني مِنْ بـينِ نُوامهم وحدي[3]

فلما انقضى زمانُ البلاءِ هبّتْ نسـائمُ الفرَحِ، فتوغلتْ خياشيمَ مريضٍ كالفرخ مِنْ فُـرَجِ الفرَجِ، فخرَّ ركامُ الزُّكام عـن مَنخرِ الضرِّ، فنادى عليلُ الشَّوقِ عن غليلِ الوجدِ: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ﴾[4].

نـاشـدتُـكَ اللهَ يـا نسـيمُ … مـا فعلـتْ بعْدَنا الرُّسـومُ

هل اسـتهلتْ بهـا الغوادي … ونمَّقـتْ روضَهـا الغيـومُ

---

(١) في الديوان: الحي إلفاً.

(٢) في الديوان: شاك.

(٣) للشريف الرضي مِنْ قصيدة تبلغ (١٢) بيتاً. انظرْ: ديوانه (١/ ٣٨٩).

(٤) مِنْ سورة يوسف، الآية ٩٤.



علِّلْ بروحِ الوصالِ صَبّاً أنفاسُهُ للجوى سُمومُ
وعُدْ فسلِّمْ على أناسٍ ما أنا مِنْ بعدهمْ سليمُ
واشرحْ لهمْ حالَ مستهامٍ أنتَ بأشواقهِ عليمُ
وقلْ: غريبٌ ثوى بأرضٍ في غيرِها قلبُهُ مقيمُ
أحبابَنا تنقضي الليالي وما انقضتْ تلكمُ الكُلومُ
ذاك اللديغُ الذي عهدتُمْ بَعْدُ على حالهِ سليمُ
أصبحَ مِنْ بَعْدِكم وحيداً فلا خليلٌ ولا حميمُ
لم يجرِ ذكرُ الفراق إلا حنَّ كما حنَّتِ الرؤومُ

لما كَشَفَ يعقوب قِرامَ الوجد بكفِّ ﴿إِنِّي لَأَجِدُ﴾ أحدقتْ به عواذلُ ﴿تَفْتَؤُا۟﴾(1)، فحارَ بهم، فحاربهَم بسلاحِ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(2).

تالله لو وجدوا ما وَجَدَ لـمَا أنكروا ما عرَفَ:

هل لكما مِنْ عِلْمِ بالطائفِ الـمُلِمِّ؟
سرى على الدياجي سُرى أخيهِ النَّجمِ
يشقُّ نجداً عرضاً مِنْ شخصهِ بسهمِ
فنوَّرَ الليلَ وليـ ـستْ مِنْ ليالي التمِّ

(1) مِنْ سورة يوسف، الآية ٨٥.
(2) مِنْ سورة يوسف، الآية ٨٦.

خــذْ يــا نســيمُ عنّــي	تـحـيـتــي وضَــمّــي
وهنِّــهم بوُجدهــم[(١)]	مِــنَ الكــرى وعُدْمــي
قالوا: هجرتَ أرضهم[(٢)]	أهـجـرُهــا بـرَغـمـي
قــد وصلتْ إلى الحشــا	رُسُــلـكــم بـالـسُّـقـمِ
فــلــم تــدعْ واسطــةً	بــين دمــي ولحـمــي
عُــجْ تــرَنــا رسُــوماً	ثــلاثــةً فـــي رســمِ
سِــوى النُّحــول بيننــا	تـعـرفُـنــا بـالـوهــمِ
خـيــطُ هــلالِ لـيـلــةٍ	ودارُهم[(٣)] وجســمي[(٤)]



(١) في الديوان: بوجدها. لأنَّ البيت السابق:

وقفْ فسلمْ لي على ظبيــةِ آل سلـمِ

(٢) في الديوان: أرضها.

(٣) في الديوان: ودارها.

(٤) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٣/ ٢٦٩-٢٧١).



الفصل الثالث

فيه ذكر أيوب عليه السلام

أولُ نقدهِ في مَهْرِ المحبةِ الضَّنى.

أكلَ الدودُ لحمَ أيوب[١]، فما أبقى غيرَ اللسانِ للذكرِ، والقلبِ للفكرِ.

أنفقَ بضاعةَ الجسمِ على ضيفِ البلاءِ، فلما امتدّتْ كفُّ السقمِ إلى القلب قال: هذا هو الوكيلُ الـمُنفقُ أموالَ الصبر، فإذا قُبِضَ عليه لم يبقَ للضيفِ قوتٌ:

محا بَعْدَكم تلك العيونَ بكاؤُها — وغالَ بكم تلك الأضالعَ غُولُها

فمِنْ ناظرٍ لم يبقَ إلا دموعُهُ — ومِنْ مهجةٍ لم يبقَ إلا غليلُها

دعوا ليَ قلباً بالغرامِ أذيبُهُ — عليكم، وعَيْناً في الطُّلولِ أُجيلُها[٢]

بلغتْ بالصالحين المحبّةُ إلى استحلاءِ البلاءِ، فوجدوا في التعذيبِ عُذوبةً، لعلمهم أنهُ مُرادُ الـمُبتلي:

أرضاهُ أسخطَ أو أرضى تلوُّنُهُ — وكلُّ ما يَفعلُ المحبوبُ محبوبُ[٣]

---

(١) في هذا نظرٌ واضحٌ.

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أملْ من مثانيها فهذا مقيلها. انظرْ: ديوانه (٢/ ١٨٣-١٨٤).

(٣) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: أستنجدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ. انظرْ: ديوانه (١/ ٢٤)، ونصه: أرضى وأسخط أو أرضى تلونه.

أُضْنِيَ سويدُ بنُ مثعبة[١] على فراشِهِ، فكان يقولُ: واللهِ ما أُحِبُّ أنَّ اللهَ نقصني منه قُلامةَ ظُفرٍ:

تعجَّبوا مِنْ تمنِّي القلبِ مُؤلِمَهُ   وما دروا أنه حلوٌ مِنَ الألمِ[٢]

مرُّوا على مجذومٍ قد مزَّقهُ الجُذام، فقالوا له: لو تداويتَ؟! فقال: لو قطَّعني إرْباً إرْباً ما ازددتُ لهُ إلا حُبّاً:

إن كان جيرانُ الغَضا   رضوا بقتلي فرِضى

واللهِ لا كنتُ لِمَا   يهوى الحبيبُ مُبْغِضا

صرتُ لهمْ عبداً وما   للعبدِ أنْ يَعترضا

مَنْ لمريضٍ لا يرى   إلا الطبيبَ المُمْرِضا

هُمْ قلّبوا قلبي مِنَ الشْـ   ـشَوق على جَمْرِ الغضا

يا ليتَ أيامَ الحِمى   يعودُ منها ما مضى[٣]

كان الشبليُّ[٤] يقول: أحبّكَ الناسُ لنعمائِك، وأنا أحبُّك لبلائِك:

---

(١) مِنْ بني تميم، وكان من الذين اختطوا بالكوفة أيام عمر بن الخطاب. صفة الصفوة (٣/ ٤٢).

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: يا ليلة السفح ألا عدتِ ثانية. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٨٣). وفيه: خلو.

(٣) للحسين بن محمد البغدادي المعروف بالبارع (ت: ٥٢٤هـ)، وهو مِنْ شيوخ المؤلف. انظرْ: خريدة القصر -القسم العراقي (ج٣/ مج١/ ص٦٦-٦٩)، وفيها هنا تقديم وتأخير، وتصرفٌ.

(٤) من الزُّهاد المعروفين، توفي سنة ٣٣٤هـ. صفة الصفوة (٢/ ٤٥٦).

مَنْ لقتيلِ الحُبِّ لو رُدَّ عليهِ القاتلُ
يجرحُهُ النبلُ ويَهوى أنْ يعودَ النابلُ(١)

لما عشقت اللبلابةُ الشجرَ تقلقلتْ طلباً لاعتناقِ الرؤوسِ، ولثمِ الخدودِ، فقيلَ لها: مع الكثافةِ لا يُمكنُ، فرضيتْ بالنُّحول، فالتقتْ فالتفّتْ:

حُبي والوجدُ أورثاني سُقْماً هذا جسمي يُعَدُّ عَظْماً عَظْماً
دعنيَ والشَّوق قد كفاني خَصْماً يا سهمَ البَيْن قد أصبتَ المرمى

مِنَ القومِ مَنْ أنضاهُ الخوف.

ومنهم مَنْ أضناهُ الشَّوق.

كان حسانُ بن أبي سنان(٢) كأنه سَوطٌ.

وكان إبراهيمُ بن أدهم(٣) كأنه سَفُّودٌ.

وكانت رابعة(٤) كأنها شَنٌّ بالٍ:

جزى اللهُ المسيرَ إليهِ خيراً وإنْ تَرَكَ المطايا كالمَزادِ(٥)

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أين الغزال الماطل. انظرْ: ديوانه (٢/ ١٣٥).
(٢) من الطبقة الرابعة من عُبّاد البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٣٦).
(٣) الزاهد المعروف، توفي سنة ١٦٢هـ. صفة الصفوة (٤/ ١٥٢).
(٤) مِنْ عابدات البصرة. ترجمتها في «صفة الصفوة» (٤/ ٢٧-٣١)، وترجم لها ابنُ كثير في وفيات سنة ١٨٥هـ. انظرْ: البداية والنهاية (١٠/ ٤٥٩-٤٦٠).
(٥) للمتنبي مِنْ قصيدته: أحاد أم سداس في أحاد. وهو البيت (١١). انظرْ: ديوانه (ضمن شرحه العَرْف الطيب) ص٨٠. والعزو إلى الديوان ضمن هذا الشرح دائماً.

قـال الجنيدُ[١]: دخلتُ على سريٍّ[٢] فمدَّ جلدةَ ذراعهِ وقد يبسـتْ على العظمِ فلما امتدَّتْ، فقال: والله لو شئتُ أنْ أقولَ: هذا مِنْ محبتهِ لقلتُ.

وهــواكَ مـا بقّـى هوا ... كَ عـليَّ فيـكَ ولا تـرَكْ

أيـلومُـني فيك الـذي ... يُـزري عـليّ ولم يـرَكْ

رفقـاً بعبـدِك سـيِّدي ... هذا عُبيـدُكَ قـد هلكْ

جُزْ بنادي المحبة، ونادِ بالقوم نادِباً، تراهم كالفراشِ تحتَ النيران:

يـا دار مَنْ قتَـلَ الهـوى بَعْدي ... وجـدوا ولا مثلَ الـذي عندي

لـو حرَّكـتْ ذاك الرمـادَ يـدٌ ... لـرأتْ بقايـا الجمـرِ والوقدِ[٣]

أرواحٌ أزعجها الحبُّ.

وأقلقها الخوفُ.

سبحانَ مَنْ يُـمْسكُها باللطفِ:

قـومٌ إذا هُجِروا مِنْ بعـدِ ما وُصِلوا ... ماتـوا وإن عادَ مَـنْ يهوونَـهُ بُعِثوا

تـرى المحبـين صرعـى في ديارهمُ ... كفتيـةِ الكهفِ لا يدرون كـمْ لبِثوا

واللهِ لـو حلـفَ العُـشّـاقُ أنهـمُ ... موتى مِنَ الحبِّ أو قتـلى لما حَنثوا[٤]

---

(١) علَمٌ معروف، توفي سنة ٢٩٨هـ. صفة الصفوة (٢/ ٤١٦).

(٢) سري السقطي خال الجنيد، علَمٌ معروف، توفي سنة ٢٥٣هـ. صفة الصفوة (٢/ ٣٧١).

(٣) للشريف الرضي مِنْ قصيدة طويلة، هذان فيها (١، ٤). انظرْ: ديوانه (١/ ٣٢١).

(٤) الأبيات مع بيتٍ آخر يكون أولًا لابن زيدون مما قاله في صباه. انظرْ: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص١٦٢ باختلاف يسير. =

مَنْ تعـرّضَ بالمحبةِ فليغرسْ شـجرَ الصبرِ، فإنه إذا انتهتْ شـجرتُهُ أثمرتْ عسلاً.

لابُدَّ في البدايةِ مِنْ جُوعٍ شـديدٍ، فإذا أُعِدَّ قـرصُ الإفطارِ نزلَ ضيفُ ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾[1] فزاحمَ، فأراحَ.

فإذا جنَّ الليلُ منعَ النومَ عتابُ «كذَبَ مَنِ ادّعى محبتي، فإذا جنَّهُ الليلُ نامَ عنّي»[2]:

إنَّ هـواكَ الذي بقلبـي	صيَّرَني سامِعـاً مُطيعـا
أخذتَ قلبي وغُمْـضَ عيني	سلبتني القلـبَ والهُجوعا
فـذرْ فـؤادي وخـذْ رُقادي	فقـالَ: لا، بـلْ هُمـا جميعا[3]



= وذكـر ابنُ كثـير في البداية والنهايـة (١٢/ ٨٣) أنَّ رجلاً من أهل الحديث أنشـد البيتَ الثاني سـنة (٣١٧) في حادثة القرمطي في الحرم. فـإنْ صحَّ هذا لم تكن الأبيات لابن زيدون.

(١) مِنْ سورة الحشر، الآية ٩.

(٢) نسبه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٢٤) إلى الفُضيل بن عياض قال: «ينزل الله إلى سماء الدنيا: فيقول: كذب من ادعى محبتي، فإذا جنَّه الليل نام عني».
وانظرْ: تاريخ دمشق (٣٤/ ١٣٨).

(٣) انظرْ: مصارع العشاق (٢/ ٢٢).

الفصل الرابع

فيه ذكر موسى عليه السلام

لـــمّا تمكنتْ نيرانُ المحبة مِنْ قلبِ موســـى صوَّبتْ إلى نارهِ نارَ الطورِ، فأسرعَ إليها ليقتبسَ فاحتُبِسَ:

يا حـــارِ إنَّ الركبَ قـــد حاروا   فاذهـــبْ تحسَّـــسْ لِمَـــنِ النـــارُ
تبـــدو وتخبُو، إنْ خبـــتْ وقفوا   وإنْ أضـــاءتْ لهـــمُ ســـاروا[1]

فلمّا نُودِيَ في النادي، اشتاقَ إلى الـمُنادي:

ليالينَا بـــذي الأَثَـــلاتِ عُودي   ليُـــورِقَ في رُبى الأثلاتِ عُودي
فإنَّ نســـيمَ ذاك الشِّـــيحِ أذكى   لديَّ مِنِ انتشـــاقي نـــشْرَ عُودِ
وإنَّ حديثَكـــم في القلبِ أحلى   وأطيبُ نغمةً مِـــنْ صوتِ عُودِ

كان موسى يطوفُ في بني إسرائيل ويقول: مَنْ يحمِّلُني رسالةً إلى ربي؟

ما كان مرادُهُ إلا أنْ تطولَ المناجاةُ للحبيبِ:

فقلتُ له: كُـــرَّ الحديثَ الذي انقضى   وذكـــراكَ مِـــنْ ذاكَ الحديـــثِ أريدُ
يُجـــدِّدُ تذكـــارُ الحـــديثِ مـــودَّتي   فذكـــرُك عنـــدي والحديـــثُ جديدُ

(١) لعبدالمحســـن الصوري مِنْ قصيدة طويلة. انظرْ: ديوانه (١/ ١٧٥). وفيه: عرسوا بدل: وقفوا. وإخبار الملوك ص٢٣.

أناشـــدُهُ إلا أعـــادَ حـديثَـهُ كأنّي بطـيءُ الفهـمِ حـينَ يُعيدُ[١]

فلمّا جازَ عليه نبيُّنا ليلةَ الـمِعراجِ ردَّدَهُ في الصلوات، ليَسْعدَ برؤية مَنْ قد رأى:

إنْ تَشْـقَ عيني بهمْ فقد سـعِدَتْ عـينُ رسـولي وفُـزتُ بالخـبرِ
وكلّـما جـاءني الرَّسـولُ لهـمْ ردَّدتُ شـوقًا في طرْفـهِ نظـرِي
تظهـرُ في وجهـهِ محـاسِنُهمْ قـد أثّـرَتْ فيـه أحسـنَ الأثرِ
خُـذْ مقلتـي يـا رسـولُ عاريةً فانظرْ بها واحتكمْ على بصَري[٢]

الشَّوقُ يُنْحِلُ الأبدانَ، ويُقلقِلُ القلوبَ.

كان داود الطائي[٣] يُنادِي في الليل: همُّـكَ عطَّلَ عليَّ الهمومَ، وحالفَ بيني وبين السُّهادِ، وشـوقي إلى النظرِ إليكَ حالَ بيني وبين اللذاتِ، فأنا في سجنِكَ أيُّها الكريم [مطلوب][٤]:

---

(١) انظرْ: مصارع العشاق (٢/ ١١٤).

(٢) لأبي نـواس. انظرْ: ديوانه، باب الغزل ص٢٧٢. والضمير فيه: عيني بها. الرسـول لها. محاسنها.

(٣) إمام في العلم والزهد، من أهل الكوفة، توفي سنة ١٦٥هـ. صفة الصفوة (٣/ ١٣١).

(٤) مِنْ «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٧)، و«صفـة الصفوة» (٣/ ١٤١)، و«موافق المرافق» ص ١٠٥، و«المدهش»، الفصل (٥٠)، (٢/ ٥٠٦).

رُدّوا الفــؤادَ كما عهدتُ إلى الحشــا والمُقلتــين إلى الكرى ثــم اهجروا[١]

كان فتــح بــن شــخرف[٢] يقول: قــد طالَ شــوقي إليــك، فعجِّلْ قدومي عليك.

وكان أبو عبيدة الخوّاص[٣] يصيحُ في الأســواق: وا شوقاهُ إلى مَنْ يراني ولا أراه:

تمــدُّ بالآذانِ والـمَـنـاخرِ لحـاجــرٍ، أنّى لها بحـاجـرِ؟

أرضٌ بها السـابغُ مِنْ ربيعِها وشــوقُها المكنونُ في الضَّمائرِ

ســارتْ يميناً والغرامُ شــأمة ياسِرْ بها يــا ابنَ الحُداةِ ياسِرِ[٤]

أخرجَهم الشَّوقُ إلى الاستغاثة، فضجُّوا بين الخلق.

---

(١) نُسِــبَ إلى أبي الفتح البكتمــري المعروف بابن الكاتب الشــامي. انظــرْ: يتيمة الدهر (١/ ١٣٤) ط بيروت.

وإلى أبي القاســم المغربي (ت: ٤١٨). انظرْ: معجم الأدباء (٣/ ١٠٩٩)، وبغية الطلب (٦/ ٢٥٤٤). وانظــرْ: تفصيلاً في «ديــوان القاضي عبدالوهاب البغــدادي المالكي» ص٦٨-٦٩.

(٢) زاهد عابد ورع، ترجم له ابن الجوزي في أهل بغداد، توفي ســنة ٢٧٣هـ. صفة الصفوة (٢/ ٤٠٢).

(٣) مــن الزُّهاد العُبّــاد، ترجم له ابن الجــوزي في أهل العواصم والثغــور. صفة الصفوة (٤/ ٢٧٥).

(٤) لمهيار الديلمي مِنْ قصيــدة. انظرْ: ديوانه (٢/ ١٦-١٧). وفيه: من لها بحاجر. و: ياسْر بها يا ابنَ رواح ياسِرِ.

كان سَمنون[١] يصيحُ:

تركــتَ الفــؤادَ عليــلاً يعــادُ وشرّدتَ نومــي فــما ليْ رُقــادُ[٢]

رُئـيَ معروفٌ[٣] في المنام كأنه تحتَ العرشِ، فقال اللهُ عزّ وجلّ لملائكتهِ: مَنْ هــذا؟ فقالوا: أنــتَ أعلمُ، هذا معروفٌ سَــكِرَ مِنْ حبِّــك، فلا يفيقُ إلا بلقائِك:

فــداوِ سُــقْماً بجســمٍ أنــتَ مُتلِفُهُ وابــرُدْ غرامــاً بقلبٍ أنــتَ مُضْرِمُهُ

ولا تكِلنــي عــلى بُعْــدِ الديــارِ إلى صبري الضعيفِ فصبري أنتَ تعلَمُهُ

تلــقَّ قلبــي فقــد أرســلتُهُ قُدُمــاً إلى لقــائِكَ والأشــواقُ تَقْـدُمُــهُ

قال بعضُ الســلف: لقيتُ غلامــاً في طريق مكة وحــدَهُ، فقلتُ: أما تستوحشُ وحدَك؟

قال: إنَّ الأُنسَ بالله قطَعَ عنّي كلَّ وحشةٍ.

قلت: فأين ألقاك؟

قال: في الآخرةِ.

---

(١) زاهــد عابد، أصله من البصرة، وســكن بغداد، توفي نحو ســنة ٢٩٠هـ. صفة الصفوة (٢/ ٤٢٦).

(٢) الخبر في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣١١).

(٣) الكرخــي، مِنْ كبار أهــل الزهد والتعبُّد والورع، توفي ســنة ٢٠٠هـــ. صفة الصفوة (٢/ ٣١٨).

قلت: أين أطلبُك؟

قال: في زمرةِ الناظرينَ إلى اللهِ تعالى.

قلت: كيف علمتَ؟

قال: بِغَضِّي طَرْفي لهُ عَنْ كلِّ مُحَرَّمٍ سألتُهُ أنْ يجعلَ جَنَّتي النَّظرَ إليه.

ثم صاحَ وغابَ عن عيني:

وما تلوَّمَ جسمي عَنْ لقائكمُ ... إلا وقلبي إليكمْ شيِّقٌ عَجِلُ

وكيف يقعدُ مشتاقٌ يُحرِّكُهُ ... إليكمُ الحافزانِ: الشَّوقُ والأملُ؟

فإنْ نهضتُ فما لي غيركُمْ وطرٌ ... وإنْ قعدتُ فما لي غيركُمْ شغُلُ

وكَمْ تعرّضَ ليْ الأقوامُ بَعْدَكُمُ ... يَستأذنونَ على قلبي فما وصلوا[1]

قال الشبلي: لقيتُ جاريةً حبشيةً، فقلت: مِنْ أين؟

قالتْ: مِنْ عندِ الحبيبِ.

قلتُ: وإلى أين؟

قالتْ: إلى الحبيبِ.

قلتُ: ما تُريدين من الحبيبِ؟

---

(١) للشريف الرضي من خمسة أبيات. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٢٨).



قالتْ: الحبيب.

فقلتُ: كم ذِكْرُ الحبيبِ؟

فقالتْ: ما يسكنُ لساني عَنْ ذكراهُ حتى ألقاهُ:

وحُرمــةِ الودِّ مــا ليْ عنكــمُ عوَضُ ... وليــس لي بَعْدَكُــمْ في غيرِكُم غَرَضُ

أشــتاقُكُمْ وبِودِّي[1] لــو يُواصلُني ... لكمْ خيــالٌ ولكنْ لســتُ أغتمِضُ

ومِــنْ حديثي بكمْ قالوا: بــهِ مَرَضٌ ... فقلــتُ: لا زالَ عنّــي ذلــكَ المَرَضُ

❁ ❁ ❁

(١) كتب أحدُ الناظرين في الكتاب في الحاشية هنا: لعله: «ومرادي». وكلاهما صحيح.

الفصل الخامس

فيه ذكر داود عليه السلام

لـمّا أُعْجِبَ داودُ بعصمتهِ رمى الـمُذنبين بسهم «لا تغفر للخطّائين»[١]، والقدَرُ قد أترعَ له - ممّا سيَعضُّ عليه الأناملَ - ملءَ الإناء:

وإذا رامـي المقـاديـرِ رمـى فدروعُ المرءِ أعوانُ النِّصالِ[٢]

كان قد أُعطِيَ نعمةَ نغمةٍ يقفُ لها الماءُ والطيرُ، فامتدَّتْ يدُ الغفلةِ فقدَّتْ قميصَ العصمةِ، فأثّر زَلَـلُـهُ حتى في التلاوةِ[٣].

أعرضَ الـمِعْمارُ عن الـمُراعاة، فتشـعَّثَ منزلُ الصفاءِ، وانقطعتْ جامِكيةُ العسكرِ، فتفرّقتْ جنودُ ﴿أَوِّبِي﴾[٤].

كان يُؤتى بالإناءِ ناقصاً فيتمُّهُ بالدموع:

ما لي شرقـتُ بمـاءِ ذي الأَثْلِ هـل كـدَّهُ الـوُرّادُ مِـنْ قَبْلي؟

أم بـانَ سكّـانٌ فـأملـحَ لي مـا كنتُ قبـل البَيْنِ أسـتحلي؟

---

(١) أثرٌ إسرائيليٌّ. انظرْ: تفسير القرطبي (١٥/ ١٨٥)، وفيض القدير (٦/ ٤٢٤).

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أي طود دكَّ مِنْ أي جبال. انظرْ: ديوانه (٢/ ١٩٧).

(٣) يُنظر كلامُ المفسِّرين المحقِّقين في قصة داود عليه السلام.

(٤) مِنْ سورة سبأ، الآية ١٠.

مـا[١] ابيضَّ ليْ في الـدار بعدهُمُ يـومٌ، وهـل دارٌ بـلا أهـلِ؟
رحلـوا بأيامـي الرقـاقِ عـلى آثارهِـم، وبعيـشيَ السَّـهلِ[٢]

كان عيشُ عشـهِ خضراً، فأحالت الحالَ سَنةُ الهجرِ، فكأنَّ أيامَ الوصل كانتْ سِنة، فكاد يقطعُ باليأس، لولا التقاءُ اليأسِ بالخضر:

أرَقـي قـد رقَّ لي مِـنْ أرَقـي ورثـى لي قلقـي مِـنْ قلقـي
وبكائـي مِـنْ بكائي قـد بكى وتشـكتْ حُرَقـي مِـنْ حُرَقي

كان إذا أرادَ النياحةَ نادى مُناديهِ في أنديةِ الـمَحزونين، فيجتمعونَ في مأتمِ النَّدبِ، فتزدادُ الحُرَقُ بالتعاونِ:

يـا بعيـدَ الـدارِ عـن وطنِهْ مُفـرَداً يبكـي عـلى شـجنِهْ
كلَّـما جـدَّ النحـيبُ بـهِ زادتِ الأسقـامُ في بـدَنِـهْ
ولقـد زادَ الفـؤادَ شـجىً هـاتفٌ يبكـي عـلى فننِـهْ
شـاقـهُ مـا شـاقني فبكى كلُّـنا يبكـي على سكنِـهْ[٣]

كان يقولُ في مناجاتهِ:

إلهي خرجتُ أسـألُ أطبـاءَ عبادِك أنْ يُـداووا لي خطيئتـي، فكلُّهم عليك يدلُّني.

---

(١) في الديوان: لا. والفرق واضح.
(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٣/ ٢٠٦).
(٣) للعباس بن الأحنف. انظرْ: ديوانه ص٣١١ باختلاف ألفاظ.

إلهي امددْ عيني بالدموعِ، وضعفي بالقوةِ، حتى أبلغَ رضاكَ عنّي:

يـا مَـنْ تجنّـبُ صـبري في تجنُّبِـهِ هبْ لي من الدمعِ مـا أبكي عليكَ بهِ

حتـى متـى زفـراتي في تصاعدِهـا إلى المماتِ، ودمعـي في تصوُّبِـهِ؟

ولي فـؤادٌ إذا لـجَّ الغـرامُ بـهِ هـامَ اشـتياقاً إلى لُقيـا مُعَذِّبـهِ[1]

مازالَ يغسلُ العينَ مِنْ عينِ الغَينِ، ولسانُ العتابِ يقولُ: يا بُعْدَ النقا.

وكلَّما رفعَ قصةَ غُصّةٍ جاءَ الجوابُ بزيادةِ الجوى، وهو يستغيثُ ويُنادي، حتى أقلق الحاضرَ والبادي:

إنَّ شـفيعي إليـكَ منـي دموعُ عيني وحسـنُ ظنّي

فبالـذي قـادَني ذليلاً إليكَ إلا عفـوتَ عنّي[2]

يا مذنبين:

ترافقوا في سَفَرِ البكاء، وانزلوا للنياحةِ في ساحة:

أيـن فـؤادي أذابـهُ البُعْـدُ وأيـن قلبي أمَا صحـا بعدُ؟

حـدا بذكـرِ العقيقِ سـائقُهُ فطـارَ شـوقاً بلُبّـهِ الوجـدُ

(١) للوأواء الدمشقي. انظرْ: ديوانه ص٤٥، وفيه:

يا مَنْ تَجَنَّبْتُ صبري في تجنُّبِهِ عمداً وعاصيتُ نومي في تغضبهِ

أَنباكَ شاهدُ أمري عن مغيَّبِهِ وجدَّ جِدُّ الهَوَى بي في تلعُّبِهِ

يا نازحاً لَعِبَتْ أَيدي الفراقِ به هَبْ لي من الدَّمْعِ ما أَبكي عليكَ بِهِ

(٢) ذُكِرا مع آخرين في «الزهرة»، الباب (١٩) (١/ ٢١٤) ولم يُنْسبا.



جســـمٌ ببغدادَ ليـــس تصحبهُ ... روحٌ، وروحٌ تضمُّهـــا نجـــدُ

يا لفؤادٍ ما يســـتريحُ من الكر ... بِ، لـــهُ كـــلَّ لحظـــةٍ وقـــدُ

آهٍ لعيـــشٍ قد كنـــتُ أصحبُه ... لو كـــان يومـــاً لفائـــتٍ ردُّ

أروحُ في حبكم وواقـــلـــقـــي ... وهكـــذا أشـــتكي إذا أغـــدُو

كلُّ زماني جزرٌ عن الوصل أشـ ... ـــكـــوهُ، فهـــلا تنـــاوبَ المدُّ

يا ســـعدُ زدني جوىً بذكرهمُ ... يا ســـعدُ قل لي فُديتَ يا سعدُ

بلغهـــمُ ما أجـــنُّ مِـــنْ حُرَقٍ ... قُـــلْ وتحدّثْ ببعـــضِ ما يبدُو

قلْ: قد رأيتُ الأســـيرَ في قلَقٍ ... وقـــالَ ليْ حُرْمـــةٌ ولي عَهْـــدُ

ثُمَّـــتَ ســـلِّمْ فالأمـــرُ أمرهُمُ ... يقولُ مـــولى ويَنْطـــقُ العبدُ(١)

❁ ❁ ❁

---

(١) للمؤلف كما جاء في «المدهش» (١/ ٢٦٨).

الفصل السادس

يا معشرَ العصاة:

إنْ جفوتموني فما يجفُوكم حلمي.

وإنْ أعرضتم عنّي فما يُعرِضُ عنكم لطفي:

فـلا تحسَـبوا أنّي نسـيتُ ودادَكـمْ ... فإنّي وإنْ طالَ المدى لستُ أنساكمْ(١)

حفظنـا وضيَّعتـمْ وداداً وحُرمـةً ... فلا كان مَـنْ في هجرنا اليومَ أغراكمْ

ألا خبِّرونـا أيـن زُمَّـتْ ركابُكـم ... وأين اسـتقلَّتْ هُوجُكم ومطاياكُمْ؟

رسائلي إليكم ما تنقطعُ:

إذا لم يكـن بينـي وبينـكَ مُرْسَـلٌ ... فريحُ الصَّبـا مني إليكَ رسـولُ(٢)

إنـما طَردتُ إبليـسَ لأنه لم يَسْـجدْ لكم، فالعجبُ كيـف صالحتموه وهجرتمونا!

منـفـصـلٌ عـنّـي ومـا ... لـطـفـيَ عـنـهُ مُنْفصِلْ

يـا قـاطعي اليـومَ لِمَـنْ ... نويتَ بَعـدي أنْ تصِلْ؟(٣)

---

(١) هذا البيت مِنْ أربعة أبيات للمؤلف كما في «مرآة الزمان» (٢٢/ ٣٢).

(٢) للعباس بن قطن الهلالي. انظرْ: اللآلي في شرح أمالي القالي (١/ ٤٧١-٤٧٢).

(٣) لعلية بنت المهدي. انظرْ: ديوانها ص٤٦.

كان بعضُ الأغنياء كثيرَ الشكرِ، ثم بطِرَ ونسِيَ، فلما تغيرَتْ نعمتهُ، فقال: يا ربِّ: تبدلتْ طاعتي، وما تغيرَتْ نعمتي؟!

فهتفَ به هاتفٌ: لأيامِ الوصالِ عندنا حُرمةٌ، حفظناها وضيّعْتَها.

سـلْ بسَـلْعٍ شجناً كـانَ وكنّـا: ليتَ شِـعري مـا الذي ألهـاكَ عنّا؟
أهـوىً أحْـدَثْتَـهُ، أم كـاشـحٌ دَبَّ، أم ذنـبٌ سـوى أنْ تتجنَّى؟[1]

تابَ رجلٌ ممَّن كان قبلكم ثم نقضَ، فهتفَ به هاتفٌ:

سـأتركُ مـا بينـي وبينـكَ واقفـاً فـإنْ عُـدتَ عُدنـا والودادُ سـليمُ
تُواصِـلُ قومـاً لا وفـاءَ لعهدهـمْ وتتركُ مثـلي والحفـاظُ قديـمُ؟[2]

يا ناقضي العهود:

انظروا لـِمَنْ عاهدتم، تلافوا خرْقَ الخطأِ قبلَ أنْ يتسعَ:

عُودوا إلى الوصل عُـودوا فالهجـرُ صعـبٌ شـديدُ
تـذكَّرونـا فمـا عهـْـدُنـا لـديكمْ بعيـدُ
هـل ترجـعُ البـانُ يوماً أم هـل تعـودُ زَرودُ؟

(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٤/ ١٦٨).

(٢) الأول مـع آخر غيرِ المذكور هنا في «التذكـرة الحمدونية» (٥/ ٥٢) وقال: «قال أحمد بن إبراهيم». والبيت الثاني هو:

ولو قد خبرتَ الناسَ حقَّ اختبارِهم رجعـتَ إلى وصـلي وأنـتَ ذميـمُ

لو وفيتم بعهُودِنا، ما رميناكم بصدودِنا.

لو كاتبتمُونا بدموعِ الأسف، لغفرنا كلَّ ما سلف:

ولو أنهمْ عند كشــفِ القناعِ   وحلِّ العُقودِ ونقضِ العُهودِ

وخلعهــمُ لعــذارِ الحيــاءِ   ولُبســهمُ لــبُرُودِ الصُّدودِ

أناخُــوا بأبوابِنــا ســاعــةً   وأجروا مدامعَهمْ في الخُدُودِ

لعُــدْنا سِراعاً إلى وصلهمْ   وقلنا: قلُوبَ المُحبين عُودي

يا مَنْ دام على معاملتنا مدةً ثم ترَك:

ما الذي بدا لك حتى بدا لك؟

تشــاغلتمُ عنّــا بصحبــةِ غــيرِنــا   وأظهرتــمُ الهِجــرانَ ما هكــذا كنّا

وأقســمتمُ أنْ لا تحولــوا عن الهوى   فقد -وحياةِ الحُبِّ- حلتمْ وما حُلنا[1]

كانت أيامُ الوصال مشرقة، فصارتْ بالهجران ليالي:

وكان سراجُ الوصــلِ يُزْهِــرُ بيننــا   فهبَّتْ به ريــحٌ مِنَ البَــيْنِ فانطفا[2]

(١) أنشدهما الشبلي. انظرْ: الطيوريات ص٦٠٤، الخبر (١٠٦٤). باختلاف.

(٢) أنشده ســالم بن ســلمان بن عبدالله الحموي (ت بعد ٥٦٠هـ بدمشق) مع بيتين آخرين لبعضهم. انظرْ: بغية الطلب في تاريخ حلب (٩/ ٤١١١).

يا مطروداً عن البابِ بعد القُربِ:

اندبْ زمانَ الوصلِ:

تذكـرتُ أيامـاً مضـتْ ولياليـا جرَتْ فجـرَتْ مِنْ ذكرهـنَّ دموعُ
ألا هـل لهـا يوماً مِـنَ الدهـرِ أوبةٌ وهـل ليْ إلى أرضِ الحبيبِ رجوعُ؟
وهل بعد إعـراضِ الحبيبِ تواصلٌ وهـل لبُـدورٍ قـد أفلنَ طلـوعُ؟

يا مُتخلِّفاً عن السالكين:

إذا رأيتَهم على الجادّة فصِحْ في أعقابِهم:

فقلـتُ: دعـوني واتّباعـي ركابَكمْ أكنْ طـوعَ أيديكمْ كما يفعـلُ العبدُ
ومـا بـالُ رغمـي لا يهـونُ عليهمُ وقد علموا أنْ ليـسَ ليْ منهمُ بُدُّ؟(١)

علِّقْ على قطارِ الأسحارِ، واستغثْ بالـمُتهجّدين:

إذا وصلتُـمْ إلى وادي العقيقِ سـلوا عن حـالِ منقطـعٍ أودى بهِ السَّـفَرُ
وفتِّشـوا عـن فـؤادٍ هائـمٍ قلـقٍ قـد ضـاعَ مني فـلا عـينٌ ولا أثرُ

أنجعُ الوسائلِ الذُّلُ.

---

(١) أنشدتها امرأة أبي علي الروذباري. انظرْ: صفة الصفوة (٤/ ٣٣١)، ومثير العزم الساكن (١/ ١٢١).



وأبلغُ أسبابِ العفوِ البكاءُ.

والعِيُّ بلاغةُ الـمُنْكسِرِ:

يـا مَـنْ أشـكو إليـهِ مـا يعلمُـهُ والدمـعُ يُذِيـعُ كـلَّ مـا أكتمُـهُ
هـذا المسـكينُ مَـنْ تُـرى يرحمُهُ؟ قـد هـان عليـكَ كلُّ مـا يؤلمُـهُ

***

بالجسـمِ مـن السـقام مـا يُحْرِضُهُ والقلـبُ يذوبُ مِنْ جـوىً يمرضُهُ
ما قـدْ حكَـمَ الإلـهُ مَـنْ ينقضُهُ؟ قـد أعوزني الصـبرُ فمَـنْ يُقْرضُهُ؟

إخواني:

تعالوا نُرقْ دمعَ تأسُّفنا، على قُبْحِ تخلُّفنا:

لعـل انحـدارَ الدمعِ يُعقِـبُ راحةً مِنَ الهمِّ أو يشـفي نجـيَّ البلابلِ[1]

اندبوا على الذنوب ساعة.

وافقوني في البكاء يا جماعة:

رُويـداً أيُّهـا الحـادي سقاكَ الرائحُ الغـادي
فتلك الدارُ قـد لاحتْ وهـذا الرَّبْعُ والوادي

(١) لذي الرمة. انظرْ: ديوان المعاني (١/ ٢٥٧).



إخواني:

ما للمُذنبين حيلةٌ إلا الذلُّ والبكاءُ:

أهلَ الغـرام تجمَّعـوا	فاليــومُ يــومُ عتابِنا
نعَقَ الغُــرابُ ببيْنِنا	فغرابُنــا أغــرى بِنا
إنَّ الذيــن نُحبُّهــم	قد وُكّلوا بعـــذابِنا
قوموا بنــا بحياتِكم	نمضي إلى أحبــابِنا

❁ ❁ ❁



الفصل السابع

سبحانَ مَنْ سبقَ قضاؤُهُ، فقرَّبَ وأبعدَ.

قد خُصَّ بالوصلِ قومُ   وبالقطيعةِ قومُ

قال بعضُ السلف: لقيتُ رجلاً في برية، فقلتُ: مِنْ أين؟

فقال: مِنْ عند قوم ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[١].

قلت: وإلى أين؟

قال: إلى قوم ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾[٢]:

بنفسي مَنْ غداةَ نأيتُ عنهمْ   تركتُ القلبَ عندهمُ رهينا

أما لكَ أيها القلبُ اعتبارٌ   بما فعلَ الهوى بالعاشقينا؟

ملأوا مراكبَ القلوبِ متاعاً لا ينفقُ إلا على الملكِ، فلما هبّتْ رياحُ الدُّجى دفعتِ المَراكبَ:

إذا الصَّبا سحبتْ أذيالَها سَحَراً   على العقيقِ ومرّتْ في رُبى إضَمِ

وحرّشتْ بين بانِ الجِزْعِ ظالمة   وشيحهِ وجرَتْ في الضَّالِ والسَّلَمِ

تنفَّسَ الوجدُ وارتاحَ المشُوْقُ وعا   شَ الرُّوحُ بالرُّوحِ بعدَ الأخذِ بالكظمِ[٣]

---

(١) مِنْ سورة النور، الآية ٣٧.

(٢) مِنْ سورة السجدة، الآية ١٦.

(٣) لأبي إسحاق الغزي، كما في «المدهش» (١/ ٢٧٢)، ولم أجدها في ديوانه.



يا سوقَ الأكلِ: أين أربابُ الصيامِ؟

يا فرشَ النومِ: أين حرَّاسُ الظلامِ؟

درستْ واللهِ المعالمُ، ووقعتِ الخيامُ.

قفْ بنا على الأطلالِ نخصّها بالسَّلامِ:

أيــن سـكانُكِ؟ لا، أيــن هُـمُ ... أحِجَـازاً سَـلَكُوها أم شـآما؟

قد وقفنـا بعْدهُـمْ في ربعهِمْ[1] ... فنقضنـاهُ اسـتلاماً والتزامـا[2]

أتُرى أي طريقٍ سلكوا؟

أتُرى أي شِعْبٍ أخذوا؟

حـمامـةَ الواديـنِ مـا الخبَرُ ... أعرَّجـوا بالفُـرات أم عَـبَروا؟

في كلِّ يـومٍ لنـا هـوىً وجوىً ... ومقلـةٌ حشـوُ جفنِهـا نهـرُ[3]

جدّوا وهزَلْتَ.

وصعِدوا ونزلتَ:

حَدَوا عزماتٍ ضاعتِ الأرضُ بينها ... فصارَ سُراهُمْ في ظهـورِ العزائمِ[4]

(١) في الديوان: قد وقفنا قبلكم في ربعكم.

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: بكرَ العارضُ تحدوه النُّعامى. انظرْ: ديوانه (٣/ ٣٢٧).

(٣) هذا البيت كأنه مضروبٌ عليه، ولكن ليس بالطريقة التي درج عليها المؤلفُ في الضرب.

(٤) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: ألا ليت أذيال الغيوث السواجم. انظرْ: ديوانه (٢/ ٣٨٢).



قنعوا من الدُنيا بالبُرِّ والبَرِّ والبِرِّ:

قد وافقوا الوحشَ في سُكنى مراتعِها ... وخـالفــوها بتقويــضٍ وتطنيبِ[(١)]

قطعــوا باديةَ الهوى بأقدامِ الجِــدِّ، فما كان إلا القليلُ حتــى قَدِمُوا من السفرِ، فاعتنقتهُم الراحةُ في طريقِ التلقّي، فدخلوا بلدَ الوصلِ، وقد حازوا ربحَ الدهرِ:

زمّــوا المطايــا فدمعٌ مطلــقٌ أمِنَ الــ ... ــعدوى ودمعٌ وراءَ الخوفِ محصورُ[(٢)]

فلم يُهَبْهِــبْ بأُولى الزجرِ ســائقُهُم ... حتــى تشــابهَ مهتــوكٌ ومســتورُ

تغلّســوا مــن زَرودٍ وجــهَ يومهــمُ ... وحَطّهــمْ لظــلالِ البــانِ تهجــيرُ

وضمنــوا الليل ســلعاً إذ رأوهُ وقد ... غنَّتْ عــلى قُنَّتَيْ ســلعَ العصافيرُ[(٣)]

فرَّغَ القومُ قلوبَهم من الشواغلِ، فضُربتْ فيها سرادقاتُ المحبةِ، فأقاموا العيونَ تحرسُ تارةً، وترشُّ الأرضَ أخرى.

سُرادق المحبةِ لا يُضْربُ إلا في قاعٍ فارغٍ نزهٍ.

---

(١) للمتنبي من قصيدته: من الجآذر في زي الأعاريب. انظر: ديوانه ص ٤٨١.

(٢) في الأصل، وفي «المقامات» للمؤلف (١٨٢ أ): مستور. وهو سهو منه.

(٣) لمهيــار الديلمــي مِنْ قصيدته: هلْ في الشُّــموسِ التــي تحدى بها العِيُر. انظــرْ: ديوانه (٢/ ١٠٣-١٠٤).

«فرِّغْ لي بيتاً أسكنْهُ»(١):

بَدَّلــوا الــدارَ فلمّــا	نزلــوا القلــبَ أقاموا
يــا خليــليَّ اسقيــاني	ومــن الوجــدِ سَــقامُ
وصِفــا لي قُلْعــةَ الرَّكـ	ــبِ ولليــلِ مقــامُ
ومِنــىً أيــن مِنــىً منْـ	ـــني؟ لقدْ شــطَّ المَرامُ
هل عــلى جَمْعٍ نُــزولٌ	وعلى الخَيْفِ خِـيـامُ؟(٢)

❁ ❁ ❁

(١) أثر إسرائيلي. انظر: تفسير النيسابوري «غرائب القرآن» (١/ ٤١٠).

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: زار والركبُ حرام. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٨٢).



الفصل الثامن

يا هذا:

اعرفْ قدرَ ما ضاعَ منكَ.

وابكِ بكاءَ مَنْ يدري مقدارَ الفائتِ.

وصِحْ في السَّحَرِ:

إنْ كان عهودُ وصلكمْ قد دَرَسَتْ	فالــرُّوحُ إلى ســواكمُ ما أَنِسَتْ
أغصــانُ هواكُمُ بقلبي غُرِسَــتْ	مُـنّــوا بوصالكمْ وإلا يَبِسَــتْ

يا أربابَ القلوبِ الضائعةِ:

اذهبوا فتحسّسُوا مِنْ يوسف:

هــذي معالمُهــمْ ومــا	ليْ منذُ بــانَ القومُ عهْدُ
واهــاً لعيــشي بالحِمى	لــو كانَ لي يومــاً يُرَدُّ
وَيْــلي أحظِّــي كـلُّــهُ	مِنْ حُبِّكم هجرٌ وصدُّ؟

يا سكرانَ الهوى:

لو استنشقتَ رياحَ الأسحار لأفاقَ قلبُك المخمُور.



لو تخايلتَ قُربَ الأحباب لأقمتَ المأتمَ على بُعْدِك:

مـا أشـوقَني إلى نسـيمِ الرنـدِ؟ يشـفي كمَـدي إذا أتـى مِـنْ نجدِ
والشِّـيحِ فـإنـهُ مُـثـيرُ الوجـدِ شـوقي شـوقي له ووجدي وجدي

حدِّثْ نفسَكَ بأرضِ نجد يهُنْ عليها عبُورُ العقَبة.

ذكِّرْها قُرْبَ مِنى، وقد درجت المُدَرّج:

مَـنْ بمِنى وأين سـكان[1] مِنى؟ كانـتْ ثلاثـاً لا تكـونُ أرْبَعـا
سـلبتـمُـوني كبِـدَاً صحيحةً أمـسِ فـرُدُّوها عـليَّ قِطَعـا
عدمتُ صـبري فجزعتُ بعْدَكم ثـم ذُهِلـتُ فعُدِمْـتُ الجَزَعـا
ارتجعـوا ليْ ليلـةً بـحـاجـرٍ إنْ تـمَّ في الفائـتِ أنْ يُرْتَجَعـا[2]
وغفلـةً سرقـتُـهـا مِـنْ زمني بلَعْلَـعٍ سـقى الغَمامُ لَعْلَعـا[3]

يا محصوراً عن الوصول، لا يُجزئه الهدي.

يا مُنقطعاً في الطريقِ عن جملةِ الوفدِ:

تحامَلْ إلى بعضِ خيمِ أهلِ الوصلِ.

وأشهدْ على وصيتِك ذَوَيْ عَدْل.

(١) في الديوان: جيران. وفي المدهش، الفصل (٩) (١/ ٢٩٤): أيام.
(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: حبَّ إليها بالغضا أنْ ترتعا. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢١٢-٢١٣).
(٣) لم أجد هذا البيت في قصيدة مهيار السابقة، ولا في الديوان.



ونادِ في النادي بصوتِ الذُّلِّ:

أيها الراحلـون مِنْ بطـنِ خبْتٍ ... فـركابُ النَّـوى بهـمْ تترامـى

إنْ أتيتـمْ وادي الحبيـبِ فأهْدوا ... لحبيبـي[1] تـحيـتي والسَّـلاما

واطلبوا ليْ قـلبـي وآيتــه أنْ ... تجـدُوا فيه مِـنْ هواهمْ سِـهاما

ورِدوا مـاءَ ناظري عِـوضَ الغُدْ ... رانِ وارعوا من الحَشا لا الخُزامى[2]

فإذا رأيتَ أينقَهم قد استقامتْ على الجادّةِ فصِحْ بهم:

إذا مـا بلغتـمْ سـالمين فبلِّـغـوا ... تحيةَ مَنْ قد ظـنَّ أنْ لا يَرى نجدا[3]

اجلسْ في ظلامِ الليلِ بين يدَي مالِكك، واستعملْ أخلاقَ الأطفالِ، فإنَّ الطفلَ إذا طلبَ مِنْ أبيه شيئاً فلم يعطِهِ بكى عليه. وقلْ: يا مَنْ أعطى ومنَعَ:

بلَغَ الـمُنى مَنْ حَـلَّ في وادي مِنى ... غـيري فـإنّي مـا بلغـتُ مُـرادي

وبكيـتُ مِـنْ ألمِ الفراقِ وشـقوتي ... فبكى الحجيـجُ بأسْرِهـم والوادي

تروّحْ إلى حديثِ الـمُناجاةِ وإنْ لم يُسْمَعْ منك.

وابعثْ رسائلَ الأحزان وإنْ لم تصِلْ.

---

(١) في مصارع العشاق: لسليمى.

(٢) للسراج. انظرْ: كتابه مصارع العشاق (١/ ٦٩)، وشعر السراج ص١١٥.

(٣) ليزيد بن الطثرية. انظرْ: الزهرة (١/ ١٧٥).



وأنفذْ نفَسَ الأسف، لعلَّ الصُّعَداءَ تصْعَد:

يـا نسـيمَ الشَّـالِ بلّـغْ خطـابي ... واشـفِ مني الجـوى بـردِّ الجوابِ

طُفْ بسـاحاتِ ذلك الربْـعِ واحملْ ... ذرّةً مِـنْ تُـرابِ ذاكَ الجَنـابِ

قُـلْ لمولايَ: يـا مُنى الـرُّوح والقلـ ... ـبِ ومَـنْ فيـه راحتـي وانتحابي

كنتُ أخشـى الوشـاةَ فيـكَ ولكنْ ... جفـوةُ الحِـبِّ لم تكـنْ في حسـابي

يا مَنْ يعدُ بالتوبة:

كم تُخلِفُ؟

اليـوم عهدُكُـمُ فأيـنَ الموعـدُ؟[1]

ما هذا الكسلُ وقد سارَ الركبُ:

اقمْ فانْتشِـطها حسـبُها أنْ تُعْقلا[2]

مَنِ استطالَ الطريقَ ضعُفَ مشيُهُ:

ومـا أنـا بالمُشـتاقِ إنْ قلـتُ بيننا ... طوالُ الليالي أو طوالُ السَّباسـبِ[3]

---

(١) للمتنبـي، وعجزه: هيهات ليس ليـوم موعدكم غدُ. وهو أول قصيـدة. انظرْ: ديوانه ص٤١.

(٢) لمهيـار الديلمي. وتتمته: ودع لهـا أيديها والأرجلا. وهو مطلع قصيـدة. انظرْ: ديوانه (٣/ ٢٠٠).

(٣) للخفاجي مِنْ قصيدته: أناخ علي الهمُّ من كل جانب. انظرْ: ديوانه ص٦٣٧. وفيه: طوال العوالي.

أما علمتَ أنَّ الصادقَ:

إذا هـمَّ ألقى بـين عينيـهِ عزمَهُ(١)

***

ليـس عزْماً مـا مـرَّضَ المـرءُ فيهِ ... ليس همّـاً ما عـاقَ عنهُ الظـلامُ(٢)

***

انهـضْ فهـذي عذَبـاتُ رامـةٍ ... وماؤُهـا العَـذْبُ النمـيرُ البـارِدُ

وانشـد هُنـاك ليْ فـؤاداً ضائعـاً ... لـولا الهـوى مـا ضَـلَّ ثَمّ ناشِـدُ

يا فرحَ الواصلين.

يا ترحَ الـمُنقطعين.

يا أسفَ الـمُهجورين:

هـل الدهـرُ يومـاً بليـلى يجودُ ... وأيامُنـا باللِّـوى هـل تعُـودُ؟

زمـانٌ تقـضّى وعيـشٌ مـضى ... بنفـسيَ واللهِ تلـك العـهـودُ

ألا قُـل لسُـكّانِ وادي الحبيـب ... هنيئـاً لكـمْ في الجِنـان الخلـودُ

أفيضُـوا علينا مِـنَ المـاء فيْضاً ... فنحنُ عطـاشٌ وأنتـمْ وُرُودُ(٣)

* * *

---

(١) لسـعد بن ناشـب المازني، وتتمته: وأعرض عن ذكر العواقب جانبا. الكامل وحاشية المحقق (١/ ٢٦٨).

(٢) للمتنبي مِنْ قصيدته: لا افتخار إلا لمن لا يضام. انظرْ: ديوانه ص١٦٣

(٣) لخلـف بن أحمد القيرواني (ت: ٤١٤هـ). انظرْ: معجـم الأدباء (٣/ ١٢٥٤) باختلاف يسير. وياقوت ينقل من «الأنموذج» لابن رشيق.

الفصل التاسع

أحزانُ الـمُريدين دائمة، وآماقُهم بالدموع دامية.

لا راحةَ للمُحبِّ إلا بلقاءِ حبيبهِ.

ضحــك بعضُ الصالحين يوماً ثم انتبهَ لنفســهِ، فقــالَ: تضحكين وما جُزتِ العقَبة؟! واللهِ لا ضحكتُ حتى أعلمَ بماذا تقعُ الواقعةُ:

يا نســيمَ الشَّــمالِ بــالله بلِّغْ   مــا يقــولُ المتيّــمُ الُمسْــتهامُ

قــلْ لأحبــابِنا: لديكمْ محبٌّ   ليس يســلو، ومقلــةٌ لا تنامُ

كلُّ أُنــسٍ ولــذةٍ وســرورٍ   قبــلَ لقياكُــمُ عــليَّ حــرامُ

كانت مع هشام بن حسان[(١)] جاريةٌ في الدار، فكانتْ تقول: أي ذنبٍ قد عملَ هذا؟ مَنْ قتَلَ هذا؟ الليلَ كلَّه يبكي.

كان أبو سليمان الداراني[(٢)] يبكي حتى يثبَ الدمعُ مِنْ عينيه.

وكان عطاء السَّليمي[(٣)] يبكي حتى لا يقدرَ أنْ يبكي:

يــا مُنْفِــذاً مــاءَ الجفــو   نِ وكنــتُ أُنْفِقُــهُ عليــهْ

---

(١) ترجــم له ابن الجوزي في الطبقة الرابعة من عُبّاد أهل البصرة، توفي ســنة ١٤٨هـ. صفة الصفوة (٣/ ٣١٢).

(٢) من الطبقة السادسة من عُبّاد أهل الشام، توفي سنة ٢٠٥هـ. صفة الصفوة (٤/ ٢٢٣).

(٣) ترجم له ابن الجوزي في الطبقة الرابعة من عُبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٢٥).

إنْ لم تكـنْ عينـي فأنـ ـتَ أعزُّ ما نظَرتْ إليهْ(١)

إذا هبَّتْ رياحُ الخوف قلقلـتْ قلوبَ العارفين، فلم تتركْ ثمرةَ دمعٍ في فَننِ جفنٍ.

إذا نزل آبٌ في القلبِ سكنَ آذار في العين:

لا تبلُنـي بجفا يَزيـدُ خُضوعي يكفيـكَ أنَّ النارَ بـين ضلوعي
وحيـاةِ سُـقْمي في هـواكَ فإنهُ قَسَمُ الهوى، ووحقِّ فيضِ دموعي
لأُوكِّلـنَّ عليـكَ عينـي بالبُكا ولأعشقنَّ عليكَ طُولَ خضوعي

كان فتح الـموصلي(٢) يبكي الدموعَ، ثم بكى الدَّمَ، فقيلَ له: على ماذا بكيتَ الدم؟ قال: خوفاً على الدمُوع أنْ تكونَ ما صحّتْ لي:

يـا لفـؤادٍ وامـقٍ مـا يصحـو قد طـالَ لعُظْمِ ما عنـاهُ الشرحُ
والعـينُ لهـا دمٌ ودمـعٌ سـحٌّ ذا(٣) يكتُبُ شـجوَهُ وهذا يَمْحو

إذا خيَّمَ سـلطانُ المعرفـة بقاعِ القلبِ صـارتْ بقاعُ السِّـباخ رياضاً بالرياضةِ:

سـاكـنٌ في القلـبِ يعمـرُهُ

(١) للخفاجي. انظرْ: ديوانه ص٣٠٢.
(٢) الزاهد العابد فتح بن سعيد، توفي سنة ٢٢٠هـ. صفة الصفوة (٤/ ١٨٣).
(٣) في الأصل: هذا. وهو سهو من المؤلف. وجاء على الصواب في «المدهش» (١/ ٣٧٥).

إذا نزلَ الحبيبُ ديارَ السِّرِ أخرجَ منها النزّالة.

حبيــبٌ ليــس يعدِلُــهُ حبــيبٌ[١]

فحينئذٍ يمتلىءُ الباطنُ بالـمَحبةِ ولا يسعُ غيرَها:

وكان فــؤادي خالياً قبــل حُبِّكمْ[٢]

فيصير ذكرُهُ سميرَ القلبِ:

ولقد جعلتُــك في الفــؤاد مُحدِّثي[٣]

فكلَّما حدّقتْ عينُ القلبِ إلى جمالِ المحبوبِ تمكنتِ المحبةُ، فيستحيلُ السُّلوُّ:

فيــا حُبَّــهُ زدني جــوىً كلَّ ليلــةٍ ويا ســلوةَ الأيامِ موعــدُكِ الحشرُ[٤]

كان أويس[٥] يهربُ مِنَ الخلقِ شُغلًا بحبيبِهِ، فقالوا: مجنون:

لــولا جنــوني فيــكَ مــا قــعــدَ العواذلُ لي وقــامــوا

---

(١) أنشدته رابعة بنت إسماعيل زوج أحمد بن أبي الحواري مع بيت آخر. انظرْ: التبصرة (١/ ٢٩٤).

(٢) لسمنون. انظرْ: طبقات الصوفية ص١٩٨، وتاريخ بغداد (٩/ ٢٣٧)، ومصارع العشاق (٢/ ٥٤).

(٣) أنشدته رابعة بنت إسماعيل زوج أحمد بن أبي الحواري مع بيت آخر. انظرْ: التبصرة (١/ ٢٩٤).

(٤) لأبي صخر الهذلي. انظرْ: ديوان الحماسة (٢/ ٩٦). وفيه: فيا حبّها.

(٥) تابعي كبير معروف. صفة الصفوة (٣/ ٤٣).

أوَ لـي يلُـومُ العـاذلـو نَ وليـس ليْ قلبٌ يُـلامُ؟![١]

كان الصبيان يرجمونه حتى يدمَى عقبُهُ، ولسانُ حالهِ يقولُ:

ولقيتُ في حُبِّيك ما لم يلقهُ في حبِّ ليلى قيسُها المجنونُ

لكنَّني لم أتَّبِعْ وحشَ الفلا كفعالِ قيسٍ، والجنونُ فنونُ[٢]

كان إبراهيم ينسبونه إلى الجُنون، والـمَحبة تنهاهُ أنْ يفسِّرَ ما استعجمَ:

أُبثّهمُ وجدي وهمْ بيَ أعلمُ وأرجو شفائي منهمُ وهُمُ هُمُ

وكم كدتُ مِنْ شوْقٍ أُبيِّنُ مَنْ هُمُ ويَمْنعني مِنْ ذاك خوفِيَ منهمُ

وكم عذلُوني فيهمُ غيرَ مرّةٍ فقلتُ لهم واللهُ بالصدقِ أعلمُ:

إذا كان قلبي موثَقاً في حبالِهِمْ وجسمي لديكمْ كيفَ أفهمُ عنكمُ؟

فإنْ شئتمُ أنْ تعذلوا فتوصّلوا إلى أنْ يعُودَ القلبُ ثم تكلَّموا

وصفَ الرسولُ لأصحابهِ حِليةَ حُلّة أويس[٣]، فقويَ توقُ عُمَر، فكان في كلِّ عامٍ يسألُ عن أهلِ اليمنِ:

ألا أيها الرَّكْبُ اليمانُون عرِّجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

نُسائِلُكم: هل سالَ نَعْمانُ بَعْدنا؟ وحَبَّ إلينا بطنُ نَعْمانَ واديا[٤]

---

(١) لابن المعلم الهُرثي الواسطي من قصيدة: ما ناح في البان الحمام. انظر ديوانه: (نسخة الظاهرية) (الورقة ٨٢ ب) ولم يردا في نسخة مكة.

(٢) لأبي نصر محمد بن الحسن بن حميد العراقي الأديب. انظر: مجمع الآداب لابن الفوطي (٤/ ٥١).

(٣) صحيح مسلم (٢٥٤٢).

(٤) لمجنونٍ. انظرْ: مصارع العشاق (١/ ٦٤-٦٥).



فلما كانت آخر حجةٍ حجَّها عمرُ قام على أبي قُبيس فنادى بأعلى صوتهِ: أفيكم أويسٌ؟

وإنّــيَ للشَّــوقِ مِــنْ بعــدِهمْ ... أُراعــي الجنــوبَ مَراحــاً ومغْدى
وأفــرحُ مِــنْ نحــوِ أوطــانهمْ ... بغيْــثٍ يُجلــجلُ برقــاً ورعــدا
إذا طلــعَ الركــبُ يمّمتُــهمْ ... أُحيّــي الوجــوهَ كهُــولاً ومُرْدا
وأســألُهمْ عَــنْ عقيــقِ الحِمــى ... وعَــنْ أرض نجْدٍ ومَنْ حــلَّ نجْدا
نشدتُكــمُ اللهَ فليُخــبرنْــ ... ـنَ مَنْ كان أقــربَ بالرَّمْــلِ عهدا
هــل الــدارُ بالجِــزْعِ مأهولــةٌ ... أنــارَ الربيــعُ عليهــا وأســدى
وهــل حلــبَ الغيــثُ أخلافَــهُ ... على محْضَرٍ مِــنْ زرود ومبــدا؟[(١)]

فلــما دُلَّ عليــه فقال لــه عمر: مكانَــك حتى آتيــكَ بنفقــةٍ، فقال: لا أراكَ بعدَها.

إن كانــتِ العينُ مــذْ فارقتَها نظرتْ ... إلى ســواكَ فخانتهــا مآقيها
أو كانــتِ النفسُ بعــد البُعْــدِ آلفةً ... حبّــاً ســواكَ فــلا نالــتْ أمانيهــا
مــا إنْ تنفَّســتُ إلا كُنــتَ في نفَسي ... تجــري بك الرُّوحُ منــي في مجاريها[(٢)]

اسمعْ صفةَ القوم.

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (١/ ٣٤٢-٣٤٦).

(٢) للحــلاج. انظرْ: صلة تاريــخ الطبري ص٩٨ باختلاف ألفاظ، وهو من المنســوب إلى الحلاج. انظرْ: ديوانه ص٤٩ باختلاف ألفاظ كذلك.

يا أسيرَ الغفلةِ والنوم:

فاتني أنْ أرى الديارَ بطرْفي فلعلّي أرى الديارَ بسمعي(١)

هبَّت اليومَ نسمةٌ مِنْ رياحِ الوصل:

يا نسيمَ الريحِ هل مِنْ وقفةٍ تُطفئُ الغُلّة أو تشفي الأُواما

كُنْ رسولاً بسلامٍ عائداً نحو مَنْ أنفذَ لي فيكَ السَّلاما

إخواني:

أجدُ رائحةَ كبدٍ محترقةٍ، حملتْها إليّ شَمالٌ مُمْتزجةٌ بقِبلة:

هَبَّتْ لَنا مِن رِياحِ الغَورِ رائِحَةٌ بَعدَ الرُّقادِ عَرَفناها بِرَيّاكِ

ثُمَّ انْثنَينا إِذا ما هَزَّنا طَرَبٌ عَلى الرِّحالِ تَعَلَّلنا بِذِكراكِ

سهمٌ أصابَ وراميهِ بذي سلَمٍ مَنْ بالعِراقِ، لَقد أبعَدْتِ مَرْمَاكِ

سقى مِنىً وليالي الخَيْفِ ما شربتْ مِنَ الغَمامِ وَحَيّاهَا وَحَيّاكِ

إذ يَلتَقي كُلُّ ذي دَيْنٍ وَماطِلُهُ منا، ويجتمعُ المَشْكوُّ والشاكي

هامتْ بكِ العينُ لم تُتبعْ سواكِ هوىً مَنْ أعلمَ العَينَ أنّ القَلبَ يَهوَاكِ؟!(٢)

❁ ❁ ❁

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: عارضا بي ركب الحجاز، وهي من لواحق الحجازيات. انظرْ: ديوانه (١/ ٦٥٨).

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: يا ظبية البان ترعى في خمائله. انظرْ: ديوانه (٢/ ١٠٧- ١٠٨).

الفصل العاشر

أيها الـمُعجبُ بشبابه.

الـمُسْتلبُ عن قليلٍ مِنْ أحبابه:

أنسِيتَ يـا مغـرورُ أنـكَ ميّتٌ؟ أيقِـنْ بأنـكَ في المقابـرِ نـازلُ
تفنـى وتبـلى والخلائـقُ للبِلى أبمثـلِ هـذا العيشِ يفـرحُ عاقلُ؟

ويحك، السِّكينُ يُحَدّ، والتنّورُ يُسْجرُ، والكبشُ يعتلفُ:

تنـامُ ولم تنـمْ عنـكَ المنايـا تـنبّـهْ للمنيةِ يـا نـؤومُ[1]

يا جعجعةَ السيرِ لو فهمَ الركب:

فاقضـوا مـآربَكم عجـالاً إنـما أعمارُكُـم سـفرٌ مِـنَ الأسـفارِ[2]

شحمُ الـمُنى هُزالٌ.

وشرابُ الأملِ سرابٌ:

سَـلْ بغَمـدان أيـن سـاكنُهُ سـيـ ـفٌ وقلْ للنُّعمانَ أينَ السـديرُ؟[3]

يا هائماً في بيدِ الهوى:

---

(١) لأبي العتاهية مِنْ قصيدته: أما والله إنَّ الظلم شوم. انظرْ: الاهتبال ص٢٦٨.
(٢) لأبي الحسن التهامي مِنْ قصيدته: حكمُ المنيةِ في البرية جاري. انظرْ: ديوانه ص٣٠٩.
(٣) للخفاجي مِنْ قصيدته: طلبُ الأمنِ في الزمان عسير. انظرْ: ديوانه ص٥١٧.

ليس الطريق كذا.

تنفقُ عمرَك في التفريطِ إنفاقَ البرامكة، وتَشُحُّ بدينارِك شُحَّ الحباحب!

العُمْرُ يُنْفقُ في الدُّنيا مجازفةً والمالُ يُنْفقُ فيها بالموازينِ[(١)]

ويحك، مَنْ قبَّلَ فمَ اللذةِ عضَّتْهُ أسنانُ النَّدامة.

مَنْ سكرَ مِنْ خمر الدنيا هلكَ في خُمار الهوى.

عليك يا مُسْرف مُشْرف:

هَبِ البعث لم تأتنا رُسْلُهُ وجَاحِمةُ النار لم تُضْرمِ

أليسَ منَ الواجِبِ المُسْتَحَقْـ ـقِ حياءُ العِبادِ من المُنْعِمِ[(٢)]

يا أعجميَ الذِّهن:

رافقْ عربَ التفطُّن.

إلى متى مع المُتلوّثين؟

---

(١) لأبي الفتح العسقلاني قاضي دمياط (ت: ٤١٣هـ). انظرْ: الطيوريات ص٥٧٦، والوافي بالوفيات (٨/ ١٨١).

(٢) قال الشيخ ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٢٥٣): «وقد ذكَرَ أبو عبد الله ابنُ الجَدِّ الأعلى أنه سَمِعَ أبا الفرَجِ ابنَ الجَوْزيِّ يُنْشِدُ في مجلسِ وعظِهِ البَيْتَيْنِ المَعْرُوفَيْنِ:

هب البَعْث لم تَأْتِنا رُسْلُهُ وجاحِمَةُ النَّارِ لم تُضْرَمِ

أَليسَ مِنَ الواجبِ المسْتَحقِّ (م) حَياءُ العِبادِ مِنَ المُنْعِمِ؟...».

متى تُضاف إلى النِّظاف؟

أنتَ مع تقصيرِك تأمنُ، وكانوا مع جدِّهم يخافون.

أنتَ على ذنوبِك تضحكُ، وكانوا مع طاعتِهم يبكون.

كان سري يدافِعُ أولَ الليل، فإذا جنَّ أخذَ في البكاء إلى الفجر:

أقطعُ ليلي وجيشُ وجدي ... مِنْ عَنْ شِمالي وعَنْ يَميني

تالله لو عادني رسولٌ ... لعادَ عَنْ مُدنَفٍ حزينِ

ما حيلتي فيكَ غيرَ أني ... أسرقُ مِنْ زفرتي أنيني

دموعُ الخائفين يحبسُها بالنهار مراقبةُ الخلق، فإذا أتى الليلُ انفتحَ سَكْرُ البكاء، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾[1].

عربدَ الوجد[2] على أبدانهم فاستلب اللحمَ، ثم فشّ البواطنَ بقبسٍ، فطارتْ شرارةٌ فوقعَ الحريقُ داخلاً:

وخيالُ جسمٍ لم يُخَلِّ له الهوى ... لحماً فيُنْحِلَهُ السَّقامُ ولا دمَا

وخُفوقُ قلبٍ لو رأيتِ لهيبَهُ ... يا جنّتي لظننتِ فيه جهنّما[3]

(١) من سورة الرعد، الآية ١٧.

(٢) أصاب ماء هذا الموضع في الأصل، وهذا ما بدا لي من اللفظ.

(٣) للمتنبي مِنْ قصيدته: كفي أراني ويك لومك ألوما. انظرْ: ديوانه ص١٠.

دخلـوا على زُجلة العابدة[١] فكلَّموها في الرفقِ بنفسِـها، فقالتْ: واللهِ لأُصلّينَّ ما أقلّتني جوارحي، ولأصومنَّ له أيامَ حياتي، ولأبكينَّ له ما حملتِ الماءَ عيناي:

لا أقبَـلُ نُصْحَكم فخلّـوا عَذْلي ... ما أطيَبَ في الغـرامِ طعمَ القَتلِ؟

إنْ طُـلَّ دمـي فكَمْ محـبٍّ مثلي ... قـد ضُرِّجَ باللحـاظ لا بالنَّبْلِ؟

هانَ سهرُ الحرّاسِ لـمّا علموا أنَّ أصواتَهم بسَمْعِ الـمَلِك:

أيها المالكُ الـذي سـهَري فيْـ ... ـهِ كطعـمِ الرُّقادِ بـل هُوَ أحلى

غـرَضي مـا يُريـدهُ بي حبيبـي ... لو سـقاني مُهْـلاً لما قلـتُ مَهْلا

لسـتُ أدري أطـالَ ليـليَ أم لا ... كيـف يَدري بـذاك مَـنْ يتقلى؟

إنَّ للعاشـقين في قِـصَرِ الليـْـ ... ـلِ وفي طُولـهِ عـن النومِ شُـغْلا

لـو تفرّغـتُ لاسـتطالةِ ليـلي ... ولرعْـي النُجـومِ كنـتُ مُخـلّى

وغَـرامُ الفـؤادِ مـذ غبـتَ عنه ... لم يحلْ عن هواكَ حاشـى وكلّا[٢]

قالوا ليزيد بن هارون[٣]: كم جزؤُك من الليل؟ فقال: وأنامُ منه شيئاً؟! لا أنامَ اللهُ عيني إذن.

(١) مِنْ عابدات البصرة. صفة الصفوة (٤/ ٤٠).

(٢) لابن المعتز. انظرْ: المدهش (١/ ٣٥٦-٣٥٧). ولم أجد الأبيات في ديوانه.

(٣) إمام حافظ من أهل واسط، توفي سنة ٢٠٦هـ. صفة الصفوة (٣/ ١٧).

سلوا غيرَ طرفي إنْ سألتمْ عن الكرى فـما لجفُـونِ العاشـقينَ منـامُ[١]

قلوبُ القوم مملوءة بحُبِّهِ.

فإنْ نطقُوا فبذكرِهِ.

وإنْ تحرَّكوا فبأمرهِ.

وإنْ فرِحوا فلقُربهِ.

وإنْ ترِحوا فلعَتبهِ:

واللهِ ما طلعتْ شمسٌ ولا غربتْ إلا وأنتَ مُنى قلبي ووسـواسي

ولا جلسـتُ إلى قـومٍ أحدِّثُهم إلا وأنـتَ حديثي بـين جُلّاسي

ولا هممتُ بشربِ الماءِ مِنْ عطشٍ إلا رأيتُ خيالاً منكَ في الكاسِ[٢]

أقواتُهم ذِكرُ الحبيب.

وأوقاتُهم بخدمتهِ تطيب.

لا يصبرون عن مناجاتهِ لحظة.

(١) لابن المعلم الهُرثي الواسـطي من قصيدته: أكل حديث الصحب فيك ملام. انظر ديوانه (نسخة مكة ص ٢٠٦).

(٢) من المنسوب إلى الحلاج. انظرْ: ديوانه ص٧٩ باختلاف يسير.

ولا يتكلَّمون في غيرِ رضاهُ بلفظة.

قال عثمان الباقــلاوي - وكان دائمَ الذكر -(١): أُحِسُّ كأنّ نَفْسي تخرجُ وقتَ الإفطارِ لاشتغالي بالطعام عن الذكر.

حيـاتي منـكَ في رَوحِ الوصـالِ وصبري عنكَ مِـنْ طَلَبِ المُحالِ
وكيـف الصبرُ عنـكَ وأيُّ صبرٍ لعطشـانٍ عـن المـاءِ الـزُّلالِ؟
إذا لعــب الرجــالُ بــكلِّ شيءٍ رأيتَ الحُبّ يلعَــبُ بالرجالِ(٢)

لو سمعتَهم في الدُجى يعجّون؟!

لو رأيتَهم في السَّحر يضجّون؟!

لولا نسائمُ الرجاء كانوا ينضِجون:

ما لي عن وصلكَ اصطبارُ إليـكَ مِنْ هجـركَ الفرارُ
أصبحتُ ظمـآن ذا جفُونٍ ميـاهُ أخـلافِها غـزارُ
أرُوم كتـمانَ مـا أُلاقــي وبالمـآقي لـهُ اشتـهارُ
ومِنْ نسيمِ الصَّبـا إذا مـا هبّتْ على أرضِكُـمْ أغارُ

---

(١) وكان يُقال له: العابد الصموت لإمساكه عن الكلام. ترجم له ابن الجوزي في المصطفين من أهل بغداد، توفي سنة ٤٠٢هـ. صفة الصفوة (٢/ ٤٨٢).

(٢) الثاني والثالث في «الرسالة القشيرية»، باب الصبر (١/ ٤٥٨)، ولفظ الثاني فيه:

وكيف الصبرُ عمَّنْ حلَّ مني بمنـزلة اليميـن من الشـمالِ

والثاني في «التمثيل والمحاضرة» ص١٦١ (الماء) بلا نسبة.

آهٍ لذكرى ديـــارِ سَــلمى لا أجدبــتْ تلكُــمُ الديارُ

لهفــي لعيــشٍ بها تــولّى نظــيرُ أيامِــهِ النُّضـــارُ

إذْ أعــيُنُ الدهــرِ راقداتٌ وفي غُصــونِ الهــوى ثمارُ

يحقُّ لأبدانِ الـمُحبين تذُوب.

ولسماءِ أعينِهم تهمي وتصُوب.

لو حملوا جبالَ الأرض مع كرِّ الكُرُوب، كان قليلاً في جنْبِ المحبوب:

رأى خضوعــي فصَــدَّ عنّي فــازددتُ ذُلاً فــزادَ تِـيــهـــا

قلــتُ لــه خـــالياً وعينــي قــد أقــرحَ الدمــعُ مآقيهــا:

هــل لي في الحبِّ مِنْ شــبيهٍ؟ قالَ: وأبصرتَ ليْ شــبيها؟[1]

❁ ❁ ❁

(١) لابن المعتز. انظرْ: المدهش (١/ ٣٦٣). ولم أجدها في ديوانه.

الفصل الحادي عشر

يا هذا:

ما خُلِقتَ للدنيا، فلا تألفْ منزلاً لا تصحُّ الإقامةُ به:

رفيقُـك قيـسيٌّ وأنتَ يـماني[(١)]

إذا كنت كلَّما لاحتْ شـهوةٌ «طفيلَ» العرائسِ، فانتظـرْ قتلةَ «وضّاح اليمن»[(٢)].

قُلْ لبدنِك:

الدنيا منزلٌ وبيءٌ، والجنةُ وادي الريف.

وخاطبْ روحَك بغير هذه اللغة، قلْ له:

الدُنيا غُربةٌ، والأخرى وطنٌ.

ونادِ قلبَك بعبارةٍ أخرى:

الدنيا دارُ فرقةٍ، والآخرةُ محلُّ اللقاءِ.

---

(١) للمتنبي مِنْ قصيدته: عدوك مذمومٌ بكل لسانٍ، وصدره: كأنّ رقابَ الناسِ قالت لسيفِه. انظرْ: ديوانه ص٥١٣.

(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال، من آل خولان، من حمير: شاعر، رقيق الغزل، قُتِل نحو سنة ٩٠هـ. الأعلام (٣/ ٢٩٩).

مَنْ لاحَ له جمالُ الآخرةِ هانَ عليه فراقُ الدنيا.

مَنْ قوي عشقُهُ لأَجنبيةٍ طلَّقَ ربَّةَ البيتِ.

إذا لاحَ للباشقِ صيدٌ نَسِيَ مألوفَ الكفّ.

يا أقدامَ الصبرِ احملي، فقد بقيَ القليل.

تذكَّري حلاوةَ الدَّعة يهُنْ عليكِ مُرُّ السُّرى.

قد عَلِمتْ أين المنزل، فاحدُ لها تسِرْ.

قال أبو يزيد[1]: ما زلتُ أسوقُ نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سُقتُها وهي تضحكُ:

تغنَّ بالجَرْعاءِ يا سائقَها ... فإنْ وَنتْ شيئاً فزِدْها الأبْرقا

واغنَ عن السِّياطِ في أرجوزةٍ ... بحاجرٍ ترى السِّهامَ المُرَّقا

واستقبلِ الريحَ الصَّبا بخُطمِها ... تجِدْ سُرى ما وجدتْ مُسْتبقا

إنَّ لها عندَ الحِمى وأهلهِ ... لعُلَقاً مِنْ حُبّها وعَلقا[2]

***

(١) البسطامي، معروف، توفي سنة ٢٦١هـ. صفة الصفوة (٤/ ١٠٧).

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: درَّ لها خلفُ الغمامِ فسقى. انظرْ: ديوانه (٢/ ٣٢٢).
والعجز الأخير فيه: إن حملت لعلقاً وعلقا.

وكُلَّما تزجُرُها[١] حداتُها   رعى الحِمى ربُّ الغمامِ وسقى

حواملاً منا هموماً ثَقُلتْ   وأنفُساً لم تُبقِ إلا رمَقا

دامَ عليها الليلُ حتى أصبحتْ   تحسَبُ فجرَ ذاتِ عِرْقٍ شَفَقا

يَحْملننا وإنْ عرينَ قصَباً   وإنْ دَمِينَ أذرُعاً وأسْوقا

عرِّجْ على الوادي فقلْ عَنْ كبِدي   للبانِ ما شئتَ الجوى والحُرقا[٢]

يا هذا:

الجنةُ ترضى منكَ بالزهد.

والنارُ تندفعُ عنك بتركِ الذنب.

والمحبةُ لا تقنعُ إلا بالرُّوح:

إنَّ سلطانَ حُبّهِ   قالَ: لا أقبلُ الرُّشا[٣]

ضجَّتِ الملائكة حين همّوا بإلقاء الخليل في النار، وقالوا: ائذنْ لنا ندفع عنه. فقال: إنِ استغاثَ بكم فأغيثوه.

(١) في الأصل: تزجره. وهو سهو من المؤلف.

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: تربعتْ بين العُذيب فالنقا. والأبيات المختارة هي (٥، ٧، ١٢، ٨، ٢١). انظرْ: ديوانه (٢/ ٣٢٧-٣٢٨).
وقد مزج المؤلفُ بين أبيات القصيدتين كما ترى.

(٣) للشبلي. انظرْ: مصارع العشاق (١/ ٣٢٠)، وديوانه ص١٠٧.



ما سلكَ الخليلُ طريقاً أطيبَ من الفلاة التي دخلها حين خرجَ مِنْ كفّةِ الـمنجنيق.

زيارة تسعى فيها أقدامُ الرضا على أرضِ الشَّوق:

زرناكِ شـوقاً، ولو أن النَّوى بسطتْ　　فـرْشَ الفـلا بيننـا جَمْـراً لزرناكِ

رآه جبريلُ وقد ودَّعَ بلدَ العادةِ، فظنَّ ضعفَ أقدامِ الـمُتوكِّلِ، فعرضَ عليه زادَ: ألكَ حاجةٌ؟ فردَّه بأنفةٍ: أمّا إليكَ فلا.

قال: فسلْ مولاك.

قال: علمُه بحالي يغنيني عن سؤالي:

تـمَلّكوا واحتكموا　　وصـارَ قلبـي لهـمُ

تـصرَّفـوا في مُلكهم　　فـلا يُقـالُ ظلمـوا

إنْ وصلـوا محبَّـهم　　أو قطعُـوا فهُـمْ هُـمُ

يـا أرضَ سلْعٍ أخبري　　وحـدِّثيني عنهمُ

يا ليت شِعري إذ غدوا　　أأنجَـدوا أم أتهمـوا؟

مـا ضرَّهـم حين سَروا　　لـو وقفـوا وسلَّمـوا[1]

لما تكامَل توكُّلُ الخليل جاءتهُ مدحة: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[2]:

(١) للمؤلف. انظرْ: مثير العزم الساكن (٢/ ١١٠).

(٢) مِنْ سورة النجم، الآية ٣٧.

قالتْ لطيفِ خيالٍ زارها ومضى: بـــاللهِ صِفــهُ ولا تنقُــصْ ولا تزدِ
فقــالَ: خلفتُهُ لو مــاتَ مِنْ ظمأٍ وقلتِ: قــفْ عن ورُودِ الماءِ لم يرِدِ
قالتْ: صدقتَ الوفا في الحبِّ عادتُهُ يا بردَ ذاكَ الذي قالتْ على كَبِدي(١)

أبدانُ الـمُحبين بينكم، وقلوبُهم عند الحبيب.

طرقَ طارقٌ بابَ أبي يزيد فقال: ها هُنا أبو يزيد؟

فصاح مِنْ داخل الدار: أبو يزيد يطلبُ أبا يزيد فما يجده:

يــا حَمــامَ الدوحتــينِ لا تــغصَّـــصتَ ببَــيْنِ
نُــحْ فلا زلــتَ ظليلاً ســالــمَ الـقــادمــتينِ
وإذا أعــوزكَ الــدمــْ ـعُ فقُــلْ وابكِ بعَيني:
إنَّ قومــي يــومَ بانــوا فــرَّقـــوا بينــي وبيني
غادروا جسمي وقلبي مـعـهـم بالـعَـلَـميـنِ
فإذا كُنــتُ أنــا الرهـ ـنَ فمَنْ يقتضِ ديني؟

(١) للأمــير وجيه الدولة أبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة الحمداني. انظرْ: يتيمة الدهر (١/ ٩٢)، والمستفاد للدمياطي ص٢٣٠-٢٣١.
ونُسِــبت في «وفيات الأعيان» (١/ ١٢٩-١٣٠)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ١٩٨) إلى أحمد بن محمد ابن طباطبــا (ت: ٣٤٥هـ). وقد ذُكِرَ هذا التنازع في «ديوان الأمير وجيه الدولة الحمداني» ص١٣٤.

لقي بعضُ الجند إبراهيمَ بن أدهم في البرية فقال له: أين العُمرانُ؟ فأومأ بيدهِ إلى المقابر، فضربه فشجَّ رأسَــه. فقيل له: هذا ابنُ أدهم، فرجعَ يعتذرُ، فقال له إبراهيم: الرأسُ الذي يحتاجُ إلى اعتذارِك تركتهُ ببلخ.

يا قومُ رضيتُ في الهوى سـفكَ دمي — عــزي ذُلي وصحتــي في سَــقمي

مَــنْ باتَ على وعــدِ[1] اللقــا لم ينم — عــذّاليَ كُفّــوا فمِــنْ ملامــي ألمي

مرَّ رجلٌ بابن أدهم وهــو يَنْظُرُ كَرْماً، فقال: ناولنــي مِنْ هذا العِنب. قال: ما أذنَ لي صاحبُه. فقلبَ السـوطَ وضربَ رأسَه، فجعلَ يطأطئُ رأسَه ويقولُ: اضربْ رأساً طالـمَا عصى اللهَ:

مِنْ أجلكَ قد جعلــتُ خدي أرضا — للشــامتِ والحســودِ حتــى ترضى

مــولاي إلى متــى بهــذا أحظــى؟ — عُمْــري يفنــى وحاجتي مــا تُقضى

***

لــو قطّعنــي الغــرامُ إرْبــاً إرْبــا — مــا ازددتُ عــلى المَــلام إلا حُبّــا

لا زلــتُ بكــم أســيرَ وجــدٍ صَبّا — حتــى أقــضي عــلى هواكــم نَحْبا

كان ابــنُ أدهم إذا عُرِفَ في مكانٍ تحوَّلَ إلى غيره، لا يلبسُ ثيابَ الزُّهادِ وسيماهُ تنطقُ.

---

(١) في الأصل: مواعد. وهو سهو من المؤلف، وجاء على الصواب في المدهش (الورقة ٥٣أ) (نسخة الخزانة الحسنية المسماة كشف الحقائق).

محبتـــي لكـــمُ بـــين الورى شـــاعتْ ومهجتـــي عزهـــا بالذلِّ قـــد باعتْ

سرائري بلســـانِ الدمعِ قـــد ذاعتْ ما حيلتي ومفاتيح الحيلةِ ضاعتْ[١]

كان إبراهيـــم بن أدهم يســـتغيثُ مِنْ كـــربِ وجدِهِ، ويبـــولُ الدمَ مِنْ شدةِ خوفهِ:

كـــلَّمـــا زاد كـــربُـــهُ في هـــوى مَـــنْ يحبُّـــهُ

طار نحـــو الحبيب مِنْ شـــدةِ الشَّـــوقِ قلبُـــهُ

دَنِفٌ كـــادَ ينقـــضي بيـــدِ البَـــيْنِ نحْبُـــهُ

خـــبِّرونا عـــن العقيـ ـــقِ متى ســـارَ ركْبُهُ؟

اســـتغاث ابنُ أدهم يوماً مِنْ قلقهِ فقال: يا ربِّ: إن كُنتَ وهبتَ لأحدٍ مِـــنْ محبيك ما يســـتريحُ به فهبْ لي. فقيـــل له في نومهِ: وهل يَســـكنُ محبٌّ بغيرِ حبيبهِ؟!

الجســـمُ يذيبـــهُ الأســـى والسَّـهَـــدُ والقلـــبُ ينوبـــهُ الجـــوى والكَمَـــدُ

قـــد وَجـــدوا وهكـــذا مـــا وَجدوا مـــا جَـــنَّ بهـــم مثـــلَ جنـــوني أحَدُ

***

(١) كذا في الأصل.

شـــوقٌ وجـــوىً ونـــارُ وجـــدٍ تقدُ   مـــالي جلَدٌ ضعُفـــتُ مـــا لي جلَدُ[١]

❁ ❁ ❁

(١) لابن الخل البغدادي، وقبله:

ساروا وأقام في فؤادي الكمَدُ   لم يلـقَ كما لقيـتُ منهم أحَـدُ

انظـرْ: خريدة القـصر - القسـم العراقي (ج٣مـج١ص٣٨٤)، ووفيـات الأعيان (٤/ ٢٢٨).

وقد مزجه المؤلفُ بالبيتين قبله، وليس منهما.



الفصل الثاني عشر

لما عرفَ الصالحون قدرَ قيمة الحياة أماتوا فيها الهوى فعاشوا.

كان أحدُهم إذا قهرَ نفسَهُ بترك شهوةٍ أقبلَ يهتزُّ اهتزازَ الرامي قرْطَس.

انتهَبُوا بأكفِّ الجدِّ مِنَ الزمنِ ما نثرهُ زمنى البطالةِ:

وركـبٍ سرَوْا والليـلُ مُلـقٍ رُواقَهُ ... عـلى كلِّ مُغْـبرِّ المطالـعِ قاتـمِ

حدَوا عزَماتٍ ضاعتِ الأرضُ بينها ... فصـارَ سُراهُـمْ في ظهـور العزائمِ

تُريهـمْ نجـومُ الليـلِ ما يبتغونـهُ ... على عاتقِ الشَّـعرى وهامِ النَّعائمِ[1]

هانَ عليهم طولُ الطريقِ لعلمهم أين المقصد.

وحَلَتْ لهم مراراتُ البلاء حبّاً لعواقبِ السَّلامة.

فيا بُشراهم يومَ ﴿هَـٰذَا يَوۡمُكُمُ﴾[2].

دخل محمـدُ بنُ كعب القُرَظي[3] على عمر بـن عبدالعزيز[4] وقد غيَّرهُ الزهدُ، فلم يعرفه، فقال له عمر: فكيف لو رأيتني بعد ثالثةٍ في قبري؟!

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: ألا ليت أذيال الغيوث السواجم. انظرْ: ديوانه (٢/ ٣٨٢).

(٢) مِنْ سورة الأنبياء، الآية ١٠٣.

(٣) تابعي مدني إمام، توفي سنة ١١٧هـ، وقيل بعد ذلك. صفة الصفوة (٢/ ١٣٢).

(٤) الخليفة الأموي الصالح، توفي سنة ١٠١هـ. صفة الصفوة (٢/ ١١٣).

لم تُبقِ فيهمْ حزازاتُ الهوى وجوى الـ أحـزانِ غـيرَ خيـالاتٍ وأشـباحِ
تـكادُ تنكرُهُـمْ عـينُ الخبـيرِ بهمْ لـولا تـردُّدُ أنفـاسٍ وأرواحِ

كان وُهيب بنُ الـورد[1] قد نحلَ من التعبُّد، فكانت خضرةُ البقلِ تبيُن تحت جلدةِ بطنهِ:

زعمـتَ لا يُـبلي هـواكَ بـدَني بـلى وحُـبّيـك بـلى لقـد بَـلِي
دارُك تـدري أنـهُ لـولا الهـوى مـا طُـلَّ دمُ مُـقلـتـي في طلـلِ

مَنْ عرفَ ما يطلبُ هانَ عليه ما يبذلُ:

وكـم نـاحلٍ بـين تلـك الخيـا مِ تحسبُـهُ بعـضَ أطنـابِهـا[2]

قالوا لأبي بكر النهشـلي[3] -وهو في المـوت-: اشربْ قليلًا من الماء. فقال: حتى تغربَ الشمس.

نفَّـرَها عـن وِرْدهـا بحـاجـرِ شـوقٌ يعُـوقُ المـاءَ في الحنـاجرِ
ورَدَّهـا عـلى الطَّـوى سـواغِباً ذلُّ الغـرامِ وحـنينُ الذاكـرِ[4]

---

(١) مـن الطبقة الثالثة مـن المصطفين من عُبّاد أهل مكة، توفي سـنة ١٥٣هـ. صفة الصفوة (٢/ ٢١٨).

(٢) لصردر مِنْ قصيدته: تفيضُ نفوسٌ بأوصابها. انظرْ: ديوانه ص ١٢٩.

(٣) من علماء الكوفة، في اسـمه أقوال، ولا يعرف إلا بكنيته، توفي سنة ١٦٦هـ. سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣٣).

(٤) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٢/ ٦٦). وفيه: ذل الغريب وحنين الزاجر. وفي «مثير العزم الساكن» (١/ ١٣٩): ذل الغريب وحنين الذاكر.

كانوا كلَّما دخلوا سِكَّةً مِنْ سِكَكِ السُّكون، شرَعَ بهم الخوفُ في شارعٍ مِنْ شوارعِ القلق:

الذنوبُ تُؤيسني والمُنى تناجيني
والرجاءُ ينشرُني والحذارُ يطويني
حبُّكم يُقلقلني والبعادُ يُبليني
إنْ سكرتُ يُضحكني أو صحوتُ يُبكيني
كلَّما يئستُ أتى قادمٌ يُمنِّيني
إنْ طردْتَني أملي مَنْ سواك يُؤويني؟
قد قصدتُ بابَكم في شعارِ مسكينِ
والفؤادُ يطلبُكم طائعاً ويَعصيني
إنْ أبُحْ بحبكم فهو باحَ بي دُوني
والمُحبُّ حالتُهُ حالةُ المجانين[1]
قلتُ للعذولِ وقد رامَ أنْ يُسليني:
عذلُكمْ لكمْ، ولكمْ دينُكُمْ وليْ ديني

لو أشرفتَ على وادي الدُّجى لرأيتَ خيمَ القومِ على شواطئِ أنهارِ البكاء.

---

(١) جاء هذا البيت في قصيدة لابن قزمي البغدادي (ت: ٥٥٣هـ)، قال العماد في «خريدة القصر» (٢/ ٣٤٠) في ترجمته: «وله من أخرى:

يا لجآذر العينِ فتنتي وتَحْييني».

والبيت المذكور هو الثامن، فهل هذه الأبيات له؟ أشك في ذلك فالغرضان مختلفان.

خلوا - والله - بالحبيب، وطالَ الحديث:

أتُرى طيفكُمُ لمّا سرى ... أخذَ النومَ وأعطى السَّهرا؟
ما نلُومُ الليلَ بل نعذرُهُ ... إنّما طوّلَهُ مَنْ قصَّرا
يا عيُوناً بالغضا ساهرةً[١] ... حرّمَ اللهُ عليكنَّ الكَرى
لو عَدلتُنَّ تساهَمْنا جوىً ... مثلَ ما كنّا اشتركنا نَظَرا
حبَّذا فيك حديثٌ باطنٌ ... فطِنَ الدمعُ به فانتشرا[٢]

مَنْ لم يكن له مثلُ تقواهم، لم يعلمْ ما الذي أبكاهم.

مَنْ لم يشاهِدْ جمالَ يوسف، لم يعرفْ ما الذي آلَمَ قلبَ يعقوب.

مَنْ لم يبتْ والحُبُّ حشوُ فؤادهِ ... لم يدرِ كيف تَفَتُّتُ الأكبادِ[٣]

كان أبو عبيدة الخوّاص يمشي في الطريق ويصيحُ: وا شوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراه:

هذا ولَهي وكم كتمتُ الولَها ... صوناً لحديثِ مَنْ هوى النفسِ لَها
يا آخرَ محنتي ويا أوّلَها ... أيّامُ عنائي فيكَ ما أطولَها؟[٤]

---

(١) في الديوان: راقدة.

(٢) للخفاجي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه ص٤٣٨-٤٣٩، والمدهش (٢/ ٦٠٠).

(٣) أنشده السري السقطي. انظرْ: صفة الصفوة (٢/ ٣٧٧). وابن الجلاء. انظرْ: تاريخ دمشق (٦/ ٩٢).

(٤) لمحمد بن المبارك البغدادي المعروف بابن الخل (ت: ٥٥٢هـ). انظرْ: خريدة القصر - القسم العراقي (ج٣مج١ص٣٨٥)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٢٨).

يا مُتخلِّفاً في أعقابِهم:

علِّقْ على قطارِهم.

قد كانـت لك ليالي مناجاةٍ، ثم طبَقتَ الدُّسـتورَ، وقطعـتَ المعاملةَ، فاندبْ زمانَ الوصالِ، لعلَّ حالاً تحول:

يـا ليلتـيْ بحاجـرٍ إنْ عادَ ماضٍ فارجِعي

قالوا: الصباحُ فانتبهْ فقال لي الطيفُ: اسمعِ

فقمتُ مخلوطاً أظنـ ـنُ البازلَ ابـنَ الرُّبعِ

حـيرانَ طـرفي دائـرٌ أطلـبُ مَنْ ليس معي

أرضى بأخبـارِ الريـا حِ والـبرُوقِ اللُّمّـعِ

وأين مِنْ بـرقِ الحِمى شـائمُـهُ بلعلـعِ؟

أفرَشـني الجمرَ وقـا ل: إنْ أردتَ فاهجعِ[1]

أصعبُ الأشياء:

الهجرُ بعد الوصال.

والبُعدُ بعد الاتّصال:

يـا ليلَتـيَّ بـذاتِ الشِّـيح والضَّالِ ومَنْبـتِ البان مِـنْ نَعـمانَ عُودا لي

(١) لمهيـار الديلمي مِنْ قصيدته: لي عند ظبي الأجرعِ. والأبيات المختارة هي (٦، ١٠-١٤، ٥٢). انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٠٤-٢٠٧).

ويـا مرابـعَ أطـلالي بـذي سَـلَمٍ لَهْفي على ما مـضى مِنْ عَصْرِكِ الخالي

ويـا مـآربَ نفـسي والذيـن هُـمُ بالوصـلِ والهجـرِ إعـلالي وإبلالي

قد كان قلبي بكمْ مأوى السرورِ فمُذْ نأيتـمُ صـار مـأوى كلِّ بَلْبـالِ

فلو شريتُ بعُمْري سـاعةً سـلفتْ مِنْ عيشـتي معكمْ مـا كانَ بالغالي

مـالي أُعلّلُ نفـسي بالوُقـوف على منـازلٍ أقفـرتْ منكـمْ وأطلالِ؟

قالوا: تشـاغلَ عنّـا واصطفى بدلاً منّـا، وذلـك فعـلُ الخائنِ السـالي

وكيف أشـغَلُ قلبي عـن مودَّتكمْ بغـيرِ ذكركمُ يـا كُلَّ أشـغالي؟![1]

❁ ❁ ❁

---

(١) نُسِبت الأبيات في «المدهش» (٢/ ٦٠٥) إلى مهيار، وليست في ديوانه.
وقد أورد المؤلفُ الأبيات (١، ٢، ٦) في كتابه مثير العزم الساكن (٢/ ١٠٢) ونسبها إلى ابن البياضي. (وهو الشاعر مسعود بن المحسن الهاشمي البغدادي المتوفى سنة ٤٦٨هـ. وترجمته في المنتظم: ١٦/ ١٧٥ وغيره).

الفصل الثالث عشر

يا صبيانَ التوبة:

للنفس حظٌّ، وعليها حقٌّ، ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾[١]، وزنوا بالقسطاس، فإنْ رأيتم من النفوس فتوراً فاضربوهنَّ بسَوطِ الهجر، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾[٢].

ارفقوا بمطايا الأبدان، فقد ألفتِ الترفَ، ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾[٣]:

هبَّ لها مِنَ النسيمِ رائدُ ... فعادَها من الغرامِ عائدُ
نوقٌ حمى عنها الحِمى طيبَ الكرى ... فهْيَ كما شاءَ السُّرى سواهدُ
أنحلَها تحت الدؤوب أيْنُها ... فمارتِ الأنساعُ والقلائدُ
فلا تخالِفها إذا ما التفتتْ ... شوقاً إلى بانِ الحِمى يا قائدُ
وقل لها: لعاً إذا ما عثرتْ ... فهْيَ بحملِ وَجدها تُكابِدُ
مذ حكم البَيْنُ عليها لم تزلْ ... تبكي عليها البِيْدُ[٤] والفدافدُ

(١) مِنْ سورة النساء، الآية ١٢٩.
(٢) مِنْ سورة النساء، الآية ٣٤.
(٣) مِنْ سورة الطلاق، الآية ٦.
(٤) في الأصل: البين. وهو سهو من المؤلف. والتصحيح من «المدهش» (٢/ ٤٧٨).

يا صبيانَ التوبة:

«إنَّ هذا الدينَ متين، فأوغلوا فيه برفق»[١].

لا تحملوا على النفوس فوقَ الطاقــة، إلا أنْ تتمكنَ المحبة، فلها حينئذٍ حكمُها:

دعوها تــردْ بعد خمــسٍ شُرُوعا	**وأرخُــوا أزمَّـتــها والنُّسوعــا**
وقولــوا دعــاءً لهــا: لا عُقِرْتِ	**ولا امتــدَّ دهـــرُكِ إلا ربيعــا**
حملــنَ نشــاوى بــكأس الغــرا	**مِ، كُــلٌ غــدا لأخيــهِ رضيعــا**
طــوال الســواعِدِ شُــمّ الأنــو	**فِ طابوا أصــولاً وطالوا فروعا**
أحبُّــوا فُــرادى ولـكنـهـمْ	**عــلى صيحةِ البَـيْنِ ماتــوا جميعا**
حمــوا راحــةَ النــوم أجفــانَهم	**ولفّوا عــلى الزَّفَــراتِ الضُّلوعا**
أسُــكَّانَ رامــةَ هــل مِــنْ قِرى	**فقــد دفَــعَ الليلُ ضيفــاً قنوعا؟**
كفــاهُ مِــنَ الــزادِ أنْ تمهــدوا	**لــهُ نظــرَاً وحديثــاً وســيعا[٢]**

يا صبيانَ التوبةِ:

اصبروا وصابروا.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسـند» (٣/ ١٩٨) برقم (١٣٠٧٤) مــن حديث أنس، وقال محققه: «حسن بشواهده، وهذا إسناد ضعيف».

(٢) لمهيــار الديلمي مِنْ قصيدة. والأبيات المختارة هــي (١، ٣، ٥، ٤٨، ٦، ٧، ٢١، ٢٢). انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٢٢-٢٢٥).

مكابدةُ الباديةِ تهونُ عند ذكْرِ مِنى.

أكبرُ معينٍ على طولِ الطريقِ نسيمُ دارِ الحبيب.

تولَّعي يا نسماتِ نجدِ ... بالشِّيحِ في ذاك الحِمى والرَّندِ

لعل ريّاكِ إذا ما نفحتْ ... تُبدلُ حرَّ لوعتي ببردِ

أستودعُ اللهَ بها قلبي فقدْ ... طالَ به بعد الرحيل عهدي

كان معي قبل الفراق لهمُ ... ثم رحلتُ وأقامَ بعدي[1]

أيها الراكبُ:

حُثَّ الناقةَ فلها خِبرةٌ بالمنزل:

ما ذَكرتْ على العقيق نجداً ... إلا وحنّتْ طرَباً ووجدا

تودُّ لو تملكُ مِنْ بانِ اللِّوى ... ظلاً، ومِنْ ماءِ النُّقيب وِردا

إنكَ إنْ سرتَ بها مُنَكِّباً ... عن العقيق جئتَ شيئاً إدّا

إنْ ونتْ في السير ركائبُكم، فأقيموا حُداةَ العزمِ تُدْلج:

البِيْنَ يا أيدي المطايا البِيْنا[2] ... لا تشكّي شَوطَكِ البَطينا

يا حاديها مِنْ نُمير عامرٍ ... خُذا بها عن حاجرٍ يمينا

حُلّا على وادي الغَضا نُسُوعَها ... وأرخيا برامةَ الوضينا

---

(١) لحماد بن منصور البزاعي. انظرْ: خريدة القصر - قسم شعراء الشام (٢/ ١٣٣).

(٢) ضبط المؤلف الباء بالكسر، ومن معاني البِين: الناحية، والفصل بين الأرضين، وقدر مد البصر كما في القاموس ص ١٥٢٥-١٥٢٦.

رِدا بهـا مـاءَ العُـذيب علّـهُ يَشـفي ويُطفـي داءَهـا الدفينـا
واسْتَخْبِرا بالجِـزع أنفـاسَ الصَّبا أيـن استقلَّ الجـيرةُ الغادونـا[١]

***

حنَّتْ فأذكتْ لوعتي حنينـا أشكو من البَـيْنِ وتشكو البِيْنا[٢]
قد عاشَ في أشخاصها طولُ السُّرى بقـدْرِ مـا عـاثَ الفـراقُ فينـا
فخلّهـا تمشي الهُوَينـا طـالَ مـا باتـتْ تُبـاري الريـحَ في البُرينـا
وكيـف لا نـأوي لهـا وهـي التي بها قطعنـا السـهلَ والحُـزونا؟
إنْ كُـنَّ لا يُفصحنَ بالشكوى لنا فهُـنَّ بـالأرزامِ يَشتكينـا
قـد أقرحتْ بـما تجِنُّ كبِدي إنَّ الحزيـنَ يُسْعِـدُ الحزينـا
لـو عذُبتْ لهـا دموعـي لم تبتْ هيماً عطاشـى وتـرى المَعينـا
وقـد تيـاسرتَ بهـنَّ جائـراً عـن الحِمـى فاعـدلْ بهـا يمينـا
أكلَّمـا لاحَ لعينـي بـارقٌ بكتْ فأبـدتْ سرّيَ المَصُونا؟

---

(١) هذا البيت كان ضمن قصيدة الحصكفي الآتية، بعد قوله:
وقد تياسرتَ بهـنَّ جائراً عن الحِمى فاعدلْ بها يمينا
وهو سهو من المؤلف، وموضعه هنا كما في «المدهش» (١/ ٢٧٤)، و«المقامات» (الورقة ٨٠ ب)، ويدلُّ على ذلك أيضاً الخطابُ للمثنى فيه.
وقد أورد المؤلف هذه الأبيات في «المدهش»، ولم ينسبها إلى قائل، ولم أجدها.
(٢) ضبط المؤلف باء (البين) الثانية بالكسر. وكذلك فإنه مزج هذه القصيدة بما قبلها.



يقولُ صحبي: أترى آثارَهُمْ؟ نعم، ولكنْ لا أرى القَطينا

لو لم تجِدْ ربوعُهم كوَجدِنا للبَيْنِ لم تبْلَ كما بَلينا

***

ليْ عندَهم دَيْنٌ فكيف أخَذُوا قلبي بدَيْنٍ عندَهُمْ رهينا؟[1]

❁ ❁ ❁

(١) ذُكِرتْ هذه القصيدة - عدا السابع والأخير - في المدهش (المطبوع) (١/ ٣٦١)، ونُسبت إلى المؤلف، وهذه النسبة غير صحيحة، فقد ذكر ابنُ الجوزي نفسه هذه القصيدة لأبي الفضل الحصكفي: يحيى بن سلامة (ولد بعد سنة ٤٦٠-٥٥٣هـ). انظرْ: المنتظم (١٨/ ١٣٢-١٣٣)، وليس فيها الأخير. وكذلك لم يذكر في القصيدة في «خريدة القصر». والذي فيها:

لا تأخذوا قلبي بذنبِ مقلتي وعاقبوا الخائنَ لا الأمينا



الفصل الرابع عشر

لما تمكنت المعرفةُ مِنْ قلوبِ العارفين اشـتغلوا بمعروفِهم حتى غاب[١] الإحساسُ عن الخلقِ.

كان مسلم بنُ يسار[٢] إذا صلَّـى يقولُ لأهله: تحدَّثوا فإني لا أسمعكم.

ووقعَ سقفٌ إلى جانبه فما أحسَّ به:

إنّ في الأسر لصبّـا دمعُـهُ في الخد صَبُّ

هــو بالـروم مقيمٌ ولهُ بالشـام قلبُ[٣]

لما استحضرهم الحقُّ غابوا عن الخلق:

ولقد جعلتُـكَ في الفـؤادِ مُحدِّثي[٤] وأبحتُ جِسْـمي مَـنْ أرادَ جلوسي

فالجسـمُ منـي للجليـسِ مُؤانِسٌ وحبيـبُ قلبـي في الفـؤادِ أنيسي[٥]

كانت عيونُهم ترعى في كلِّ ما يُسْتَحسنُ، فلما رأتْ يوسفَ تعرقلتْ:

---

(١) في الأصل: غابت، وهو سهو.

(٢) من الطبقة الثانية من المصطفين من عُبّاد أهل البصرة، توفي سـنة ١٠٠هـ أو ١٠١. صفة الصفوة (٣/ ٢٣٩)، والبداية والنهاية (١٠/ ٤١).

(٣) لأبي فراس الحمداني. انظرْ: ديوانه ص٣٠.

(٤) مرَّ في الفصل التاسع.

(٥) أنشدتها رابعة بنت إسماعيل زوج أحمد بن أبي الحواري. انظرْ: التبصرة (١/ ٢٩٤).

وكان فـؤادي خالياً قبـل حبِّكمْ[(١)] وكان بذكـرِ الخلـقِ يلهـو ويمرحُ
فلـمّا دعـا قلبـي هـواكَ أجابَـهُ فلســتُ أراهُ عَـنْ فِنائِـكَ يـبرَحُ
رُمِيــتُ ببُعــدٍ منكَ إنْ كنــتُ كاذباً وإنْ كنــتُ في الدنيــا بغـيركَ أفرَحُ
وإنْ كان شيءٌ في البـلادِ بأسْرِهـا إذا غبـتَ عَنْ عينـيْ بعينـيَ يمْلُحُ
فإنْ شئتَ واصلني وإنْ شئتَ لا تصلْ فلســتُ أرى قلبي لغيرِكَ يصلُحُ[(٢)]

قويتِ المحبةُ عندهم فاستعجلوا الرحيلَ لقلةِ الصبرِ عن الحبيب.

كان فتح الموصلي يقول: سـيدي كـم تتركني في أزقَّـة الدُنيا محزوناً؟ اقبضني إليك.

وكان ابنُ شخرف يقول: قد طالَ شوقي إليك، فعجّلْ قدومي عليك:

يـا مَـنْ بحبـالِ وصلـهِ أَمْتَسِـكُ صـبري مفتضـحٌ وسـترهُ منهتكُ
هــذا قلبــي أعـزُّ مــا أمتلــكُ عذِّبْـهُ فـما عليـكَ فيـه دَرَك

***

مـا زُرتُ حمـاك والدُّجى مُشـتبكُ إلا ضـل البدر ثـم[(٣)] طـاحَ الفلكُ
مـا مثـلُ هـواك للمنايـا شَرَكُ عشّـاقُك قبلَ سـلِّ سـيفٍ هلكوا

---

(١) مرَّ في الفصل التاسع.
(٢) لسمنون كما سبق ذكرُه.
(٣) كذا، ولعل الصواب: و.



ما يصبرُ القومُ عن مناجاةِ حبيبِهم لحظة.

ولا يتكلَّمون في غير رضاهُ بلفظة.

فإنْ سُلِبوا لذّةَ المحادَثة، ضجُّوا لتلك الحادثة:

يا يوسفُ صِلْ فإنني يعقوبُ ... دمعي ودمي كلاهما مسكوبُ

والنومُ إذا هجرتني مسلوبُ ... ما أصبرَني كأنني أيوبُ؟!

وكيف لا يضجُّ المُشتاق، أوَ يُحملُ الهجرُ ويُطاقُ؟!

أنتَ الحبيبُ الذي لا شكَّ في خلَدِي ... منهُ فإنْ فقَدَتْكَ النفسُ لم تعِشِ

يا مُعطشي بوصالٍ كنتَ واهبَهُ ... هل فيكَ لي راحةٌ إنْ صِحتُ: واعطشي؟[(١)]

أشدُّ آيةٍ نزلتْ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[(٢)]:

صدٌّ وهجرٌ وجَفا ... ورسمُ دارٍ قد عفا

لم يبقَ إلا نَفَسٌ ... لولا التمنّي لانطفا

يوحي اللهُ عزّ وجلّ إلى جبريل: اُسلبْ عبدي حلاوة مناجاتي، فإنِ استغاثَ بي فرُدَّها، وإلا فلا تردَّها عليه أبداً[(٣)].

---

(١) لسمنون. انظرْ: طبقات الصوفية ص١٩٧.

(٢) مِنْ سورة محمد، الآية ٣٨.

(٣) ذكره ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٤٣٤) عن أبي سليمان الداراني بلفظ: «اسلب عبدي ما رزقته من لذة طاعتي، فإن افتقدها فردَّها إليه، وإن لم يفتقدها فلا تردَّها عليه أبداً أبداً».

أيهـا الغضبـانُ جُـدْ لي بالرضا وارحـمِ القلـبَ وإلا افتضحـا

كلُّ سـكرانٍ صحـا مِنْ سُـكرِهِ وفـؤادي مِـنْ هواكـم ما صحا

وكيف لا ينزعجُ مَنْ فقَدَ طيبَ مناجاةِ حبيبهِ؟

والطفـلُ يؤلـمُـهُ الفطـام(١)

كان الشبلي يقول في مناجاته:

ليت شعري، ما اسمي عندَك يا علامَ الغيوب.

وما أنت صانعٌ في ذنوبي يا غفارَ الذنوب.

وبمَ تختمُ عملي يا مقلِّبَ القلوب؟

وكان يصيحُ في جوف الليل:

قرةَ عيني، وسرورَ قلبي: ما الذي أسقطني مِنْ عينِك؟

هجـرانُكَ قـاتلي سـريعاً والهجرُ مِـنَ الحبيبِ قاتلْ

إنْ كنتَ نسـيتَني فعندي شُغلٌ بك لا يـزال شاغلْ

قلبي يهواكمُ فليت شعري ما أنتَ بـذا المُحبِّ فاعلْ؟

حقّـاً قد قلتُ يا سروري لا دعـوى ولـي دلائـلْ

(١) نُسِبَ إلى عمر بن الخطاب !! انظرْ: المستطرف (٢/ ٥٩٠).

شـــوقٌ وجوىً ونارُ وجدٍ تُذْكَـى بعظائـم البلابلْ

سائِلْ دمعي فجفنُ سائل[1] لا يــبرحُ للبــلاءِ ســائلْ

إنْ جــنَّ الليلُ يــا حبيبي جُــنَّ القلبُ في الرســائلْ

أبكي ما كان مِــنْ وصالٍ والحــزنُ تهيجــه المنــازلْ

هــذا خــدّي عــلى ثراكم لا أبــرحُــــهُ ولا أزايـــلْ

إنْ أنــتَ طردتنــي فوَيْلي بعد الإعراضِ مَنْ أواصِلْ؟

كلّا، والجــودُ لي شــفيعٌ والجودُ مُقَدَّم الوســائلْ[2]

❁ ❁ ❁

(١) في «المدهش» (١/ ٤١٣): فجفن عيني.

(٢) هذه القطعة من مجزوء الدوبيت، وانظرْ ما قاله عنها الدكتور كامل مصطفى الشــيبي في كتابه «ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون» ص١٩٩-٢٠٠.

الفصل الخامس عشر

يا هذا:

الجنّةُ فوقك تُزخرَفُ، والنار تحتك تُوقَدُ، وربما كان كفنُك اليومَ يُغْزَلُ.

أيقظانُ أنتَ اليــومَ أم أنتَ نائمُ؟[١]

ويحك، العمرُ ظلٌّ زائلٌ:

تمتـعْ مِـنْ شـميمِ عَـرارِ نجـدٍ فـما بعـد العشـيةِ مِـنْ عَـرارِ[٢]

تجافَ الملاذَ بالملاذِّ فعاقبتُها وخمٌ.

شرابُ الهوى حلو، لكنه يُورِثُ الشَّرَق.

ظباءَ الحِمى ما أخصبَ العيشَ عندَكم وأنــضرَهُ لــو لم يكنْ دونــهُ الرَّدى؟

مَنْ تذكَّرَ خنقَ الفخ هانَ عليه هجرُ الحبّة.

يا مُعرْقلاً في شرَكِ الهوى: حمزةُ عزْمٍ وقد خرقتَ الشبكة.

---

(١) كان عمر بن عبدالعزيز يتمثلُ بــه وتتمته: وكيف يطيق النوم حيران هائم؟ ومعه أبيات أخرى، وهي لعبدالله بن عبدالأعلى. انظرْ: مناقب عمر بن عبدالعزيز ص ٢٦١-٢٦٢، وصفة الصفوة (٢/ ١٢٤).

(٢) للصمة بن عبدالله القشيري. انظرْ: ديوان الحماسة (٢/ ١٠٢).

ستدري من يُذرِي دموعَ الأسى

إذ يلتقــي كلُّ ذي دَيْــنٍ وماطلُــهُ[١]

إن عدّدتَ ديونك[٢] عليك عُدّدتْ عليك.

إذا رأيتَ نفسَــك متخبِّطاً لا مع المحبين ولا مع التائبين، فابسُــطْ رمادَ الأسف، واجلسْ مع رفيقِ اللَّهف، وابعثْ رسالةَ القلق مع بريدِ الصُّعداء، لعله يأتي الجوابُ بكشفِ الجوى:

ولي زفــراتٌ لــو ظهــرنَ قتلنني   تســوقُ التي تــأتي التي قــد تولّتِ

إذا قلتُ: هذي زفرةُ اليوم قد مضتْ   فمَــنْ لي بأخرى مثلها قــد أطلَّتِ[٣]

***

حلفــتُ لهــم بــالله مــا أُمُّ واحــدٍ   إذا ذكرتْــهُ آخــرَ الليــل أنّــتِ

ومــا وجْــدُ أعرابيّــةٍ قذفــتْ بهــا   صروفُ النَّوى مِنْ حيثُ لم تكُ ظنَّتِ

تمنّــتْ أحاليــبَ الرِّعــاءِ وخيمــةً   بنجــدٍ فلــم يُقْــدرْ لهــا مــا تمنّتِ

إذا ذكــرتْ مــاءَ العُذيــب وطيبَــهُ   وبــرْدَ حصــاهُ آخــرَ الليــل حنّتِ

لهــا أنّــةٌ وقــتَ العِشــاءِ وأنّــةٌ   سُــحيراً فلــولا أنَّتــاها لجُنَّــتِ

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: يا ظبية البان ترعى في خمائله. وتتمته: منا ويجتمع المشــكوّ والشاكي. انظرْ: ديوانه (٢/ ١٠٨). وقد مرَّ في الفصل (٩).

(٢) لم تنقط وربما كانت: ذنوبك.

(٣) لقيس بن ذريح. انظر: عيار الشعر ص ١٣٧. واقرأ تعليق المحقق.

بأكثرَ مني لوعةً غير أنني   أُجمْجمُ أحشائي على ما أجَنّتِ[١]

يا مَنْ فقَدَ قلبَهُ، وعُدم التحيّلَ في طلبهِ:

تنفَّسْ مِنْ كربِ الأسى، فبريدُ اللطفِ يحملُ الـمُلَطّفات.

ريحُ الأسحار ركابيُّ الرسائل، ونسيمُ الفجر ترجمانُ الجواب:

فيا ريحَ الصَّبا اقترحي   على الأحشاء واحتكِمي

أراكِ نسمتِ تختبريـ   ـنَ ما عهدي وما ذمَمي

فهذي في يدي كبِدي   وذا في وجنتيَّ دمي

سلامٌ كلَّما ذُكِرتْ   ليالينا على سَلَمِ[٢]

أبوابُ الملوك لا تُطرقُ بالأيدي، بل بنفَسِ الـمُحتاجِ:

آه والشَّوق ما تأوهتُ منه   لليالٍ بالسَّفحِ لو عُدْن أخرى

قلِّبوا ذلك الرمادَ تُصيبُوا   فيه قلبي إنْ لم تصيبُوا الجمرا[٣]

---

(١) قال في «الحماسة البصرية» (٣/ ١٠٩٨): «قال طارق بن نابي -وفيها أبيات تروى لابن الدمينة وهي: وما وجد أعرابية-. وطارق كان في زمن الرشيد». وثم اختلاف ألفاظ.
وعنه ديوان ابن الدمينة ص٢٠٢-٢٠٤ (والتخريج ص٢٦١).
ومِنْ مصادر هذه الأبيات: «الأمالي» للزجاج ص٢٤، و«الزهرة» (١/ ٢٧٩-٢٨٠).
وأورد المؤلف الأبيات في «مثير العزم الساكن» (٢/ ٩٣) مثل ما في هذه المصادر، ولم ينسبها.

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: لمن دارٌ على إضم. انظرْ: ديوانه (٣/ ٢٨٨).

(٣) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: حيها أوجهاً على السفحِ غُرّا. انظرْ: ديوانه (١/ ٤٠٦-٤٠٧).



أيها المطرود:

بتْ ببيتِ الأحزان، فنعِمَ الدار.

واستقبلْ قِبلةَ التضرّع.

وقُلْ في الأسحار:

قــد قلقَ الجنــبُ وطــار الكرى	وأظلــمَ الجَــوُّ وضــاقَ الفضــا
لا تُعطــش الــزرعَ الــذي نبْتُــهُ	بصــوبِ إنعامِــكَ قــد رُوِّضــا
إنْ كــانَ لي ذنــبٌ تجرّمتُــه	فاســتأنفِ العفوَ وهــبْ ما مضى
لا تــبرِ عُــوداً أنــتَ ريّشتَــهُ	حاشــى لبــاني المجــدِ أنْ يَنْقُضا
وكيــف لا أبكي لإعــراضِ مَنْ	أعرضَ عنّي الدهــرُ إذ أعرَضا؟
قــد كنتُ أرجــوهُ لنيلِ الــمُنى	فاليــومَ لا أطلُــبُ إلا الرضا(١)

يا سحائبَ الأجفان:

أمطري على رباعِ الذنوب.

يا ضيفَ الندمِ على الإسراف:

اسكُنْ شَغافَ القلوب.

---

(١) للشريــف الرضي مِنْ قصيدته: كيف أضاء البرق إذ أومضــا. انظرْ: ديوانه (١/ ٥٧٥- ٥٧٦) باختلاف يسير.

يا أيامَ الشيب:

إنما أنتِ بين داعٍ ووداعٍ، فهل لماضٍ من الزمانِ ارتجاع؟

قفا ودِّعا نجداً ومَنْ حلَّ بالحِمى ... وقلَّ لنجدٍ عندنا أنْ تُودَّعا

فليس عشياتُ الحِمى برواجعٍ ... عليك ولكنْ خلِّ عينيك تدمعا

تلفتُّ نحو الحيِّ حتى وجدتُني ... وجِعتُ من الإصغاء لِيْتاً وأخدَعا

وأذكرُ أيامَ الحِمى ثم أنثني ... على كبِدي مِنْ خشيةٍ أنْ تصدَّعا[١]

لابُدَّ - والله - مِنْ نفوذ القدَر، فاجنحْ للسَّلم:

كم بالمُحصّب من عليـ ... ـلِ هوىً طريحٍ لا يُعلَّلْ

وقتيلِ بَينٍ بَيْنَ خيْـ ... ـفِ مِنى وجَمْعٍ ليس يُعْقلْ[٢]

كان إبليسُ كالبلدةِ العامرةِ، فوقعتْ فيها صاعقةُ الطرد ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾[٣]:

مَنْ لم يكن للوصال أهلاً ... فكُلُّ إحسانهِ ذنوبُ[٤]

أيُّ تصرُّفٍ بقيَ لك في قلبِك وهو «بين أُصبعين»[٥]؟!

---

(١) للصمة بن عبدالله القشيري. انظرْ: ديوان الحماسة (٢/ ٨٧-٨٨).

(٢) للسراج. انظرْ: مصارع العشاق (٢/ ٨٧)، ومثير العزم الساكن (٢/ ١٠١-١٠٢).

(٣) مِنْ سورة النمل، الآية ٥٢.

(٤) أنشده الشبلي. انظرْ: ديوانه ص٨٩.

(٥) إشارة إلى حديث: «إنَّ قلوبَ بني آدم كلها بين إصبعين مِنْ أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ يصرِّفه حيث يشاء» أخرجه مسلم برقم (٦٩٢١).

يـا قلـبُ إلامَ تُطـالـبُـنـي بلقا الأحبابِ وقد رحـلوا؟

أرسـلتُك في طـلـبـي لهـمُ لتعـودَ فضعتَ ومـا حصلوا

سـلِّمْ واصبرْ واخضـعْ لهمُ كم مثلَـك قبلَكَ قـد قتلوا!

مـا أحسـنَ مـا علّقـتَ به آمالَـك منهـمْ لـو فعلـوا؟





الفصل السادس عشر

يا مَنْ سُلطانُ شبابِهِ قد تولّى.

وأميرُ الضَّعفِ عليهِ قد تولى:

هذا مِعْولُ الكِبَرِ يُعرْقبُ حيطانَ الأجل.

ومِنَ الهوسِ أحاديثُ الأمل.

قفْ على ثنيّةِ الوداع نادباً قبلَ الرحيل ديارَ الأُلفة:

يا منزلاً لم تبلَ أطلالهُ ... حاشى لأطلالِكَ أنْ تبلى

والعيشُ أولى ما بكاهُ الفتى ... لا بدَّ للمحزُون أنْ يسلى

لم أبكِ أطلالَك لكنني ... بكيتُ عيشي فيك إذْ ولى[1]

كان يزيد الرقاشي[2] يقولُ في بكائه: يا يزيد: مَنْ يبكي عنكَ بعدَك؟ مَنْ يترضّى لكَ ربَّك؟

أحبكمُ ما دمتُ حياً فإنْ أمُتْ ... فوا كبِدي ممَّنْ يحبُّكمُ بَعْدي[3]

ويحك، استدركْ زماناً يفوت.

(١) تمثّلتْ بها الجاريةُ متيم ومعها بيتان آخران. انظرْ: الأغاني (٧/ ٣٢٠). والثاني فيه هو الأخير.

(٢) يزيد بن أبان، من الطبقة الثالثة من عُبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٢٨٩).

(٣) انظرْ: ديوان الحماسة (٢/ ٢٠٠).



وأدرِكْ حيواناً يموت:

تـزوَّدْ مـنَ المـاءِ النُّقاخِ فلـنْ ترى بوادي الغضا مـاءً نُقاخـاً ولا بَرْدا

ونلْ مِنْ نسـيمِ البـانِ والرَّندِ نفحةً فهيهـاتَ وادٍ يُنبـتُ البـانَ والرَّندا

وكُـرَّ إلى نجـدٍ بطـرفِـك إنـه متى تغـدُ لا تنظرْ عقيقـاً ولا نجدا

تلفَـتُّ دون الركبِ والعـينُ غمْرةٌ وقد مدَّهـا سـيلُ الدموع بـها مَدّا

لعـلّي أرى داراً بأسنُمَـةِ النَّـقـا فأطربُنـا للـدار أقربُنـا عهـدا

تـلاعَـبُ بـي بـين المعـالمِ لوْعـةٌ فتذهبُ بي يأسـاً وترجعُ بي وَجدا[1]

يا دائماً على الخطايا والعصيان:

متى يُقال: تابَ فلان؟

ألا خَبَرٌ مِـنْ جانِـبِ الغَـوْرِ وَارِدٌ تَرَامَـى بِـهِ أيـدي المَطيّ الرّوَاسِـمِ

وَإنّي على مـا يُوجِبُ الدّهـرُ للفَتى وإنْ سـامهُ حمْـلَ الأمـورِ العظائمِ

مقيـمٌ بأطـرافِ الثّنـايا صبابـةً أُسَـائِلُ عَن أظعـانِكمْ كلَّ قَادِمِ[2]

يا مذنبين:

أما استخشنتم مَبْرَكَ الخطأ؟

ويحكم، استنشِروا عن أعطانِ البُعْد.

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (١/ ٣٩٨-٣٩٩).

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: ألا خبرٌ عن جانب الغور واردُ. انظرْ: ديوانه (٢/ ٣٨٠).



تحرَّكوا في طلبِ الإنابة.

قفوا على بابِ النَّدمِ ساعة:

ثُوروا لهــا ولتَهُــنْ فيها نفوسُــكمُ   إنَّ المناقــبَ لــلأرواحِ أثــمانُ[١]

إذا قال العبد: يا ربِّ: أين أطلبُك؟

قيل له: في قلبِك.

فإذا قال: متى؟

قيل: الآن:

لئــنْ كنــتَ عنّي في العيــان مُغيَّباً   فــما أنتَ عن قلبــي وسرِّي بغائبِ

إذا اشتاقــتِ العينانِ منــكَ بنظرةٍ   تجلّيتَ لي في القلبِ مِنْ كلِّ جانبِ[٢]

قال بعضُ السلفِ: رأيتُ شاباً في سفحِ جبلٍ عليه آثارُ القلق، ودموعُهُ تتحادرُ، فقلتُ: مَنْ أنت؟

فقال: آبقٌ هربَ مِنْ مولاه؟

قلت: فتعودُ، وتعتذرُ.

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أسل بدمعك وادي الحي إن بانوا. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٥٣).

(٢) لطراد بن علي السلمي الدمشقي (ت: ٥٢٤هـ). انظرْ: معجم الأدباء (٤/ ١٤٥٨) باختلاف يسير، منه: تمثلتَ بدل: تجليت.

فقال: لا حجةَ للمُفرِّطِ.

قلت: فتتعلّقُ بالشُفعاءِ.

قال: كلُّهم يخافونَ منه.

قلت: مَنْ هذا المولى؟

قال: رباني صغيراً، فعصيتُه كبيراً، فواحيائي مِنْ حُسْنِ صنعه، وقُبحِ فعلي. ثم صاح، فخرجتْ عجوز فقالتْ: مَنْ أعانَ على البائسِ الحيران؟[١]

قلتُ: أقيمُ عندكِ أعينكِ عليه.

فقالت: خلهِ ذليلاً بين يدَي قاتلهِ، عساه يراهُ بغير مُعينٍ فيرحمه:

بـالله عليـكَ يـا فتـى الأعـرابِ ... إنْ جُـزْتَ عـلى مواطـنِ الأحبابِ

فـاشرَحْ سـقَمي وقـلْ لهـم ممّا بي ... ذاكَ الـمُضنى يمُـوتُ بالأوصابِ

يا مُذنبين:

القلق القلق.

يا مُفرِّطين:

---

(١) في «موافق المرافـق» ص ١١١: «ثم صاح وخر ميتاً، فخرجتْ عجوز فقالتْ: مَنْ أعانَ على قتل البائسِ الحيران؟».

الحُرق الحُرق:

مَـنْ عائـدي لأحزانْ وكُـرَبٍ وأشـجـانْ

ليـلُ الـمُحبِّ ليلانْ والحـبُّ شرُّ سلطـانْ

له عـبيـد مـجـانْ لم يُـشـتَروا بـأثـمـانْ

تُرى الحبيـبُ الغضبانْ يـعـودُ لي كـما كان؟

مرحومٌ مَنْ يبكي.

معذورٌ مَنْ يندب:

كيـف لا أبكـي على عيـشٍ مضى بعـتُ عُمْـري بخسـيسِ الثمنِ؟

كيـف أرجو الـبُرءَ مِـنْ داءِ الهوى وطبيـبي في الهـوى أمـرَضَني؟

نحنُ في روضةٍ، طعامُنا فيها الجوع.

وشرابُنا الدموع.

ونُقْلُنا هذا الكلامُ المطبوع.

نُداوي أمراضاً أعجزتْ بختِيشوع[1].

---

(١) عُرِفَ بهذا الاسم طبيبان: بختيشوع بن جبرئيل (ت: ٢٥٦هـ)، وبختيشوع بن يوحنا (ت: ٣٢٩هـ). انظرْ: الأعلام (٢/ ٤٤) و(٢/ ٤٥).

تخرُجُ أطيارُ البلاغَة مِنْ بُرْجِ القلبِ، فتُظهرُ صناعتَها في الجوِّ بالقلبِ، ثم تقعُ على أغصانِ اللسانِ تستريحُ إلى التغريدِ، فأينَ الطَّروبُ؟

يا صِحابي وأينَ منيَ صَحْبي؟ فتنَبَّهم عيونُ ذاكَ السِّربِ
كلماتٌ[١] أسماؤُهنَّ استعارا تٌ وما هُنَّ غير طعنٍ وضربِ
أرني مِيْتةً تطيبُ بها النفْـ ـسُ وقتلاً يلَذُّ غيرَ الحبِّ
لا تَزُلْ بيْ عنِ العقيقِ ففيهِ وطرِي إنْ قضيتُه أو نَحْبي
لا رَعيتُ السَّوامَ إنْ قلتُ للصُّحـ ـبة: خِفِّي عنهُ، وللعيسِ: هُبِّي[٢]

إخواني:

وحدي أتكلَّمُ.

وجدي يتألَّمُ.

ألا مُريدٌ يتعلَّمُ.

ألا مُودَعٌ يتسلَّمُ:

هو الحِمى ومغانيهِ مغانيهِ[٣] فاحبِسْ وعانِ بليلى ما تُعانيهِ
ما في الصِّحاب أخو وَجْدٍ تطارحُهُ حديثَ نجدٍ ولا صبٌّ تُجاريهِ

(١) في الديوان: لحظات. وهو الصواب.
(٢) لصردر مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه ص ٩٣-٩٤.
(٣) في الديوان، نسخة مكة: ومعانيه معانيه.

إليـكَ عــن كلِّ قلــبٍ في أماكنــهِ ... ســاهٍ، وعــن كلِّ دمــعٍ في مآقيــهِ

يوهي قــوى جلَدِي مَــنْ لا أبوحُ به ... ويَســتبيحُ دمــي مَــنْ لا أسمِّيــهِ

يُبْــلي[1] فــما في لســاني مــا يعاتبُــهُ ... ضعفاً، بــلى في فؤادي مــا يُداريهِ[2]



(١) في الديوان، نسخة مكة وبغداد: قسا.

(٢) لابــن المعلِّم مِنْ قصيدة تبلغ (٤٨) بيتاً، والأبيات المختــارة هي (١، ٢، ٣، ١٤، ٢٤).
انظرْ: ديوانه (نســخة مكتبة مكة، الصفحة٤٧-٤٩)، (ونســخة بغداد، الورقة ١٦)، والمدهش (١/ ٣٩٤).

الفصل السابع عشر

لله درُّ أقوام تأمَّلوا الوجود، ففهِموا الـمقصود.

فالناسُ في رُقادِهم، وهُمْ في افتقادِهم.

والخلائقُ في غُرورِهم، وعُيونُهم إلى قُبورِهم.

وحداناً من الناس، يهربون من الجُلّاس.

علموا أنَّ وَحْلَ المخالطةِ يُتعِبُ الـمُتمذهبَ في التطهير، فرفعوا بأناملِ العُزلةِ أذيالَ قميصِ الورعِ، فلما انفردوا آنسَهم الحبيب:

أوْحَشَتني خلواتي ... بكَ مِنْ كلِّ أنيسِ

وتفرّدتُ فعاينْـ ... ـتُك بالغيبِ جليسي

وبدا لي أنّ مهرَ الـ ... ـحُبِّ أنفاسُ النُّفوسِ

فكتبتُ العهدَ للحُبْـ ... ـبِّ على طِرْسِ الرّسيسِ

قال الإمامُ أحمد[1]: لقد رأيتُ قوماً صالحين:

رأيتُ عبدالله بن إدريس[2] وعليه جبةٌ مِنْ لُبود قد أتتْ عليها سنون.

---

(١) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، توفي سنة ٢٤١هـ. صفة الصفوة (٢/ ٣٣٦).

(٢) كوفي مِنْ حفاظ الحديث، توفي سنة ١٩٢هـ. صفة الصفوة (٣/ ١٦٧).

ورأيتُ أبــا داود الحَفَري(١) وعليه جبةٌ مخُرّقةٌ قد خَرجَ منها القُطنُ وهو يصلي فيترجّحُ من الجوع.

ورأيتُ أيوبَ النجار(٢) قد خرجَ مِنْ كلِّ ما يملكُه.

وكان في المســجد شــابٌ مصفرٌّ يُقال له العَرْفي، يقوم مِنْ أولِ الليلِ إلى الصباحِ يبكي.

إذا ما الخِيامُ البيضُ لاحتْ لدى مِنى ... فـعـــرّجْ فـإنــا بعـدَهـــا بقليــلِ

ترانا لدى الأطنابِ صرعى منَ الهوى ... نُكَفْكِـفُ دمعــاً لافتقــادِ خليــلِ

وكــم أنّــةٍ أردفتُـهــا بتـنـفّــسٍ ... وكــم عَـبــرةٍ أتبعتُهــا بعَـويــلِ

قفُــوا فانظـرُوا ذُلّي وعــزَّ مُعـذِّبي ... تــرَوا عجَبــاً مِــنْ قــاتلٍ وقتيــلِ

قال أبو عمــران الجَوني(٣): أرتنــي أمّي موضعاً مِنَ الــدارِ قد انحفر، فقالتْ: هذا موضعُ دموعِ أبيك.

وكان حسّــان بن أبي سنان يحضرُ مجلسَ مالكِ بن دينار(٤)، فيبكي حتى يبتلَّ ما بين يديه ولا يُسْمعُ له صوتٌ:

---

(١) كوفي مِنْ حفاظ الحديث، توفي سنة ٢٠٣هـ. صفة الصفوة (٣/ ١٧٨).

(٢) مِنْ رجال الحديث الصالحين. انظر ترجمته في «تهذيب الكمال» (٣/ ٤٩٩).

(٣) عبدالملــك بن حبيب، من الطبقة الثالثة من عُبّاد أهل البصرة، توفي ســنة ١٢٨هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٦٤).

(٤) زاهد معروف، من الطبقة الثالثة من المصطفين من أهل البصرة، توفي سنة ١٣١هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٧٣).

أجابَ دمعي وما الداعي سوى طللِ دعا فلبّاه قبلَ الركبِ والإبلِ
ظللتُ بين أُصيحابي أكفْكِفُهُ فظلَّ يسرحُ بين العُذرِ والعَذَلِ
وما صبابةُ مشتاقٍ لهُ أمَلٌ من اللّقاء كمشتاقٍ بلا أملِ[(١)]

دموعُ المُحبين غُدران في صحارى الشَّوق:

فضَلَتْ دموعي عن مدى حزَني فبكيتُ مَنْ قتَلَ الهوى قبْلي
ما مرَّ ذو شجَنٍ يُكتِّمُهُ إلا أقُولُ: مُتيّمٌ مثلي
مَنْ يَطّلعْ شرَفاً فيعلمَ لي هل روَّحَ الرُّعْيانُ بالإبْلِ؟
أم قُعْقعَتْ عُمُدُ الخيامِ أم ارْ تفعتْ قبابُهُم على البُزلِ؟
أم غرّدَ الحادي بقافيةٍ منها غرابُ البَيْنِ يَسْتملي؟[(٢)]

إذا جَنَّ الغاسقُ جُنَّ العَاشقُ:

طالَ ليلي دون صحبي سهرتْ عيني وناموا[(٣)]

قال سفيان الثوري[(٤)]: بتُّ عند الحجّاج بن فُرافصة[(٥)] إحدى عشرة ليلة، فلا أكلَ ولا شربَ ولا نام:

---

(١) للمتنبي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه ص٣٤٨-٣٤٩.

(٢) لصردر مِنْ قصيدته: شدوا على ظهر الصبا رحلي. انظرْ: ديوانه ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) لأحمد الغزالي مِنْ أبيات. انظرْ: المستفاد ص ١٨٦-١٨٧.

(٤) إمام معروف، توفي سنة ١٦١هـ. صفة الصفوة (٣/ ١٤٧).

(٥) من الطبقة الرابعة من عُبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٣٥).

عـليَّ حـمـلُ هــواكم   مـا دام روحـي في البدنْ
ومـا عـلـيكـم مــني   إنْ صرتُ طيف خيال؟(١)

لو عاينتَ قـوّامَ الليلِ وقد دارتْ كؤوسُ المناجـاةِ بين مزاهرِ التلاوةِ، فأسـكرتْ قلبَ الواجِـد، ورقمتْ في صحائـفِ الوجناتِ: ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾(٢):

وتمشّـتْ في مفــاصِلهمْ   كتَمشّي البُرءِ في السَّـقمِ(٣)

صحب رجلٌ رجلاً شـهرين، فما رآهُ نائماً بليـلٍ ولا نهارٍ، فقال: مالكَ لا تنامُ؟

قـال: إنَّ عجائبَ القرآنِ أطرنَ نومي، ما أخرجُ مِنْ أعجوبةٍ إلا وقعتُ في أخرى(٤):

لا تلْحَـه إنْ كنتَ من سُـجرائهِ   عـذلُ المُحـبِّ يزيـدُ في إغرائهِ
ودع الهوى يقضي عليـهِ بحُكْمهِ   مـا شـاءَ فهْـوَ مُسَـلِّمٌ لقضائهِ

(١) هذا من الشـعر الشـعبي: كان وكان. وهما للمؤلف في كتابه لقط الجمان في كان وكان، الفصل (٢٠)، الورقة (١٦)، وقد ذكرهما عمر بن محمد الرازي (ت: ٧٢٨هـ) في كتابه «مسامرة الندمان ومؤانسة الإخوان» ص٢٥٣ ونسبهما إلى البغاددة.
(٢) من سورة البقرة، الآية ٢٧٣.
(٣) لأبي نواس مِنْ قصيدته: يا شقيق النفس من حكم. انظرْ: ديوانه ص٤١.
(٤) انظر: صفة الصفوة (٤/ ٤٣٣).

فشــقاؤهُ فيــما تــراهُ نعــيمُــهُ ... ونعيمُــهُ في ذاكَ عــينُ شــقائهِ
كحُلــتْ مآقيه بطــولِ ســهادهِ ... وحَنــتْ أضالعُــهُ عــلى بُرَحائهِ
دنــفٌ ببابلَ جسمُــــهُ، وفــؤادُهُ ... بالخَيْــفِ، واعجباً لطــولِ بقائهِ!

إنَّ للهِ عزّ وجلّ ريحاً تُســمّى الصُبْحِيّــة مخزونةً تحت العرش، تَهبُّ عند الأسحار، فتحملُ الأنينَ، والاستغفار[1]:

بــالله يــا ريــحَ الشَّــما ... لِ إذا عزمــتِ على الهبُوبِ
فتحمّــلي شــكوى المُحبْ ... ــبِ المُستهامِ إلى الحبيبِ
قَرُبَ الضنــى مِنْ مهجتي ... لــمّا بَعُدتُ عــن الطبيبِ

إذا تكاثفَ كرْبُ الــمُحبِّ لم يُناسِبْ ترويحَ قلبهِ إلا الصَّبا، وهي التي استأذنتْ ربَّها أنْ تحملَ ريحَ يوسف إلى يعقوب:

يا نســيمَ الريــحِ[2] مِــنْ كاظمةٍ ... شــدَّ ما هجتِ الأســى والبُرَحا
الصَّبــا إن كــان لا بُــدَّ الصَّبــا ... إنهــا كانتْ لقلبــي أروحــا
اذكــرونــا ذكــرَنــا عــهدَكــمُ ... رُبَّ ذكــرى قرّبتْ مَنْ نــزَحــا
اذكــروا صبّــاً إذا غنّــى بكــمْ ... شَرِبَ الدمــعَ وعــافَ القدَحا[3]

***

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣/ ٣١) مِنْ قول سفيان الثوري، باختلاف يسير. ورواه السُّلمي عن محمد بن علي الكتاني (ت: ٣٢٢هـ). انظرْ: طبقات الصوفية ص٣٧٣.

(٢) في الديوان: الصبح.

(٣) لمهيــار الديلمي مِنْ قصيدته: من عذيري يومَ شرقيّ الحمــى. انظرْ: ديوانه (١/ ٢٠٢-٢٠٣).



كلُّ سكرانٍ صحا مِنْ سُكرِهِ وفؤادي مِنْ هواكمْ ما صحا[1]

❁ ❁ ❁

(١) ليس هذا البيت من الأبيات السابقة، وقد مرَّ في الفصل الرابع عشر وقبله:

أيها الغضبان جُدْ لي بالرضا وارحم القلبَ وإلا افتضحا



الفصل الثامن عشر

العباراتُ حظُّ النفوس، والإشاراتُ قُوتُ القلوب.

نزل بعضُ أهل المعرفة إلى الشطِّ، فصاحَ: يا ملاحُ: احملني.

فقال: إلى أين؟

قال: « دار الـملك ».

قال: معي ركّابٌ إلى « القطيعة ».

فصاحَ الفقيرُ: لا بالله، لا بالله، أنا منذ سنين أفرُّ منها:

هــذا جزَعــي وما خــلا مغناكمْ	**مــا أصنعُ يومَ بينِكم؟ حاشــاكمْ**
أقسمتُ بكمْ لكمْ وحسبيَ ذاكمْ	**لا أذكُــرُ غيرَكُــمْ ولا أنســاكمْ**

دخل ذو فطنةٍ إلى دارٍ، فرأى حُبّــاً، وإلى جانبه مركنٌ قد زُرِعَ فيه صبرٌ، فتواجَدَ وقال: حُبّ إلى جنبهِ صبرٌ:

يا نازلين الحِمــى رفقاً بقلبِ فتى	**إنْ صاح بالبَـيْنِ داعٍ باحَ مضمرُهُ**
وقــد يميــلُ إلى المغنى ليســألَهُ	**أخو الغــرام ولكنْ مَــنْ يُخبّرُهُ؟**
ومــا ذكرتكمُ إلّا وهمــتُ جوىً	**وآفــةُ المُبتــلى فيكــمْ تَـذكّــرُهُ**
ولا عزمــتُ على ســلوانِ حبكمُ	**إلّا ويَخذلنــي قلبي ويَنــصرُهُ[1]**

(١) ذُكِرَ البيتُ الأولُ والثالثُ ضمن أبياتٍ ذكرها الذهبي لابن المعلِّم الُهرثي الواســطي في ترجمته في «تاريخ الإسلام» (٤٢/ ١٠٨-١٠٩). ولم أجدها في ديوانه.



قلبُ العارف مملوءٌ بحب حبيبهِ، ليس فيه موضعُ إبرةٍ لغيرِه:

وجـدي بكمُ وصفـوُ ودّي لكمُ　　والقلـبُ فمـذْ نأيتـمُ عندكـمُ

عينـي عـينٌ لبُعْدكـمْ بَعْدَكـمُ　　شَـقُّوا قلبـي فـما رأَوْا غيرَكُـمُ

إذا جنَّ الليلُ وظلامُهُ، ثارَ شجنُ الـمُحبِّ وسَقامُهُ، ورمى الوَجدُ، فأصابتْ سهامُهُ، وطال بالحزين قعُودُهُ وقيامُهُ:

كـم بذكـراكَ ولُوعي　　يا جوىً بين الضُلوعِ؟

هجـعَ العـاذلُ لكـنْ　　مَنْ لعينـي بالهُجوعِ؟

هيَ في شُـغلٍ عنِ النو　　مِ بمُرفـضِّ الدُّمـوعِ

أتغنّـى بـك في الحيـْ　　ـيِ كورقاءَ سَجوعِ

ليس في ليلِ الهجرِ منامٌ.

ومتى رأيتَ محبّاً ينام؟

فإنَّ نهـاري ليلـةٌ مُـدْلـهِمَّـةٌ　　عـلى مُقلةٍ مِـنْ فقدِكُـمْ في غياهبِ

بعيـدةِ مـا بـينَ الجُفـونِ كأنّـما　　عقدتمْ أعـاليْ كلِّ هُدْبٍ بحاجبِ[1]

قـال أحمد بن أبي الحواري: قلتُ لامرأتي رابعـة - وقد قامتْ مِنْ أوّل الليل -: قد رأينا أبا سليمان[2]، وتعبّدْنا معَهُ ما رأينا مَنْ يقومُ مِنْ أوّلِ الليلِ.

(١) للمتنبي مِنْ قصيدته: أعيدوا صباحي فهو عند الكواعب. انظرْ: ديوانه ص٢٣٠.

(٢) الداراني.



فقالت: سبحان الله! مثلُك يقولُ هذا؟! إنما أقومُ إذا نُوديتُ:

تقولين: ما في الناسِ مثلكَ وامقٌ ... جِـدِي مثـلَ مَـنْ أحببتُـهُ تجـدي مثلي

ذريني أنلْ ما لا يُنـالُ من العُلى ... فصعبُ العُلى في الصَّعبِ والسَّهلُ في السَّهلِ

تريديـن لُقيانَ المعـالي رخيصةً ... ولا بُدَّ دون الشُّـهدِ مِـنْ إبـرِ النَّحلِ[١]

تزوَّج رياح القيسي[٢] امرأةً، فرأتهُ نائمًا طُولَ الليل، فقالت: ليت شِعري مَنْ غرّني بكَ يا رياح:

يـا عقيـقَ الحِمـى حمـى اللهُ مغْنـا ... ك وروّى ثـراكَ مِـنْ مُـزن دمعـي

مَـنْ لصـبٍّ يشُـوقُهُ لامـعُ الـبرْ ... قِ فـيرتـاحُ قـلبُـهُ للجِـزعِ

يـا خليـليْ مـا أنـتَ ليْ بخليـلٍ ... ورفيـقٍ إنْ لم تـقـفْ بالـرَّبـعِ

كانت عابدةٌ طويلة السهر، فعُوتبتْ في ذلك فقالت: كفى بطولِ الرقدةِ في القبور رقاداً[٣]:

أيهـا العُـذّالُ لا تعذلـوا ... إنـما النصـح لمَـنْ يقبَلُ

وأرى ليليَ لا يـنـقـضـي ... طـالَ ليلي والهـوى أطولُ

قال أبو سليمان[٤]: لولا الليلُ ما أحببتُ البقاءَ في الدنيا.

---

(١) للمتنبـي مِنْ قصيدته: كدعواك كل يدعي صحة العقـل. انظرْ: ديوانه ص٥٥٩-٥٦٠ وفيه: مثلك عاشق.

(٢) رياح بن عمرو، من الطبقة السادسة من أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٦٧).

(٣) الخبر في «صفة الصفوة» (٣/ ١٩٤).

(٤) الداراني.

وكان الفُضيل[١] يفرحُ إذا جاء الليل.

أرواحُ القومِ ترتاحُ إلى الدُّجى، وتغتمُّ بإقبالِ النهار.

تهيمُ إذا ريحُ الصَّبا نسمَتْ لها ... وتبكي إذا الورقاءُ في الغُصن غنّتِ

إذا حدرَ الصُبحُ اللثامَ تأوّهتْ ... وإنْ نَشَرَ الليلُ الجناحَ أرنَّتِ

لولا نسائمُ الأسحار تلفَ مدنفُ الشَّوق:

لولا نسيمٌ بذكراكمْ يروِّحني ... لكنتُ محترقاً مِنْ حرِّ أنفاسي[٢]

يتعلقون بالرياحِ تعلُّق الوسائل.

ويبعثون معها إذا هبّت الرسائل:

ألا يا نسيمَ الريحِ إنْ كنتَ محسناً ... إليَّ فعرِّجْ بالحبيبِ وسلِّمِ

جمعتمْ على قلبي فراقاً وغُربةً ... لقَلَّ على هذا بقاءُ المُتيَّمِ

يا مَنْ فاتوه لعثرةِ التخلُّف:

بُلَّ الثرى مِنْ عَبرةِ التأسّف.

(١) الفضيل بن عياض، الإمام المعروف، توفي سنة ١٨٧هـ. صفة الصفوة (٢/ ٢٣٧).

(٢) مِنْ أبيات أنشدها محمد بن طاهر المقدسي، وهو مضمن فيها. انظرْ: المنتظم (١٧/ ١٣٧)، والبداية والنهاية (١٤/ ٢٢).

دعْ شـأنَ عينكَ يا حـزينُ وشـأنهُ ... وضـعِ اليديـنِ على الحشـا وتمَلْمَلِ
هـذا أوانُ فـراقـهـمْ ولقـلَّ مـا ... يُغنـي وقوفُكَ سـاعةً في المنـزلِ[1]

يا مُنقطعين عن القوم:

سيروا في بوادي الدُّجى.

وأنيخوا بوادي الذُّل.

واجلسوا في كِسْر الانكسار.

فإذا فُتِحَ بابٌ للواصلين دونكم فاهجموا هجومَ الكدَّائين.

وابسطوا أكفَّ ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾[2].

لعل هاتفَ الرحمةِ يقولُ: ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾[3]:

وإذا جئتـم ثـنيـاتِ اللّـوى ... فلجوا ربعَ الحِمـى في خطري[4]
وصفـوا شـوقي إلى أربـابـهِ ... واذكـرُوا ما عندكـم مِنْ خبري

---

(١) للحسين بن محمد البغدادي المعروف بالبارع، نسبهما إليه المؤلفُ في «مثير العزم الساكن» (٢/ ٢٠٥)، وقبلهما بيت، وفيه: اليوم آخر عهدهم ولقل ما.

(٢) مِنْ سورة يوسف، الآية ٨٨.

(٣) مِنْ سورة يوسف، الآية ٩٢.

(٤) قال الأستاذ الأثري عن ياء «خطري»: زيادة مفسدة للكلام. انظرْ: حاشية الخريدة (٢/ ٣٤٨)! ولعل الشاعر يريد: في خطر مثل خطري.

وا حنينـــي نحـــو أيـــامٍ مضـــتْ	بالحِمـــى لم أقـــضِ منهـــا وطري
كلّـــما اشتـــقتُ تـمنّيتـــكمُ	ضاعَ عُمْري بالـمُنى وا عُمُري[1]



(١) للمعين بـن الباطوخ البغدادي (لعله المتوفى سـنة ٥٤٤هـ) من أبيـات. انظرْ: خريدة القصر- القسم العراقي (٢/ ٣٤٧-٣٤٨) باختلاف ألفاظ.

الفصل التاسع عشر

يا مُتشبِّهاً بالزُّهادِ في ثيابِهِ وسَمتهِ، لا في ثباتهِ ووقتهِ:

ما عندك مِـنَ الرهبنة إلا بنـاءُ الصومعة، يأوي إليـكَ فيها لصوصُ التصَنُّع:

يا صاحبـيَّ اللذينِ اليـومَ قد أخذا   في الحَبْـل شِـبهاً لليـلى ثـم غلّاها

إني أرى اليـومَ في أعطافِ شـاتِكما   مَشـابِهاً أشـبهتْ ليـلى فحُلّاها[1]

أين العُبّاد؟

أين الزُّهاد؟

أين العارفون؟

أين المحبون؟

لا إله إلا الله، وقعَ القحطُ في الرجال:

أُسـائلُ الـدارَ عمَّنْ كان يَسـكنُها   إنّي إلى ساكنيهـا شـيِّـقٌ قـرِمُ

يـا دارَ حِبّي سـقى سـكانَكِ الدِّيمُ   باللهِ قـولي لهـذا الصَّبِّ أيـن هُمُ؟

كان في سلفِنا الأخيارُ والأبرارُ، والـمُخلصون في الإعلان والإسرار، فلولاهُم لافتضح المتأخرون يومَ العرضِ، فنحمدُ اللهَ على اليَزَك[2].

---

(١) للمجنون. انظرْ: الأغاني (٢/ ٧٤).

(٢) اليزك: مقدمة الجيش.

إخواني:

الخلاصُ في الإخلاص.

العملُ صورةٌ، والإخلاصُ روحٌ.

عملُ الـمُرائي بصلةٌ كلُّها قشور.

ليس كلُّ مستديرٍ يكون هلالاً، لا لا:

ومـا كلُّ مَـن أومـى إلى العـزِّ نالهُ ودون العُلا ضربٌ يُدمِّي النواصيا[١]

كم حولَ قبرِ «معروفٍ» مِنْ دفينٍ ذهبَ اسمُه كما بليَ جسمُه و«معروفٌ» معروفٌ:

فـما كُلُ دارٍ أقفـرتْ دارةُ الحِمـى ولا كلُّ بيضـاءِ الترائـبِ زينبُ[٢]

أتدرون ما ذنبُ الـمُرائي؟

دعـا باسـمِ ليـلى غيرَهـا[٣]

كان ابنُ سيرين[٤] يضحكُ بالنهار، فإذا جاءَ الليلُ أخذَ في البُكاء:

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أراعي بلوغ الشيب والشيب دائيا. انظرْ: ديوانه (٢/ ٥٩٠).

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: قضى دينَ سـعدى طيفها المتأوبُ. وهو البيت (١٣). انظرْ: ديوانه (١/ ٥٢).

(٣) مرَّ في الفصل الثاني.

(٤) إمام تابعي بصري معروف، توفي سنة ١١٠هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٤١).

نهاري نهارُ الناس حتى إذا بدا ... ليَ الليلُ هزتني إليكِ المضاجعُ

أقضّي نهاري بالحديثِ وبالـمُنى ... ويجمعنِي والهمَّ بالليلِ جامعُ(١)

كان أيوب السختياني(٢) إذا وعظ فَرقَّ فرَقَ من الرياءِ، فيمسحُ وجهَه ويقول: ما أشدَّ الزُّكام!

أحبسُ دمعي فيندُّ شارداً ... كأنني أضبطُ عبداً آبقا

ومِنْ محاشاة الرقيب خلتُني ... يومَ الرحيل في الهوى مُنافقا(٣)

وكان أيوب يُحيي الليلَ كلَّه، فإذا كان عند الصباح رفعَ صوتَه كأنّه قامَ تلك الساعة:

أكلّفُ القلبَ أنْ يهوى وأُلزِمُهُ ... صَبْراً وذلك جمعٌ بين أضدادِ

وأكتمُ الركبَ أوطاري وأسألُهُ ... حاجات نَفسِي لقد أَتعبتُ رُوَّادي

هَل مُدْلِجٌ عِنْده مِنْ مُبْكرٍ خبرٌ ... وَكَيف يعلمُ حَالَ الرَّائِحِ الغادي؟

وإِنْ رويتُ أَحَادِيثَ الَّذين نأوْا ... فَعَنْ نسيمِ الصَّبَا والبرقِ إسنادي(٤)

كَانَ إِبْرَاهِيم النَّخعِيّ(٥) إِذا قَرَأَ فِي الـمُصحف فَدخل دَاخلٌ غطّاه.

(١) للمجنون. انظرْ: مصارع العشاق (٢/ ٥٠)، وذُكِرا لغيره.

(٢) مِنْ حُفّاظ الحديث في البصرة، توفي سنة ١٣١هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٩١).

(٣) لصردر مِنْ قصيدته: لأي مرمى تزجر الأيانقا. انظرْ: ديوانه ص ١٤٩.

(٤) لصردر مِنْ قصيدته: ماذا يعيب رجال الحي في النادي. انظرْ: ديوانه ص ١٠٥.

(٥) إمام معروف، من أهل الكوفة، توفي سنة ٩٥هـ. صفة الصفوة (٣/ ٨٦).

وكَانَ ابْنُ أَبي ليلى(١) إِذا دخلَ أحدٌ وَهُوَ يُصَلِّي اضطجعَ على فرَاشه:

أفدي ظباءَ فلاةٍ مَا عرفنَ بها ... مضغَ الْكَلَامِ وَلَا صَبغَ الحواجيبِ(٢)

مرِضَ إبراهيمُ بنُ أدهم، فَجعلَ عِنْد رَأسه مَا يَأْكُلهُ الأصحّاءُ لِئَلَّا يتشبه بالشاكين:

قد سحَّبَ النَّاسُ أذيالَ الظنونِ بِنَا ... وَفرَّقَ النَّاسُ فِينَا قَوْلَهم فِرَقا

فكاذبٌ قد رمى بِالظَّنِّ غَيْرَكُمُ ... وصادقٌ لَيْسَ يدْرِي أَنهُ صدَقا(٣)

اشْتهر إبراهيم بن أدهم فِي بَلَدٍ، فَقيل: هُوَ فِي الْبُسْتَان الْفُلَانِيّ، فَدخلَ النَّاسُ يطوفون ويَقُولُونَ: أَيْنَ إِبْرَاهِيم بن أدهم؟ فَجعلَ يطوفُ مَعَهم ويَقُول: أَيْنَ ابنُ أدهم؟

ضناً بِأَنْ يعلمَ النَّاسُ الْهوى لِمَنِ ... وهبتُ للسرِّ فِيهِ لَذَّةَ العلَنِ

عرّضْ بذكري(٤) وَدعنِي فِي ظنونهمُ ... إِنْ قيلَ: مَنْ يك تُخفي الْحَقَّ فِي الظّنَنِ(٥)

صام داود بن أبي هند(٦) أربعين سنةً ما عَلِمَ به أحدٌ:

---

(١) التابعي عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري. ترجمته في «تهذيب الكمال» (١٧/ ٣٧٢).

(٢) للمتنبي مِنْ قصيدته: من الجآذر في زي الأعاريب. انظرْ: ديوانه ص٤٨٢.

(٣) للعباس بن الأحنف. انظرْ: ديوانه ص٢٢٤. وفيه: فجاهل قد رمى.

(٤) في الديوان: بغيري.

(٥) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. وهما البيتان (١، ١١). انظرْ: ديوانه (٤/ ٢٧-٢٩). وفيه: يُخفي. ولم ينقط أول الفعل في الأصل.

(٦) من الطبقة الرابعة من المصطفين من أهل البصرة، توفي سنة ١٣٩هـ. صفة الصفوة (٣/ ٣٠٠).

ومستخبرٍ عَنْ سرِّ ليلى رَددتُهُ فَأَصْبحَ فِي ليلى بِغَيْرِ يَقِينِ
يَقُولُونَ: أخبرنَا فَأَنتَ أمينُها وَمَا أَنا إِنْ أَخْبَرتُهم بأمينِ[1]

وا شوقاه إلى تلك الأشباح.

سلامُ اللهِ على تلك الأرواح:

نشدتُكِ يَا بانةَ الأجرعِ مَتى رفَعَ الْحَيُّ مِنْ لعْلعِ
أدرْ يَا نديميَ كأسَ الحَدِيث فكأسيَ بعدهُمُ مدمعي[2]

رحلَ أولئك السادة.

وبقيَ قُرناءُ الوسادة:

ذُمَّ الْمَنَازلَ بعد منزلَة اللوى والعيشَ بعد أُولَئِكَ الأقوامِ[3]

أسمعُ أصواتاً بِلَا أنيس.

وَأرى خشوعاً أَصلُه من إِبْلِيس:

تشبهتْ حُورُ الظباءِ بهمُ أنْ سكنتْ فِيكِ وَلَا مثلَ سكنْ
أصامتٌ بناطقٍ ونافرٌ بآنسٍ وَذُو خلا بِذِي شجَنْ؟

(١) لجابر الجرمي كما في «المدهش» (٢/ ٦٠٨). ونسبا إلى غيره.
(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. والبيتان هما (١، ١٦). انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٤٢-٢٥٠). وفيه: كأس المدام.
(٣) لجرير من قصيدته: سرت الهموم فبتن غير نيام. انظر ديوانه ص ٥٥١.

مشتبــهٌ أعــرفــهُ وَإِنَّـمَــا مغالطاً قلتُ لصحبــي: دَارُ مَنْ؟

قفْ باكيـاً فِيهَا وَإِن كنتَ أَخـاً مواسيــاً فبكِّهـا عَنْـك وَعَـنْ

لم يَبْـقَ لي يَـوْمَ الْفِـرَاق فضْلَـةٌ مِنْ دمعةٍ أَبْكِـي بهَا على الدِّمَنْ[1]

❁ ❁ ❁

(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: يا دار لهوي بالنُّجيل من قطنْ. والأبيات المختارة هي (٣، ٢، ٥، ٧، ٨). انظرْ: ديوانه (٤/ ٤٧).

الفصل العشرون

يَا مُخْتَارَ الْقدَر:

اعرفْ قدْرَ قدْرك.

كلُّ الْأَشْـيَاء شَـجَرَة وَأَنتَ الثَّمَـرَة، وصدفٌ وَأَنتَ الـدُّرّ، وممخضةٌ وَأَنتَ الزُّبد.

اختيارُنا لَك مكتوبٌ بخط وَاضح، غير أَنَّ استخراجَك ضَعِيفٌ.

متى رُمتَ طلبي فاطلُبني عنْدك. «لا يسعني شيءٌ، ويسعني قلبُ عبدي الـمُؤمن»(١):

سَاكـنٌ فِي الْقـلبِ يعمـرُهُ	لسـتُ أنسـاهُ فـأذكـرهُ
وهـو مـولائي رضيتُ بـه	ونصيبـي منـه أوفـرُهُ
غَابَ عَن سَمْعِي وَعَنْ بَصَرِي	فسُويـدا الْقلـبِ يُبْصِرُهُ

يَا جَوْهَرَةً بمضيعةٍ، يَا لُقَطَةً تُداس:

(١) أثر إسرائيلي. ويُغني عنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: «إن لله تعالى آنية من أهل الأرض، وآنيـة ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبها إليه ألينها وأرقها» أخرجه الطبراني وغيره بسند حسن. انظرْ: فيض القدير (٢/ ٤٩٦).

إنما أَبعَدْنا إبليسَ لأنه لم يسجدْ لك، يا لَعجبٍ كيف صالحتَهُ وهجرْتَنا؟!

رعى اللهُ مَـنْ نهوى وَإن كَانَ مَا رعى | حفظنـا لَـهُ الـودَّ الْقَدِيـمَ فضيَّعا
وواصلـتَ قوماً كنتُ أَنهَـاك عَنْهُمُ | وحقِّـكَ مَا أبقيتَ للصُّلـحِ مَوْضِعا

لي مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، واستقرضتُ مِنْك حَبَّةً.

خلقتُ سبعةَ أبحرٍ، واستقرضتُ منك دمعةً:

الـمَاءُ عنْـدكِ مبـذولٌ لشـاربـهِ | وَلَيْـسَ يرويكِ إِلَّا مدمـعُ الباكي[١]

كانَت الأَمْتِعَةُ الـمُثمنةُ واللآلئُ النفيسـةُ تُبَاعُ بِمصْر فـلا يَنظرُ إِلَيهَا يُوسُف، فإِذا جَاءَتْ أحمالُ صوفٍ مِنْ كنعان لم تُحَلَّ إِلَّا بين يَدَيْهِ: «لا يُسأل عَن عبَادي غَيْرِي»[٢].

لَاحَ وَعقـلُ[٣] اللَّيْلِ مَسْلـوبُ | بـرقٌ بِنَـارِ الشَّـوقِ مَشْبوبُ
أسألـهُ عَنكُـم وَفِي لـمعـهِ | سطرٌ مِنَ الأحبابِ[٤] مَكْتُوبُ[٥]

---

(١) للشريـف الرضي مِنْ قصيدتـه: يا ظبية البان. انظرْ: ديوانـه (٢/ ١٠٧)، وفي الديوان: مدمعي.

(٢) أخرجه النسـائي في «الكبرى» (١٠٣٠٩)، وابن ماجه (١٣٦٧)، وابن حبان (٢١٢). وفي لفظ: «يسأل» اختلافٌ في الطبعات.

(٣) في الديوان: عقد.

(٤) في الديوان: الأخبار.

(٥) للخفاجي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه ص١٢٤و١٢٦، والمدهش (٢/ ٥١٥).

يا هذا:

بيننا عهدٌ مِنْ يوم ﴿أَلَسۡتُ﴾[1]، وما يليقُ بشرفِ قدْرِك خيانةٌ، كيف وأنتَ مطالَبٌ بالأمانة في أضيقِ خِناقٍ؟!

يا منكر ويا نكير:

انزلا إلى الخارج مِنْ بساتينِ الأرباح، فانظرا: هَل استصحبَ وردةً مِنَ اليَقِينِ، أَو شَوْكَة مِنَ الشَّكِ:

قفوا واسألوا بانَ العقيقِ هَل الْهوى على مَا عهدنا فِيهِ أمْ حَالَ حَالُهُ؟

استنكها فَمَهُ الَّذِي قَالَ لِي بِهِ: ﴿بَلَىٰ﴾[2] يَوْم ﴿أَلَسۡتُ﴾ هَل غيَّرَ طيبَهُ طولُ رقادِ الْغَفْلَة:

أَلا حبَّذا نجدٌ وَطيبُ تُرابهِ وأرواحُهُ إِن كَانَ نجدٌ على العَهْدِ

أَلا لَيْتَ شِعري عَنْ عوارضتي قنا بطُول اللَّيَالِي هَلْ تغيّرتا بَعْدِي؟

وعَنْ عَلَويّاتِ الرِّيَاحِ إِذا جرَتْ بِرِيح الخُزامى هَلْ تهبُّ على نجدِ؟[3]

سَببُ نسْيَانِ العهودِ تَخليطٌ فِي مطاعمِ الْهوى عَقَدَ بُخاراً فِي هامِ الْفَهم.

---

(١) مِنْ سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٢) مِنْ سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٣) لقيس المجنون. انظرْ: مصارع العشاق (٢/ ٨٦)، ومثير العزم الساكن (٢/ ٩٤).

قيل لذِي النُّون[1]: أَيْن أَنْت مِنْ يَوْم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟

قَالَ: كَأَنَّهُ فِي أُذُنِي.

سَلْ أبرقَ الحَنّانِ واحبسْ بِهِ ... أَيْنَ ليالينا على الأبرقِ؟

وَكَيفَ باناتٌ بسقطِ اللِّوى ... مَا لمْ يَجُدهَا الدمعُ لم تُورقِ؟

هَل حملتْ -لَا حملتْ- بَعدَنَا ... عَنْكَ الصَّبَا عَرْفاً لمُستنشِقِ؟

يَا سائقَ الأظعانِ رفقاً وَإنْ ... لم يُغْنِ قولي للعَسُوف: ارْفُقِ

سمّيتَ لي نجداً على بُعْدِهَا ... يَا وَلَهَ المُشْئِمِ بالمُعْرِقِ[2]

يا مَنْ كان له حظٌّ مِنْ وقتٍ، وسهمٌ مِنْ قلبٍ، فعامَلَنا مدةً ثم قطعَ، وواصَلَنا زماناً ثم انقطعَ: ليتك بعتَّنا بشيءٍ:

وما كنتمُ تعرفونَ الجفا ... فمِمَّنْ تُرَى قد تعلّمتُمُ؟[3]

يا مُفرِّطين في بضائعِ الأعمار:

تعالوا نُرِقْ دموعَ الأسف، على ما قد سلف:

عِنْد قلبِي علاقَةٌ مَا تقضّى ... وجوىً كلَّما ذوى عَادَ غضّا

وبكاءٌ على المَنَازل أبْلَتْـ ... ـهُنَّ أيدي الأيَّام بَسطاً وقَبضا

---

(١) المصري، زاهد معروف، توفي سنة ٢٤٦هـ. صفة الصفوة (٤/ ٣١٥).

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٢/ ٣٣٧).

(٣) ذكر ابن الجوزي في ترجمة محمد بن طاهر المقدسي (ت: ٥٠٧هـ) أنه لـمّا احتُضر جعلَ يردِّدُ هذا البيت. انظرْ: المنتظم (٩/ ١٧٩). والبداية والنهاية (١٤/ ٢٢).

مَــنْ مُعيدٌ أَيَّــامَ ذِي الأَثْــلِ أَو مَا قــلَّ مِنْهَــا دَيْنــاً عَــليَّ وقرْضــا

ســامحاً بِالْقَليــلِ مِنْ عهــدِ نجدٍ رُبَّــمَا أقنــعَ الْقَـلِيــلُ وأرضى

مُهديــاً ليْ مِنْ طيــبِ أَرْوَاحِ نجدٍ مَا يُداوي نُكْسَ العليل المُنْضى[1]

القلقَ القلقَ يا مطرود.

البُكاءَ البُكاءَ يا مردود.

الحزنَ الحزنَ على نقضِ العهود:

واهــاً لزمانِنــا الــذي كان صفا أبكِــي مرَضي وليسَ ليْ منه شِــفا

ذَابَتْ روحي وَمَــا أرى غيرَ جَفا هَــذَا رمَقــي تَسَــلَّموهُ بِوفــا

❁ ❁ ❁

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدة طويلة، والأبيــات المختارة هي (١، ٢، ٤، ٥، ١٣). انظرْ: ديوانه (١/ ٥٧٦-٥٧٧).

الفصل الحادي والعشرون

إخواني:

إطلاقُ البصرِ ينقشُ في القلبِ صورةَ المنظورِ، والقلبُ كعبة «وتسعني»[١]، وما يرضى المعبودُ بمزاحمةِ الأصنام.

يا مَنْ عينُهُ تدورُ على الـمُحرَّمات كأنه قد ضاعَ منه شيء.

يا مَنْ رواحلُ همتهِ في الهوى ما يُحَلُّ لها قَتَبٌ.

إنْ قهَرَ نفسَكَ حُبُّ الفاني، فذكِّرْها حُسْنَ الباقي:

وإنْ حَنَنْتَ للحِمى ورَوضهِ ... فبالغضا مَاءٌ وروضاتٌ أُخرْ[٢]

ويحك، لذّاتُ الدنيا كسوداء، وقد غلبتْ عليك.

والحُورُ العِينُ يَعجبْنَ مِنْ سُوءِ اختيارِك عليهنَّ.

غير أنَّ زوبعةَ الهوى إذا ثارتْ سَفتْ في عينِ البصيرة، فخفيتِ الجادة.

خِطْ الآنَ بصرَ باشِقك إلى أنْ ينسى ما رأى.

واغسلْ باطنَ عينِك مِنْ عينِ الدمع.

(١) كذا، والإشارة إلى «ويسعني قلب عبدي المؤمن».

(٢) لمهيار الديلمي من قصيدته: بالغور ما شاء المطايا والمطر. انظر ديوانه (٢/ ٤١٢).



وكلَّما تذكرتَ ما أبصرَ طرفُك فاطرفْهُ بدمعةٍ، لعل قَرَظَ البُكاء يدبُغُ دبرَ بصرِك، فيصلحُ لرؤية حبيبِك:

وكيف ترى ليلى بعينٍ ترى بها ... سُليمى ولم تُغْسَلْ بفيضِ المدامعِ؟

وتسمْعُ منها لفظةً بعدما جَرى ... حديثُ سواها في خُروقِ المسامعِ؟[١]

قال الطبيبُ لثابت البُناني[٢]: أعالجُ عينَك ولا تبكي. فقال: لا خيرَ في عينٍ لا تبكي:

إذا لم أفُزْ مِنْكُم بوعدٍ ونظرةٍ ... إِلَيْكُم فَمَا نَفْعي بسمعي وناظري؟

مَتى غنّتِ الورقاءُ كَانَتْ مُدامَتي ... دمُوعي وزفْراتي حَنينَ مزاهِري[٣]

كان الشبلي يُنشِد:

أروحُ وَقد ختمتُ على فؤادي ... بحبِّكَ أَنْ يحنَّ إلى سواكا

ولَو أَنّي اسْتَطَعْتُ غضضتُ طرفِي ... فَلَمْ أبْصرْ بِهِ حَتَّى أراكا[٤]

تجلّتِ الجنّةُ للعُبَّاد فعشقوا.

وانكشفَ حجابُ الحبيبِ للعارفين فقلقُوا.

---

(١) ليزيد بن معاوية من أبيات. انظرْ: شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي ص ١١١. باختلاف ألفاظ.

(٢) إمام تابعي بصري، توفي في ولاية خالد بن عبدالله على العراق. صفة الصفوة (٣/ ٢٦٠).

(٣) لصردر مِنْ قصيدته: وددت التصابي فيك إذ كان عاذري. انظرْ: ديوانه ص ٨٤-٨٥.

(٤) للمتنبي مِنْ قصيدته: فدى لك مَنْ يقصر عن مداكا. انظرْ: ديوانه ص٦٢٠. وفيه: خفضت.

وأنتَ مشغولٌ بالجِيَف:

طهّرْ خِلالَـك مِنْ خِلٍّ تُعـابُ به[١]

ويحك، ما يُساوي النصابُ خجلَ الفضيحةِ، فكيف بألمِ القطعِ؟!

مَا فِي هوادجكـم من مهجتي عوضٌ إِنْ متُّ شـوقاً وَلَا فِيهَا لَهَـا ثمنُ[٢]

إخواني:

دعونا مِنْ ذكـرِ البطّالين، وقوموا بنا عن مزبلـةِ الهوى لندخلَ رياضَ الرياضة، ولا يصْحَبنا مزكومٌ:

يـا صاحبـيَّ قضيـبُ البـانِ ريّانُ والطـلُّ في طُـرر الريحـان حـيرانُ

وللصَّبـا عثَـراتٌ مـا تُقـالُ وفي سـجعِ الحمائـمِ ترجيـعٌ وإرنـانُ

فغالِبـا نعسـتي بالذكرِ واختلسـا لُبِّـي فقـدْ نفـحَ النسريـنُ والبانُ

وعرّضـا بهـوى حِبّـي فـليْ ولـهُ في موقفِ الوجدِ إنْ عرّضتُما شـانُ[٣]

المعرفةُ بساطٌ لا يطؤه إلا مقرَّبٌ.

والمحبةُ نشيدٌ لا يطربُ عليه إلا مدنفٌ.

---

(١) لمهيار مِنْ قصيدته: أسـتنجدُ الصبر فيكم وهو مغلوبُ. وعجزه: واسـلم وحيداً فما في الناس مصحوبُ. وهو البيت (١٦). انظرْ: ديوانه (١/ ٢٥).

(٢) للمتنبي مِنْ قصيدته: بم التعلل لا أهل ولا وطن. وثَم اختلاف. انظرْ: ديوانه ص٥٠٩.

(٣) لأبي القاسـم عبد الصمد بـن بابك، ضمن قصيدة، وثم اختـلاف. انظر: يتيمة الدهر (٣/ ٣٨٣).

الحبُّ غديرٌ في صحراء ليس عليه جادةٌ، فلهذا قلَّ وُرّادُه.

فلا حُبَّ حتى يلصقَ الجسمُ بالحشا[١]

المحبون يهربون إلى العزلة هرَبَ الحوتِ إلى الماء.

كان محمد بن النضر الحارثي[٢] يقول: أشتهي سرداباً أخلو به فيه:

كتمتُ اسمَ الحبيبِ من العِبادِ ... وردَّدتُ الصبابةَ في فؤادي

فيا شوقي إلى بلدٍ خليٍّ ... لعلّي باسمِ مَنْ أهوى أُنادي[٣]

لو رأيتَ الـمُحبين في الدُّجى تمرُّ عليهم زُمَرُ النجومِ مرَّ الوصائف، إلى أنْ يُقبلَ هودجُ: «هل مِنْ سائل»[٤]، فينثرون عليه الأرواحَ نثرَ الفراشِ على النارِ، فيُدير عليهم كؤوسَ المخاطبة، فإذا القومُ صرعى مِنْ سُلافِ الوجْدِ:

عطَّرَ الأفْقَ نسيمُ الخُزامى ... فرمى الشَّوقُ فؤادي سهاما

يا شَمالاً روَّحتْ أرضَ قلبي ... بلِّغي عنّي حِبي السَّلاما

---

(١) قال في «الوساطة» ص٣٠٦: «لبعض العرب، ويُنْسبُ إلى المجنون:

ولا شوق حتى يلصق الجلد بالحشى ... وتصمت حتى لا تجيب المناديا».

وانظرْ: خزانة الأدب (١/ ٤٢٤).

(٢) من الطبقة السادسة من المصطفين من أهل الكوفة. صفة الصفوة (٣/ ١٥٩).

(٣) لعُلية بنت المهدي. انظرْ: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم للصولي ص٦٥، وديوان عُلية ص٣٠.

(٤) صحيح مسلم (٧٥٨).



يا مَنْ باعَ[١] الـمُناجاة بفضلِ لقمةٍ فنام:

لما قام القومُ إلى الخدمةِ حضرَهُم المخدومُ «ينزل إلى السماء الدنيا»[٢]، «ومَنْ أتاني يمشي أتيته هرولة»[٣].

النائمُ لا يعلمُ حضورَ الزائر، ولا يسمعُ «هل مِنْ سائل».

مرَّ عليه الكرى لم يدرِ ما جرى:

يا مَنْ لحشا المُحبِّ بالشَّوق حَشا ... ذا سِرُّ سُراك في الدجى كيف فَشا

هذا المولى إلى المماليكِ مشى ... لا كان عَشاءٌ يُورِثُ القلبَ عَشا

إذا تحرَّك نسيمُ السَّحر عمَّ الرَّوحُ كُلَّ رُوح:

وخَصَّ باناتٍ على كاظمةٍ[٤]

ورَدَّ أوطاراً بها ماضيةً[٥]

يشتدُّ عليهم حرُّ الخوف فيُشرفون على التلف:

لولا نسيمٌ بذكراكم يُروِّحُني ... لكنتُ مُحترقاً مِنْ حرِّ أنفاسي[٦]

(١) كتبها المؤلف أولا: بعت. ثم عدلها إلى: باع.
(٢) الحديث السابق.
(٣) صحيح البخاري (٦٩٧٠) و(٧٠٩٨)، وصحيح مسلم (٢٦٧٥).
(٤) لمهيار وتتمته: فزادها نضارةً ولينا. وسيأتي مع أبيات في الفصل (٢٤).
(٥) لمهيار مِنَ القصيدة نفسها وتتمته: عليَّ أو أحبّةً باقينا. وسيأتي مع أبيات في الفصل (٢٤).
(٦) مرَّ في الفصل (١٨).



جاء في الحديث: تحت شجرة طُوبى مُستراحُ العابدين[١].

إنما يطيبُ مكانُ الاستراحةِ بعد التعب، وإنما يلذُّ الظلُّ الباردُ لمَنْ تأذّى بحرِّ الهجير.

إخواني:

مثّلُوا الاسْتِرَاحَة تَحت «طُوبَى» يهنْ عَلَيْكُمُ النَّصَبُ.

ادأبوا في السّيرِ فقد لَاحَ الْعَلَمُ:

لـمّا وردنا التغلبيْـ ـيَةَ حَيْثُ مُجْتَمعُ الرفاقِ

وشممتُ مِنْ أَرضِ الْحجا ز نسيمَ أرواحِ الْعِرَاقِ

أيقنتُ لي وَلمن أحبْـ ـبُ بِجمعِ شَملٍ واتّفاقِ

وضحكتُ مِنْ طيبِ الْوِصَا لِ كَمَا بَكَيْتُ من الْفِرَاقِ

مَا بَيْننَا إِلَّا تـصَرْ رُ مُ هَذِه السَّبعِ الْبَوَاقِي

حَتَّى يطولَ حديثُنا بصُنوفِ مَا كُنَّا نُلاقي[٢]

❁ ❁ ❁

(١) لم أجده مرفوعاً.

(٢) لموسى بن عبدالملك. انظرْ: مثير العزم الساكن (٢/ ١٩٦).

وانظر: مصارع العشاق (١/ ١٨٦)، ونفح الطيب (١/ ٦٧).

الفصل الثاني والعشرون

كنوزُ الجواهرِ مُودعةٌ في مِصْرِ الليل، فتتبعْ آثارَ الطلَبة لعلك تقعُ بكَنْز.

كان عمر بن المنكدر[١] طويلَ السهر، فقالتْ له أمُّهُ: يا بنيَّ أشتهي أراكَ نائماً بالليل.

فقال: يا أماه، إنَّ الليلَ يردُ عليّ، فيهولني، فينقضي عنّي وما قضيتُ منه أرَبي:

لو أنهمْ عشِقوا لَما عذلوا ... لكنهمْ عذلوا وما عشِقوا
عسفوا[٢] عليَّ بلومهمْ سفَهاً ... لو جُرّعوا كأسَ الهوى رفقوا
ليس الفؤادُ معي فأعلمَ ما ... قد نالَ منهُ الشَّوقُ والقلقُ[٣]

ذلُّوا له ليرضى، فإذا رأيتَهم قُلتَ مرضى:

مرضٌ بقلبٍ مَا يُعَادُ ... وقتيلُ حُبٍّ مَا يُقَادُ
يَا آخرَ العشاق مَا ... أبصرتَ أوَّلهمْ يُذادُ؟
يَقْضِي المُتيَّمُ مِنْهُمُ ... نحْباً، ولَو رُدّوا لعادوا[٤]

---

(١) من الطبقة الرابعة من عُبّاد أهل المدينة. صفة الصفوة (٢/ ١٤٥).

(٢) في الديوان، ومصارع العشاق: عنفوا.

(٣) لعلي بن عبدالرحمن الصقلي مِنْ قصيدته: هذي العيون وهذه الحدق. انظرْ: ديوانه ص٥٦-٥٧، ومصارع العشاق (٢/ ٧٤).

(٤) لصردر مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه ص ١٥٨. وفيه: مرض بقلبك. لا يقاد.

يأنسون في الدجى بالظلام.

ويطربون بِنوح الحَمام.

مرضى الْأَبدَان مِنْ طولِ الغرام.

أصحّاء الْقُلُوب مَعَ السقام.

إِذا ذُكِر حبيبُهُم رَأَيْتَ الـمُستهامَ قد هام:

دعوني ونَعمانَ الأراكِ أَرُودُهُ ... يُجاوبُ صوتي طيرَه المُتناوحا

عسى سانحٌ مِنْ دارِ ميّةَ يامِنٌ ... يُقَيّضُ لي عن شائمٍ طارَ بارحا[1]

لو رأيتَ رواحلَ الأبدان قد أنضاها طُولُ السَّهر فأضناها، فَلَمَّا هبّتْ نجْديّةُ السَّحر مدَّتْ أَعْنَاقَ الشَّوقِ، فَزَالَ كَلُّ الكَلال:

تزاوَرْنَ عَن أذرُعاتٍ يَمِينا ... نواشزَ لَيْسَ يُطعن البُرِيْنا

كلفنَ بِنَجْدٍ كَأَنّ الرياض ... أخذنَ لنجدٍ عَلَيْهَا يَمِينا

وأقسمْن يحملن إِلّا نحيفاً ... إليهِ ويُبلغنَ إِلّا حَزينا

وَلما استمعنَ زفيرَ المَشُوْق ... ونوحَ الحمام تركنَ الحنينا

إِذا جئتُما بانةَ الواديين ... فأرخُوا النُّسوعَ وحُلّوا الوضِينا

فثَمَّ علائقُ مِنْ أجلهَا ... ملاءُ الدُّجى وَالضُّحى قد طُوينا

وَقد أنبأتْهُمْ مياهُ الجُفُو ... نِ أنَّ بقلبِك داءً دَفِينا[2]

---

(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: أمرتكمُ أمري بنعمانَ ناصحا. والبيتان المختاران هما (١٩، ٢٠). انظرْ: الديوان (١/ ١٩٦).

(٢) لصردر مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه ص ١٥-١٦.

***

إِذا جـزتَ بالغَـوْرِ عـرِّجْ يَمِينا	فقـد أَخذَ الشَّـوقُ منـا يَمِينا[١]
وَسـلِّمْ على بـانـةِ الواديـينِ	فَإِنْ سَمِعتْ أوشـكتْ أَن تبينا[٢]
ومِلْ نحـو غُصْنٍ بـأرضِ النَّقا	وما يُشـبهُ الأيكُ تلـك الغُصونا
وَصِـحْ في مغانيهـمُ: أَيْـن هُمْ؟	وهيهـاتَ أَمُّـوا طَرِيقاً شـطُونا
أَرَاك يـشُـوقُـك وَادي الْأَرَاك	أللـدار تبْكي أم الساكـنيـنـا؟
سقـى اللهُ مـرتعنـا بالحِمـى	وَإِن كَـانَ أورثَ داءً دَفِـيـنـا
وعـاذلـةٍ فَـوْقَ دَاء الْـمُـحـبِّ	رُويـداً رُويـداً بنـا قـد بلينـا
لِـمَـنْ تعذُلـين أمـا تعذرين؟	فَلَو قـد نفعـتِ دفعـتِ الأنينا
إِذا غلـبَ الحبُّ ضـاعَ العتابُ	تعبـتِ وأتعبـتِ لَـوْ تعلمينا[٣]

كم بينك وبينهم؟

وهل تدري أين هُم؟

---

(١) مـزج المؤلفُ هـذه القصيدة بقصيـدة صردر. وكان قد أورد أبياتـاً من قصيدة صردر في كتابه «مثير العزم السـاكن» ثم قال (١/ ١٠٥): «ولي في أثنـاء قصيدةٍ عارضتُ بها قصيدة ابن الفضل». وأورد هذه القصيدة: إذا جزت... وابن الفضل هو صردر نسـبَهُ إلى جدِّه!

(٢) زاد في «مثير العزم الساكن» و«الـمدهش» بعده:

ورَوِّ ثرى أرضهم بالدموع　　وخلِّ الضلوعَ على ما طوينا

(٣) للمؤلف. انظرْ: مثير العزم الساكن (٢/ ١٠٥)، والـمدهش (٢/ ٥٩٣).



يا طِفلاً في حَجْرِ الْعَادة محصوراً بقماطِ الهوى:

مَالك ومزاحمة الرِّجَال؟

أين أنتَ والمحبة، أَنتَ أَسِيرُ حبّة؟

تمسكتَ بالدنيا تمسُّكَ المرْضَعِ بالظئر.

وَالْقَوْمُ مَا أعاروها الطَّرْف:

سَلامٌ على تِلْكَ الْمَعَاهد إِنَّهَا ... شَرِيعَة وردي أَو مهبُّ شَمالي

ليالِيَ لم نحذرْ حُزونَ قَطيعةٍ ... وَلَمْ نمشِ إِلَّا فِي سهولِ وصالِ

فقد صرتُ أرْضى مِنْ سواكنِ أهلها ... بخُلَّبِ برقٍ أَو بطيفِ خيالِ(١)

يا غائباً عنّا وهو حاضر:

أما لك ناظرٌ ناظر؟

أمَا دموعُ الخائفين قد ملأتِ المحاجر؟

أُفٍّ لبدويٍّ لا يُطربهُ ذكرُ حاجر:

أَلا يَا نسيمَ الرّيحِ مِنْ أرْضِ بابلٍ ... تحمَّلْ إِلَى أهلِ الْحجازِ سلامي

وكيف أطيقُ الصبرَ عمَّنْ ودادُهُ ... جرى في عظامي وهْي غيرُ عظامِ

وَإِنِّي لأهوى أَنْ أكُونَ بأرضِهم ... على أنني مِنْهَا اسْتَفَدْتُ سَقامي(٢)

(١) نُسِبتْ إلى القاضي عبدالوهاب خطأ، وهي مِنْ شعر أهل الشام. انظرْ لزاماً: ديوان القاضي عبدالوهاب البغدادي المالكي ص٨١.

(٢) للشريف المرتضى. وقد مرَّ الأول والثالث في الفصل (١).

انظُرْ إلى التائبين وحُرَقِهم.

والتفتْ إلى العارفين وقلقِهم.

فأقلُّ أحوالِ الزَّمِنِ أنْ يبكي إذا رأى المُشاةَ:

اسْمَعْ أَنِـينَ العـاشقيــ ـــنَ إِنِ اسْتَطَعْتَ لَهُ سَماعا

رَاحَ الحبيبُ فشَيَّعَتْـ ـــهُ مدامعٌ تجْرِي سِرَاعًا

لَو كُلِّف الْجَبَلُ الْأَصَمْـ ـمُ فِـرَاقَ إلفٍ مَا استطاعا

انكشفَ اليومَ السِّتر، افتضحَ العاصي والعارف:

خليـليَّ قد عَمَّ الأسـى وتقاسَـمتْ فنُـونَ البلى عشـاقُ ليـلى ودورُها

وَكنتُ إذا مَـا جِئْتُ ليـلى تبرقعَتْ فقد رَابَنِـي مِنْهَا الْغَدَاةَ سُـفورُها[١]

وقعَ الحريقُ في زوايا المجلسِ، رُشُّوا عليه مِنْ مزادِ الدمعِ:

اسـقني فاليـومُ نَشـوانُ والـرُّبى صَـادٍ وريّـانُ

وندامى كَالنُّجُومِ سَطَـوْا بالـمُنى، والدَّهْـرُ جَـذْلانُ

خطرَوا وَالسُّـكْرُ ينفُضهم فـذيُـول الْـقَـوْم أردانُ[٢]

---

(١) البيتان لتوبة بن الحمير، كما في «المدهش» (٢/ ٤٧٤). والثاني ضمِنْ قصيدة في «الأمالي» للقالي (١/ ١٣١). وفيه: إذا مازرتُ.

(٢) للشريف الرضي مِـنْ قصيدة. انظرْ: ديوانـه (٢/ ٥٠٤-٥٠٥). وفيه: خطروا والخمر تنفضهم ...وذيول...

ونسبت في «المدهش» (٢/ ٥٣٨) إلى ابن المعتز!

يَا كثيفَ الطَّبْع:

بيضُ الحْمام يمزُقُ مِنْ صَوتِ الرَّعْد، وَلَا حسَّ لَهُ!!

أفمَيْتٌ أَنْتَ وهَذِه الصَّوَاعِقُ حولَك؟!

لَـو ترى العاشـقين فِي مأتـم الذلْ ... لِ وَقد شُـقّقتْ جُيُـوبُ الْوِصَالِ

لعـذَرتَ الَّذِي بُلِـيْ بِفِـرَاقٍ ... ورحمـتَ الْـمُحبَّ فِي كلِّ حَـالِ

جاءت الْيَوْمَ نسمَةٌ مِنْ أَرضِ كنعان إِلَى مصر.

غنّتْ حماماتُ اللِّوى فِي صحراءِ نجد.

تنفَّسَ الـمُشتاقُ فانقشعَ غيمُ الهجر.

سعى سمسارُ المواعظِ فِي الصُّلْح:

هبَّـتْ لنـا وبُـرودُ اللَّيْـل أسـمالُ ... ريحٌ لَهَـا مِنْ جُيُـوب الْوَصْل أذيالُ

مرّتْ بسَـفح اللِّوى وَالشِّيْحُ متّشِحٌ ... بلُؤلُـؤ الطـلِّ والجَرْبـاءُ مِعْطـالُ

مَريضَـة في حَـواشِي مرْطهَـا بَلـلٌ ... يُهـدَى لـكل مَرِيـضٍ مِنْـهُ إبلالُ

دعْ جَمْـرَةً لسـوادِ الْقلـبِ مُحْرقـةً ... يَا لائمـي ثمَّ قـلْ لي كَيـفَ أحتالُ

حدّثتَ عَنْ مُنحَنى الْوَادي وسـاكنهِ ... كـرِّرْ حَدِيثَك لَا ضَاقَـتْ بك الحالُ

وامزجْ بِمَاء الـمُنى ما قلتَ مِنْ خبرٍ ... فَـإِنَّ أَخْبَـار ذَاك الحـيِّ جريـالُ[1]

❁ ❁ ❁

(١) للغـزي، مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه ص ٤٢٤-٤٢٥. باختلاف يسـير، ولعل مردَّ بعضه إلى النُّساخ.

الفصل الثالث والعشرون

انقسمَ الصالحون عند الموت:

فمنهم مَنْ أخذهُ القلقُ كعُمر، كان يقولُ: الويلُ لعُمرَ إنْ لم يُغفرْ له.

ومنهم مَنْ غلبَ عليه الرجاءُ كبلال، كانت زوجتُه تقول: واحرباه. وهو يقول: واطرباه، غداً نلقى الأحبةَ محمداً وحِزْبه.

علِمَ بلالٌ أنَّ الإمامَ لا ينسى الـمُؤذِّن:

بشَّرَها دليلُها وَقالا: غَداً تَرينَ الطلحَ والجِبالا[1]

قَالَ سُليمان التَّيمِيّ[2] لابنه عِنْد الموْت: اقْرَأ عَليَّ أَحادِيث الرُّخص؛ لألقى اللهَ وَأَنا حسنُ الظَّن بِهِ.

إِلَى مَتى تتعب الرَّوَاحِل؟ لَا بُدَّ من مناخ:

رفقاً بها يا أيها الزّاجرُ قد لَاحَ سلعٌ وبدا حاجرُ

فخلِّها تخلعُ أرْسانها على الرُّبى لاراعها ذاعرُ

وَاذْكُرْ أَحَادِيثَ ليَالِي مِنى لَا عُدِمَ المذْكُورُ والذّاكرُ

---

(١) مِنْ شواهد أبي عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٢٥٠). وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١٤٠) وغيرهما، ولم ينسبوه، ونسبه القرطبي في «الجامع» (١٧/ ٢٠٨) إلى الجعدي.

(٢) سليمان بن طرخان، من الطبقة الرابعة من عُبّاد أهل البصرة، توفي سنة ١٤٣هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٩٦).

يا هذا:

اتعبِ اليومَ تسترحْ غداً.

اشتغلْ بباقي الحياة يكفِك حالةَ الموت[١]:

تعالَ نُجدِّدُ عهدَ الرِّضا ونصفحُ في الحبِّ عمّا مضى

ونَجري على سُننِ الصَّادقين وأضمنُ عنّي وعنكَ الرضا[٢]

يا هذا:

أنا أحدِّثك عن سيِّدِك بالنهار، فاسمعْ أنتَ منه بالليل.

لابُدَّ مِنْ مقاساةِ الشدائدِ حتى تنال الراحة.

خرجَ المريدُ الصادقُ مِنْ ديارِ الهوى إلى باديةِ الطلب، فجَنَّ عليه ليلُ التحيّر، فجُنَّ، فَإِذا نَار الْقِرى تلوحُ، إِنْ حملتْ رِجلُ الرَّجلِ:

قد أبصرتْ حَقًا مُناها في الحِمى وظنَّها بحاجرٍ يَقِينا

فبُلِّغتْ أَدْعُو لَها وَبَلّغتْ وخانَني مَنْ لم يقلْ: آمينا[٣]

إذا اعتكر الليلُ اعترك الهمُّ.

---

(١) لم تنقط الجملة، ويحتمل أن تقرأ: اشتغل بنا في الحياة نكفك... .

(٢) لسعيد بن حميد من خمسة أبيات. انظر: الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٤٣٧.

(٣) لمهيار الديلمي، مِنْ قصيدته: جرت لها ببابل يمينا. والبيتان المختاران هما (٣، ١٠). انظرْ: ديوانه (٤/ ٩٣-٩٧).

طال الدُّجى على الأبدان، وقصُر على القلوب:

شَـكَوْنَا إِلَى أحبابِنـا طـولَ ليلنا ... فَقَالُوا لنا: ما أقصرَ اللَّيْلَ عندنا![١]

ثوَّرَت فِي اللَّيْل الحُداةُ.

وعُكِمتْ أحمالُ الْأَعْمَال.

وسارتْ رفْقَة الـمُتهجِّدين.

وترنَّم كلُّ ذِي صَوتٍ بشجو.

وَأَنت فِي الرقدةِ الأولى بعدُ:

لا تُخْلِ مَرْجـانَ دمعٍ مِنْ عقيْقِ دمِ ... شـوقٌ بِلَا عَبْرَةٍ سَـاقٌ بِـلَا قدَمِ

ولا تمـنَّ دُنـوَّ الـدارِ نازحـةً ... مُنى الشبيبة بعدَ الشـيْبِ والهرمِ

فكم سـألتَ كَرى عينيك زخرفةً ... وما أراكَ أراكَ الحـيَّ في الحُلُمِ[٢]

كَيفَ تطِيقُ السَّهر مَعَ الشِّبَع؟

كَيفَ تزاحِمُ أهلَ العزائمِ بمناكبِ الكسلِ؟

دعِ الْهَـوى لِأُنـاس يُعْرفـونَ بِهِ ... قد مارسوا الحبَّ حَتَّى لانَ أصعبُهُ

بلوتَ نَفسَـك فِيما لسـتَ تخبرُهُ ... وَالشَّيْءُ صَعْبٌ عـلى مَنْ لَا يُجَرّبُهُ

(١) سمعه المغني إسماعيل بن جامع (المتوفى سنة ١٩٢هـ) ضمن أبياتٍ، مِنْ جاريةٍ في المدينة.
انظرْ: مصارع العشاق (٢/ ٢٥٠)، والبداية والنهاية (١٠/ ٤٨٩).

(٢) للغزي، مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه ص ٨١٤.

افنَ اصطباراً وَإِنْ لم تستطعْ جَلداً فَـرُبَّ مُـدْركِ أَمـرٍ عـزَّ مَطلبُهُ
أحنُو الضلوعَ عـلى قلبٍ يحيّرُني فِي كلِّ يَـوْم ويُعْيينـي تقلُّبُـهُ
تنـاوحُ الرّيـحِ مِنْ نجـدٍ يهيّجهُ ولَامِعُ الْبَرْق مِـنْ نَعْمَان يُطربُهُ[١]

مَا وصلَ الْقَوْمُ إِلَى الْمَنزل إِلَّا بعد طُول السُّرى.

مَا ذاقوا حلاوةَ الرَّاحَة إِلَّا بعد مَرَارَةِ التَّعَبِ:

مِنْ أجلِ هواكمُ هويتُ العشـقا قلبِـي كلِـفٌ ودمعتي مَـا ترقى
فِي حُبكـمُ يهُـونُ مَـا قـد أَلْقى مَا يحصُـلُ بالنعيم مَنْ لَا يَشـقى

مضى - واللهِ - أربابُ المعاني، وتخلفَ أصحابُ الدّعاوى:

هاتيـك ربوعهـمْ وفيهَـا كَانُوا بانُـوا عَنْهَـا فليتَهـم مَـا بانوا
ناديـتُ وَفِي حشاشـتي نـيرانُ: يَـا قـومِ مَتى تَحـوّلَ السُّـكانُ؟

الدُّجى بَيْداءُ الـمُريدين، يدورُ بهم الوَجدُ في فلواتِ الخلواتِ:

فالـمَهجورُ يُنادي:

كان لِي قلـبٌ أعيـشُ بـه[٢].

(١) لعلي بن أفلح العبسي. انظرْ: ديوانه ص ٣٤.
(٢) للعباس بن الأحنف مـن أبيات. وتتمته: فاصطلى بالنار فاحترقا. انظرْ: أشـعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ص٨١، وديوانه ص٢١٧.

والـمُفرِّطُ يقولُ:

لم أقضِ منه لبــاناتٍ ظفــرتُ بها(١)

والـمُتعبِّدُ يترنمُ:

ذكــرُكَ لي مــؤنسٌ يعارضنــي(٢)

والساهرُ يُزمزمُ:

أسألُ عيني كيــف طعمُ الكرى؟(٣)

والحزينُ يهتفُ:

ســقَّيتني دمعــي ومــا يُـروى بــه ظمئي، ولكن لا عدمتُ الســاقي(٤)

والـمُحبُّ يصوِّتُ:

إذا اشــتغلَ اللاهون عنك بشــغلهم جعلتُ اشتغالي فيكَ يا مُنتهى شُغلي

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: يا ليلة السـفح ألا عدتِ ثانية. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٧٣). وفيه: لم أقض منكِ...

(٢) مِنْ بيتين أنشدهما أبو العباس بن عطاء. انظرْ: طبقات الصوفية ص٢٧٠، وتاريخ بغداد (٥/ ٢٩).

(٣) لمهيـار الديلمي مِنْ قصيدته: ما كنتُ لولا طمعي في الخيالْ. وتتمته: عُلالةً وهو سـؤالٌ محالْ. انظرْ: ديوانه (٣/ ١٦٦).

(٤) لعاصم بن الحسن العاصمي (ت: ٤٨٢هـ) مِنْ أبيات. انظرْ: المنتظم (١٦/ ٢٨٧).

والعارفُ يتمثلُ:

ومـا بيَ البانُ بـل مَـنْ دارُهُ البانُ[١]

والـمُشتاقُ يستغيثُ:

ومـا تنقـضي الأيـامُ إلا بذكـركمْ
يسـائلُني قلبـي بكم وأسـائلُهْ
لئن غبتَ عن عيني وشـطتْ بك النَّوى
فأنتَ الكرى في القلبِ حطَّتْ رواحِلُهْ[٢]

والـمُنبسطُ يُخاطِرُ:

عزيزيَ سـؤلي أنْ أرى منـكَ خلوةً فأذكـرُ مـا بيْ مِنْ هـواكَ وتَسْـمَعُ

فإذا رأى الـمَطرُودُ حظوظَ القومِ -وهو مفلسٌ- قال في صعداءِ أنفاسهِ:

بـذا قضتِ الأيـامُ ما بـينَ أهلِها[٣]

❁ ❁ ❁

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أَسِلْ بدَمعِكَ وَادي الحَيّ إن بانوا. وصدره: يهفو إلى البان مِنْ قلبي نوازعُه. انظرْ: ديوانه (٢/ ٤٤٩).
(٢) لستُ على ثقة من قراءة هذا العجز.
(٣) للمتنبـي مِنْ قصيدته: عواذلُ ذات الخال فيَّ حواسـدُ. وتتمتـه: مصائبُ قومٍ عند قوم فوائدُ. انظرْ: ديوانه ص ٣٣٠.



الفصل الرابع والعشرون

يا هذا:

أكبرُ دليلٍ لك علينا أنت.

كنتَ بَدَداً في ظهُورِ الأصول، فنُظِمتَ بالقُدرة نظماً عجيباً خالياً عن العبث، فما تُنقَضُ إلا لأمرٍ أعجبَ منه.

مُدَّتْ أطنابُ العروق، وحُفِرتْ خنادقُ الأعصاب، وضُرِبتْ أوتادُ المفاصل، وأُقيمَ عمَدُ الصُّلب، ثم مُدَّ السُّرادقُ، فنُصِبَ سريرُ القلبِ في الباطن للمَلك، «ويسعني قلبُ عبدي المؤمن»:

إذا لم يجِدْ صبٌّ على النأي مُخْبِراً ... عَنِ الحيّ بعد البَيْن أَيْن أَقَامُوا

فَعِنْدَ النسيمِ الرطبِ أَخْبَارُ منزلٍ ... بِهِ لسُليمى بالعقيقِ خيامُ

يَا هَذَا:

إنْ كنتَ محباً فحبيبك مَعَك في كلِّ حَال، حَتَّى عِنْد الموْت، وَفي باطن اللَّحْد:

يَا حبَّذا العرعرُ النجديُّ والبانُ ... وَدَارُ قوم بِأَكْنَافِ الحِمى بانُوا

وَأطيَبُ الأَرْض مَا للقلب فِيهِ هوى ... سَمُّ الخْياطِ مَعَ المحبوبِ ميدانُ[1]

(١) للغزي، انظرْ: ديوانه ص ٥٢٠. وفيه بيتٌ ثالث، هو فيه الثاني.



يا مَنْ كانت له معنا معاملة.

وطالتْ بيننا وبينهُ الـمُواصَلة.

ثم اختارَ الهجرَ والـمُفاصلة.

إنْ لم يكُن جميلٌ فمجامَلة.

اسكبْ دموعَ أسفك، واندبْ أطلالَ مألفك:

تـظُـــنّ ليـاليَـنــا عُـــوّدا   على الْعَهْد مِنْ بُرْقَتـيْ ثَهْمَدا

وَيَا صَاحِبيْ أَيْن وَجهُ الصَّباح   وَأَيْنَ غَدٌ؟ صِـفْ لعَيْنِي غَدا

وَخلـفَ الضُّلوعِ زفـيرٌ أَبى   وَقــد بــرَدَ اللَّيْـلُ أَنْ يـبْرُدا

خليــليَّ ليْ حَاجَــة مَــا أخفّ   برامــة لَــو حُمّلــتْ مُسْــعِدا

أُرِيــدُ لأكتُــمَ[1] وَابْــنُ الْأَرَا   كِ يفضَحُــها كلَّــما غــرَّدا

أُحِبُّ وَإِنْ أخصبَ الحاضِرُون   ببــاديةِ الـرَّمــلِ أَنْ أخلُــدا

أرى كَبِدِي قُسِّــمتْ شُعْبتينِ   مَــعَ الشَّــوقِ غَــوّرَ أَو أَنْجدا

تمنّــاكَ عَيْنــي وقلبــي يراكَ   بشوقيَ حــاشاكَ أَن تُفْقدا[2]

إخواني:

تعالوا ننَدُبْ أيامَ الوصال.

---

(١) في الديوان: لتكتم.

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٣، ٥- ٧، ١٠، ١٥، ٣٣). انظرْ: ديوانه (١/ ٢٦٣-٢٦٤).

ونبكي على قطعِ الاتّصال:

أَشْكُو إِلَيْك مدامعاً تكفُ — بعد النَّوى وجوانحاً تَجِفُ
ما كان أسْرعَ مَا نبا زمنٌ — وتكدّرتْ مِنْ وُدِّنا نُطَفُ
لهفي على ذَاك الزَّمَان وَهل — يَثني زَمَاناً مَاضِياً لَهَفُ؟[1]

واأسفاً لـمُنقطعٍ دونَ الرَّكْب.

متأخرٍ عن لحاقِ الصَّحْب.

يَعُدُّ الساعات في مُنى « لعَلّ ».

ويخلُو بفكره في ظنِّ « عسى ».

وكأنه به قد اختُلِسَ في عَطْفة أمل:

أَعُدّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بعد لَيْلَةٍ — وَقد عِشْتُ دهراً لَا أعُدُّ اللياليا
وَأخرُجُ مِنْ بَين الْبيُوت لعلّني — أُحدّثُ عَنْكِ النَّفسَ يا ليْل خَالِيا
إذا سرتُ أرضاً بالفضاء رأيتُني — أُصانعُ رجلي أنْ يميل[2] حياليا
يَمِيناً إِذا كَانَت يَمِيناً وَإِن تكن — شِمالاً يُنَازعْني الْهوى مِنْ شِمَاليا
ألا يَا حمامَيْ بطنِ نَعْمَان هجتُما — عليَّ الأسى لما تغنيّتُما ليا
وأبكيتُماني وسْطَ صحبي وَلم أكنْ — أُبَالِي دموعَ الْعينِ لَو كنتُ خَالِيا
خليليَّ لا واللهِ ما أملكُ البُكا — إذا عَلَمٌ مِنْ آلِ ليلى بدا ليا

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢١-٢٣).
(٢) كأنها في الأصل: تميل.



خليليَّ مَا أَرْجُو منَ الْعَيْش بَعْدَمَا ... أرى حَاجَتي تُشْرى وَلَا تُشْتَرَي ليا

وَقد يجمــعُ اللهُ الشَــتِيتين بَعْدَمَا ... يظُنَّــانِ كلَّ الظَّــنِ أَنْ لا تلاقيا[1]

يا صبيانَ التوبة:

ما لكم تضجّون؟

يُزعجكم التخويفُ فتعجّون.

ويُطمعكم التشويقُ فترجون.

ابكوا على التفريطِ إنْ كنتم تبكون.

حِنّوا إلى زمانِ الصّفاءِ إنْ كنتم تحِنّون:

أَمِنْ خُفــوق الْــبَرْق تُرْزُمِينا ... حِنّــي فَــمَا أمنَعُــكِ الحنينــا

ســيري يَمِيناً وسُراك شــأمةً ... فــضلَــةً مَــا تــتلفّــتينــا

نعــم تُشــاقِين ونشــتاقُ لَــهُ ... ونُعْلــنُ الوَجْــدَ وتكْتُمينــا

فَأَيْنَ منّا الْيَــوْمَ أَو مِنْكِ الْهوى ... وَأَيْــنَ نجــدُ والمُغَــوِّرونــا؟

سقى الحيا عهدَ الحِمى أعذبَ ما ... تسقي الســماواتُ به الأرْضِينا

وخَــصَّ باناتٍ عــلى كاظمةٍ ... فــزادَهــا نــضــارةً ولــينــا

وواصلتْ ما بينها ريحُ الصَّبا ... فعانقــتْ غصونُهــا الغصونا

---

(١) لقيس المجنون كما في «المدهش» (٢/ ٦٠٤)، و«ذم الهوى» ص ٤٠٣.

وردَّ أوطاراً بها ماضيةً ... عليَّ أو أحِبّةً باقينا[١]

***

أوادعُون أم مودِّعونا؟ ... ضيّقتمُ بالأدمعِ الجفونا

شَرَّقتمُ في الأرضِ أو غرَّبتمُ ... أنتمْ سوادَ القلبِ ساكنونا

حويتمُ قلباً رعيتمُ فِكرَهُ ... كونُوا له بالرفقِ حافظينا

شجواً كشجوي يا حمامُ ساعدي ... إنَّ الحزينَ يُسْعِدُ الحزينا[٢]

كم مِنْ دموعٍ ردَّها صوبَ دمٍ ... تَخَلُّجُ البرقِ على يبرينا

***

وأنتَ إنْ كُنتَ رفيقاً فأعِدْ ... ذكرُ الحِمى أطيبُ[٣] ما غُنِيّنا

أعِدْ فمِنْ آيةِ سكانِ الحِمى ... وذكرِهم أنْ يُطرِبَ الحزينا[٤]



---

(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٢، ٦-١١). انظرْ: ديوانه (٤/ ١٣٧-١٣٨).

والأبيات الخمسة بعدها ليستْ منها، ولم أعرفْ قائلها.

والبيتان بعدها لمهيار ولكن من قصيدة أخرى.

(٢) مرَّ هذا العجز في قصيدةٍ للحصكفي في الفصل (١٣).

(٣) الضبط من المؤلف.

(٤) البيتان لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: جرتْ لها ببابل يمينا. وهما (١١، ١٢). انظرْ: ديوانه (٤/ ٩٣-٩٤).

وانظرْ كيف مزجَ المؤلفُ هذه القطع الثلاث!

الفصل الخامس والعشرون

إخواني:

أما ترون أهلَ القبورِ قد أوثقهم الأسرُ عن حركةٍ في نجاةٍ؟

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾(١).

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالَّيْلِ ﴾(٢):

ولقــد مــررتُ عــلى ديارهــمُ وطلــولُها بيــدِ البِــلى نَــهْــبُ

فوقفــتُ حتى عــجَّ مِــنْ لغَبٍ نضــوي وضــجَّ بعــذلِيَ الرَّكْبُ

وتلفّتــتْ عينــي فمُــذْ خفيــتْ عنّي الطُّلــولُ تلفّــتَ القلبُ(٣)

واعجباً لضاحكٍ ملء فيه، وهو يرى القبرَ ولا ينظرُ فيه.

أما يَذكرُ وداعَ أهله؟!

أيرضى أنْ يُؤخذَ على جهله؟!

يا لها مِنْ ساعةٍ ما أشدَّها!

يتمنّى أنْ لو لم يكُنْ عندَها:

---

(١) مِنْ سورة سبأ، الآية ٥٤.

(٢) مِنْ سورة الصافات، الآية ١٣٧-١٣٨.

(٣) للشريف الرضي. انظرْ: ديوانه (١/ ١٨١)، وفيه: حتى ضج. ولج.

وَلم أنسَ موقفَنا للوَداع ... وَقد حَان مِمَّنْ أُحبُّ الرحيلُ

وَلم تبقَ لِي دمعةٌ فِي الشؤون ... إِلَّا غَدَتْ فَوق خدي تسيلُ

فَقَالَ نصيحٌ من الْقَوْم لي ... وَقد كَاد يَأْتِي عليَّ الغليلُ:

تأنَّ بدمعِك لَا تُفنِهِ ... فَبينَ يَديك بكاءٌ طَوِيلُ[1]

يا صبيانَ الهوى:

إن تُرِكَ الخَروفُ فللذبحِ يُؤخَّرُ.

وكم يُسلَبُ رضيع؟

فاقضوا مآربَكم عجالاً، إنما ... أعمارُكم سفرٌ من الأسفارِ

وتراكضوا خيلَ الشباب، وبادروا ... أنْ تُستردَّ، فإنهنَّ عواري[2]

إنَّ الدنيا قد أظهرتْ عُيوبَها، وكشفتْ للبصائرِ غيوبَها.

إنْ باعتْ محبَّها لذّةً ما كَسَتْه، وكم عريَ لها ولدٌ مَا كسته:

هي الدُنيا تقُولُ بملءِ فيها: ... حذارِ حذارِ مِنْ بطشي وفتكي

فلا يغرركمُ حسنُ ابتسامي ... فقولي مضحِكٌ والفعلُ مبكي

---

(١) لسليمان بن أبي جعفر المنصور. انظرْ: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم ص١٤-١٥ باختلاف ألفاظ، والكشكول (١/ ١١٣).

(٢) لأبي الحسن التهامي مِنْ قصيدته: حكمُ المنية في البرية جاري. انظرْ: ديوانه ص٣٠٩. وقد مرَّ البيت الأول في الفصل (١٠).

هـــي الدنيـــا أشـــبِّهُها بشُـــهدٍ يُســـمٌّ، وجيفــةٍ طُليتْ بمسْــكِ

دعــي يا نفــسُ فكــرَك في أناسٍ مضوا بل لانقراضِك ويكِ فابكي

ألا يــا قومنــا انتبهــوا فإنّــا نُحاسَــبُ في القيامة غير شك[1]

يا مُنحرفاً عن الجادّة:

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[2].

لا أنتَ مع أربابِ الدنيا في لذاتِها، ولا مع أهلِ الآخرةِ في عباداتِها.

ما وقعَ بيدِك من النبيذ إلا البنج[3].

يا مَنْ كلَّما عاهدَ غدرَ:

واأسفاً على وفاةِ الوفاء:

تقضى زمانُ العُمْـرِ والربحُ خُسرانُ وولى زمــاني وانقضى الحِـينُ والآنُ

وهــا قد بدا صُبحُ المشـيبِ بعارضي وما حصلَ التقوى ولا صلحَ الشــانُ

وقــد زادني دهــري فــراقَ أحبتــي فبانــوا وبانَ العيـش عنّــيَ إذْ بانوا

أيــا راكبــاً تهــوي بــه مشــمعلةٌ عزافــرةٌ علْبــاءُ وجْنــاءُ مِذعــانُ

(١) لأبي الفرج الساوي. انظرْ: يتيمة الدهر (٣/ ٣٩٦-٣٩٧).

(٢) مِنْ سورة هود، الآية ١١٢.

(٣) هذه الكلمة: (النبيذ)لم تنقط في الأصل. وقد استغرقت قراءتها زمناً.

إذا مـا بدتْ أعـلامُ سـلعٍ وحاجرٍ ... ولاحَ عقيـقُ الجِزعِ واسـتطلعَ البانُ
فسـلِّمْ وإن كان السـلامُ تحيـة ... عـلى مَنْ هُـمُ في أرضِ قلبـيَ قُطّانُ
وقل لهـمُ: إنْ أعوزَ المـزنُ أرضَكم ... وقـلَّ بها نـوءٌ مـن الغيـثِ تهتانُ
ردوا أجفُـر الـوادي فـإني تركتُها ... غداة افترقنـا وهْيَ بالدمـع غدرانُ

***

أسكّـانَ نَـعمانِ الأراكِ تيقَّنـوا ... بأنكـمُ في ربـعِ قلبـيَ سُكـانُ
ودُومـوا على حفـظِ الـودادِ فإنني ... بُليتُ بأقوام إذا اسْـتُحْفِظوا[1] خانوا
سـلوا الليلَ عنّي مذ تناءتْ ديارُكُمْ: ... هل اكتحلتْ بالغمض ليْ فيه أجفانُ؟
وهل جَرَّدتْ أسيافَ برقٍ[2] ديارُكُمْ ... فكان لهـا إلا جفـونيَ أجفـانُ؟[3]

هذا القَبُول يُنادي صبيانَ الهوى: الشابُّ التائبُ حبيبُ الله[4].

ويصيحُ بكهول الخطأ: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[5].

---

(١) في ديوان ابن حيوس: حفظوا. وفي «الوفيات»: استؤمنوا.

(٢) ذهبت الكلمةُ في التصوير واستدركتُها من «وفيات الأعيان».

(٣) لابن حيـوس (ت: ٤٧٣هـ). انظـرْ: ديوانه (٢/ ٦٤٥) وفيه بيـتٌ آخر، ومثير العزم الساكن (٢/ ٩٦).

ونسبت أيضاً إلى ابن الصائغ الأندلسي (ت: ٥٣٣هـ)، انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٤٣٠).

(٤) روى ابن أبي الدنيا في «التوبة» وأبو الشـيخ في كتاب «الثواب» من حديث أنس بسـند ضعيف: إن الله يحب الشاب التائب. المغني للعراقي (٤/ ٥).

(٥) مِنْ سورة الزمر، الآية ٥٣.

ويهتفُ بالشيوخ: «أنا عند الـمُنكسرة قلوبُهم»[١].

أين المنتبهُ:

عسى يلينُ عُودٌ عسا:

لعـــل زمـــانَ ذي ســـلَمٍ يعودُ وأيامـــاً تَضـــنُّ بكـــم تجـــودُ

يا مُنفِقاً بضاعةَ العُمُر في مخالفةِ الـمُنْعمِ:

ليس في أعدائِك أكثرُ أذىً لكَ منك.

أمَا تعبتِ الرواحلُ في سفَرِ الجهل؟!

أمَا أخذَ الفراقُ حظَّهُ مِنْ يعقوب؟!

أأبقى السَّقامُ موضعاً في أيوب؟!

أَدلُّكَ على ما ينفعُك إنْ قبلتَ:

إذا جنَّ الليلُ فعلّقْ على قطارِ الـمُتهجِّدين.

وزاحمْ زُمرةَ الـمُستغفرين.

وتلفّعْ بمرْطِ الذلّ.

(١) أثر إسرائيلي. انظرْ: حلية الأولياء (٢/ ٣٦٤) و(٤/ ٣٢).

ونكّسْ رأسَ الانكسار.

وغطِّ وجهَ الحياء، فأنجح السُّؤال الـمُغطّى الوجه.

وارفعْ قصةَ غصّةٍ عنوانُها:

أُبثُّهُمُ وجدي وهُمْ بيَ أعلمُ

وليكنْ مضمونُها:

ما ترى في وامقٍ مكتئبٍ ... دمعهُ وقْفٌ على مقلتهِ؟

واقفٌ بالباب يشكُو ما بهِ ... فعسى يُنْظرُ في قصّتهِ[1]

فإن قالوا: أطلْتَ الغَيبة عنا، فقلْ:

ما كنتُ أعرفُ ما مقدارُ وصلكمُ ... حتى هجرتمْ وبعضُ الهجرِ تأديبُ[2]

ثم راسِلْ مُنشِدَ البكاء، فسَمعُ القبُولِ يَستطيبُ تلك النغمة، وليكنْ في «بسيطِ» الغناء:

فعندي زفيرٌ ما ترقّى إلى الحشا ... وعندي دموعٌ ما طلعن المآقيا[3]

---

(١) لابن سكرة الهاشمي: محمد بن عبدالله. انظرْ: يتيمة الدهر (٣/ ٧-٨).

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: أستنجدُ الصبر فيكم وهو مغلوبُ. وهو الثالث منها. انظرْ: ديوانه (١/ ٢٤).

(٣) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أراعي بلوغ الشيب والشيب دائيا. انظرْ: ديوانه (٢/ ٥٨٦). وفيه: ما ترقى من الحشى.

واجعلْ في «الثقيل»:

فليتــكَ تحلــو والحيــاةُ مريــرةٌ وليتــكَ ترضى والأنــامُ غِضابُ

وليتَ الــذي بيني وبينــكَ عامرٌ وبيني وبــينَ العالمَينَ خــرابُ[1]

وقلْ في «النشيد»:

مضى زمــنٌ والناسُ يستشــفعونَ بي فهــل ليْ إلى ليــلى الغداةَ شــفيعُ؟[2]

وقلْ في «الرَّمَل»:

تلــذُّ عينــي وقلبــي منــك في ألمٍ[3]

فإنْ لم ترَ للقبولِ أثراً فصِحْ في الوادي:

يــا ربــعُ إن وصَلُــوا وإن صرمُــوا فهُــمُ الأُلى ملكــوا الفــؤادَ هُــمُ[4]

❁ ❁ ❁

(١) لأبي فراس الحمداني مِنْ قصيدتــه: أما لجميلٍ عندكنَّ ثوابُ. انظرْ: المنتظم (٧/ ٧١) ط دار صادر، والديوان ص ٢٧.

(٢) لأحد القيســين: قيس لبنى أو قيس ليلى. مِنْ قصيدة أولها: ســأصرم لبنى حبل وصلك مجملاً. انظرْ: أمالي القالي (١/ ١٣٦)، وفيه: فهل لي إلى لبنى. والأغاني (٩/ ٢٤٧).

(٣) للشريف الرضي مِنْ قصيدتــه: خذي حديثك مِنْ نفسي عن النَّفسِ، وتتمته: فالقَلبُ في مأتَمٍ وَالعَينُ في عُرُسِ. انظرْ: ديوانه (١/ ٥٥٧).

(٤) بعده في «المدهش» (٢/ ٥٤١):

شغلوا بحسنهمُ نواظـرنا وعلى القلوب بحبهمْ ختموا

أتبعتهمْ نظراً فعاد جـوى ومن الشفاء لذى الهوى سقمُ

تمحو دموعي وسمَ إبلهمُ وزفـيرُ أنفـاسي لهـا يسـمُ



الفصل السادس والعشرون

يا قرةَ العيونِ:

أين الناظرونَ إليك؟

يا راحةَ القلوبِ:

أين الـمُستأنسونَ بك؟

يا سرَّ الأسرارِ:

أين الـمُخبِرُون عنك؟

صاحَ أحمد بنُ أبي الحواري[١] بزوجته رابعة[٢] فلم تُجبه ساعةً، ثم أجابته وقالتْ: كنتُ مشغولةً بالله تعالى فاعذرني.

دخلَ بعضُ الـمُحبين الباديةَ فتداخله شيءٌ من القُرب، فمكثَ مكانَهُ ثلاثة عشر يوماً كالـمَبهوت:

سقّني قبلَ تباريحِ العطشْ! إنّ يومي يومُ طشّ بعد رشْ

حُبُّ مَنْ أهواهُ قد أدهشني لا خلَوتُ الدهرَ مِنْ ذاكَ الدَّهشْ[٣]

(١) من الطبقة الثامنة من المصطفين من عُبّاد أهل الشام، توفي سنة ٢٣٠هـ. صفة الصفوة (٤/ ٢٣٧).

(٢) رابعة بنت إسماعيل، ترجمتها في صفة الصفوة (٤/ ٣٠٠).

(٣) ذُكِرا في خبر في «مصارع العشاق» (١/ ٢٥) و(١/ ٢٨٢).



من الـمُحبِّين مَنْ يكابدُ الكتمانَ، ومنهم مَنْ قد خلَعَ العذارَ:

لي حبيبٌ لسـتُ أذكرهُ ... قلقي في الحـبِّ يظهرهُ
نصْبُ عينـي دائماً أبداً ... وسويدا القلبِ يبصرُهُ
قلتُ للعـذال إذ أمروا ... بسـلوٍّ عـزَّ أيـسرُهُ:
مالكي في القلب مسكنُهُ ... فسُلوّي أين أضمرُهُ؟[1]

لو رأيتُموهُمْ لقلتم مجانين:

إن كان حبُّـكَ عاري ... فقد رضيـتُ بعاري
يا مَـنْ إذا صَـدَّ عنّي ... حشـا الحشـا بالنـارِ
يا جنّتـي حين ترضى ... وإنْ غضبـتَ فناري

حُشـيتْ قلوبُ القوم بالغمُوم، حشـوَ الوردِ في قواريـرِ الزور، فكلَّما التهبتْ نارُ الحذَر جرتْ عيونُ الدمعِ في جداولِ العيونِ، فرشَّتْ على الوجوهِ ماءً ما ماءُ الوردِ عندَهُ بطيِّبٍ:

أسرَ القلـبَ فأمسَـى لديـه ... فهـو يشـكوهُ ويشـكو إليه
عذّبَ الأحبـابَ بالهجر حيناً ... فهـمُ يبكـون بـين يديـه[2]

---

(١) لأبي منصور المبارك بن سـلامة المخلِّطي. انظر خريدة القصر - قسم مصر (٢/ ٢١٨)، وإخبار الملوك ص٣٠٠.

(٢) البيتان في «المدهش» (٢/ ٦٣٤) لابن المعتز، والأول في «ديوانه» ضمن أبيات ص٤٦٢. ط دار صادر، و(١/ ٤٣٧) ط دار المعارف بمصر.

قيل لعابدٍ كانَ ينتحبُ في المسجد: إنك تُفْسِدُ على الـمُصلِّين صلاتَهم!

فقال: إنَّ حُزنَ القيامةِ أورثني دموعاً غزاراً:

مهلا عذولُ صَليتَ حرَّ جوانحي وغرقـتَ في تيّارِ دمعي المُسْـبلِ
هذي حشايَ لديكَ فَانْظُرْ هَل ترى قلبـاً؟ فَإِن صادفتَ قلبـاً فاعذُلِ

غايةُ العاذلينَ إيصالُ اللومِ إلى الأسماع، فأمّا القلوبُ فلا سبيلَ إليها:

سِـيّانِ إِنْ لامـوا وَإِنْ عذروا مَـا لي عَن الأحبـابِ مصطبَرُ
لَا بُـدَّ لي مِنْهُـم وَإِن تركُـوا قلبِـي بِنَـارِ الهجـرِ يسـتعِرُ
وَعـليَّ أَن أرْضى بِـمَا صَنَعُوا وأطيعَهـمْ فِي كلِّ مَا أمروا[1]

كان عطـاء السَّـليمي قد انقطعَ لشـدةِ الخـوف، فجِيءَ بشربـةٍ مِنْ سـويقٍ، فلم يقدرْ على شربها، فعاتبهُ صالح المري[2]، فقال: إني كلَّما هممتُ بشُربها ذكـرتُ قوله تعـالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾[3]، فقال لـه: أنتَ في وادٍ وأنا في وادٍ:

أطلـتَ وعذَّبتنـي يَـا عـذولُ بليـت فَدَعنـي حَدِيثـي يطـولُ
أَبِيـتُ أراقـبُ نـجـمَ الدُّجـى إِلى الصُّبْح وحدي ودمعي يسيلُ[4]

---

(١) لأبي غالب ابن بشران الواسطي (ت: ٤٦٢هـ). انظر: المنتظم (١٦/ ١٢٠-١٢١).

(٢) من الطبقة الخامسة من عبّاد أهل البصرة، توفي سنة ١٧٦هـ. صفة الصفوة (٣/ ٣٥٠).

(٣) مِنْ سورة المزمل، الآية ١٣.

(٤) لابن المعتز من ستة أبيات. انظر: ديوانه (١/ ٤١٠)، ط دار المعارف.

دخلوا على عطـــاءٍ[١] وحوله بللٌ، فظنّوه قد توضـــأ، فقالتْ عجوزٌ في دارهِ: هذا أثرُ دموعهِ:

رِدوا غديــراً مِــنْ غزيــرِ دمعي ... قــد رَوِيَــتْ منــهُ رُســومُ الرَّبعِ

مــا هتفتْ ورقاءُ تبكي شــجوَها ... نوحــاً بتغـــريدٍ ولا بسجـــعِ

عــلى فــروعِ البــانِ إلا هيَّجتْ ... أحــزانَ قلبــي وأســالتْ دمعي

أبكي عــلى ما قدْ مــضى بحسرةٍ ... عــلى زمـــانٍ فـــاتني بسلـــعِ

عُوتِـــبَ عطاء في كثرةِ بكائـــهِ، فقالَ: إني أمثّلُ نفـــسي مغلولاً في النار، فكيف لا يبكي الـمَغلولُ؟!

لا تــزدني فــوق مــا ألــ ... ــقاهُ حســبي والجــوى

خلّنـــي أضنى بشــجوي ... عيــلَ صــبري في الهـــوى

بكى عطاء في غرفةٍ لـــه فجرى الدمعُ في الـــمِيزابِ، فمرَّ رجلٌ فقال: يا أهلَ الدارِ: أماؤُكم طاهرٌ؟ فقالوا: نعم. فصاح عطاء: اغســـلْهُ، فإنهُ دمعُ مَنْ عصى اللهَ:

الدمــعُ يخــونُ كلَّ كاتــمْ ... وَالْـــحُبُّ يحلــلُ العزائمْ

والوجــد يُغالــبُ الْمُقاوي ... والســالمُ فِيــهِ مَنْ يُســالمْ

الْقلــبُ بحبكــم لـــديغٌ ... واقلـقـــي مـــن الأراقــمْ

هَـــذَا ويُعِـــين فِي هواكــم ... ســـلّمتُ لكم فَمَا أخاصمْ

---

(١) السليمي.



سَـالَتْ بكـم دمـوعُ عَيْني والدمـعُ لمقلتـي يزاحِـمْ

أبْكِي أثـر الحبيـبِ عندي والحـزنُ تُثـيرُه المعـالِمْ

يَـا مَانـعَ مقلتـي كراهـا مـرَّ اللَّيْـلُ وَلسـتُ نَائِـمْ

قد صمتُ عَن الْهوى لأحظى مِـنْ حبكـم بِأَجْـر صَائِمْ

هَـل يُبْـذَلُ وُدّكـم[1] لظامٍ حيرانَ عـلى الْـوُرُودِ حائمْ

ناحـتْ فـزجـرتُهـا حَمَـامٌ مَـا لي تُزعجنـي الحمائـمْ؟

ترقـينَ إِلَى ذُرى غُصـونٍ أَنَّـى تحملـكِ القـوادمْ؟

تبكينَ وَمَا شـجاكِ شـوقٌ شـكواكِ إِذن مـنَ العظائمْ

إِنْ كنتِ صدقتِ فأسعديني لَا نسْـمعُ لومـةَ اللوائـمْ

طـارتْ وَبقيـتُ فِي ضماني لَا أَبْـرَحُ والزعيمُ غَـارِمْ[2]



(١) في «المدهش» (٢/ ٦١٠): وردكم.

(٢) من مجزوء الدوبيت. وانظرْ ما قاله الأسـتاذ كامل مصطفى الشيبي عنها في كتابه «ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون» ص٢٠٠-٢٠١.

الفصل السابع والعشرون

سفَرُ الليلِ لا يُطيقُه إلا مُضَمّرُ الـمَجاعة.

النجائبُ في الأولِ، وحاملاتُ الزادِ في الأخير.

لو قُمْتَ في السَّحرِ رأيتَ طريقَ العُبّادِ قد غُصَّ بالزِّحام.

لو وردتَ ماءَ مدينَ وجدتَ عليه أمّةً من الناسِ يسقُون:

بانُـوا وخُلِّفْـتُ أبكـي في ديارهمُ قلْ للديارِ: سـقاكِ الرائـحُ الغادي

وقل لأظعانهـم: حُيّيتِ مِـنْ ظُعنٍ وقـلْ لواديهـمُ: حُيّيتَ مِـنْ وادي

يا ديارَ الـمُحبين:

أين السُّكان؟

يا منازلَ العارفين:

أين القُطان؟

يا أطلالَ الواجدين:

أين البُنيان؟

تعاهَدَتْك العهـادُ يَا طللُ خبّرْ عَن الظّاعنين مَا فعلوا

فَقَـالَ: أَلّا اتّبعتَهـم أبداً إِنْ نزلُوا منزلاً وَإِنْ رحلوا



تركــتَ أَيــدي النَّــوى تقُودُهم   وجئتَني عَــنْ حَدِيثهمْ تَسَــلُ[١]

أتُرى أي طريقٍ سلكوا؟

نحن هلكنا، وهُمْ ملكوا:

يَا صَاحِبَيْ رَحْلي قفا   فسـائلا لي الدِّمَنـا

وأمطِـرا دمعيكـما   ذَاك الْكَثِيبَ الأيمنا

مَا الدَّار عِنْدِي سكنٌ   إِذا عَدمتُ السَـكَنا

***

كَانَ فُـؤَادِي وهُـمُ   وظعنوا فـظـعـنـا

مُنــىً لعَيْني أَن ترى   تِلْكَ الثلاث مِنْ مِنى

وَيَوْم سـلعٍ لم يكن   يومـي بسَـلْعٍ هيّنا

وَيَـوْم ذِي البانِ تبا   يَعْنا فحُـزْتُ الغبَنا

كَانَ الغرامُ المشْتَري   وَكَانَ قلبِـي الثمَنا

***

وبــارقٍ أشـيـمُـهُ   كالطرْفِ أغْضى ورنا

ذَكّرنِي الأحبابَ والذ   كـرى تَهيجُ الحزَنا

(١) لابن المعتز. انظرْ: ديوانه ص٣٥٦ باختلاف يسير.



مِنْ بطنِ مَرٍّ والسُّرى تَــأمُّ عُسْــفانَ بِنَــا

وبالعــراقِ وطـري يا بُعْدَ مَا لَاحَ لنا(١)

أصفُهُم لـمَنْ؟

أذكرُهُم عند مَنْ؟

كانوا يكمنون بالنهارِ في بيتِ الوحدةِ، فإذا نامتِ العيونُ ســاقوا، فإذا كلَّتِ الرواحلُ قامَ حادي الشَّوق يترَنَّمُ:

ألا غنّيــاني بالدِّيــارِ فإننــي أُحِــبُّ زَروداً مَا أَقَــامَ ثَراها

وَبَين النَّقــا والأنعُمَــينِ محلّةٌ حبيــبٌ لقلبي قاعُهــا ورُباها

ونَعمانُ يَا سقياً لنَعمانَ مَا جرَتْ عَلَيْهِ النُّعامــى بَعدنَا وصَباها

وللقلبِ عِنْد المأزمَين وَجَمعِهَا دُيُونٌ ومَقضى خَيْفها ومِناها(٢)

فحينئذٍ تعودُ أرواحُ نوقِ الأبدانِ إليها، فتستأنفُ السيرَ:

بــدا لهَــا مِنْ بعــدِ مَا بــدا لهَا روضُ الحِمى أنْ تَشْتكِي كَلالها

فخلِّهــا تــمــرَحُ في زمامهــا فإنهــا قــد ســئِمَتْ عِقالَهَــا

---

(١) الأبيــات الثلاثة الأولى والأربعــة الأخيرة للشريف الرضي مِــنْ قصيدته: أعاد لي عيد الضنى . انظرْ: ديوانه (٢/ ٤٨٠-٤٨٢).

والأبيات الخمســة بينها لمهيــار الديلمي مِنْ قصيدته: أين ظبــاءُ المنحنى. انظرْ: ديوانه (٤/ ١٤٢-١٤٣).

وقــد مُزِجَ بين الأبيــات هنا وفي «المدهــش» (٢/ ٦٢٩-٦٣٠) وكُتِــبَ هناك في أول الأبيات: (للشريف الرضي ولمهيار).

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: إلى أي مرمى قصدها وسراها. انظرْ: ديوانه (٢/ ٥٦١).

أذْكرَهــا مَرُّ النسـيمِ سَـحَراً ... مـراتِــعاً تفيّــأتْ ظِـلالهــا

رنَّحها الشَّوقُ المُمِضُّ والسُّرى ... فســحبتْ مِنْ وجدِها جِلالها

تحسـبُها سَـكْرى وما ذاكَ بها ... وإنما شــوقُ الحِمـى أمالَهَا[1]

***

دَعْها لــك الخيرُ ومــا بدا لها ... من الحنـينِ ناشِــطاً عقالها[2]

ولا تعقهــا عــن عقيــقِ رامةٍ ... فـإنهــا ذاكــرةٌ أفــالهــا

وعلِّلوهــا بحديــثِ حاجـرٍ ... ولتصنــعِ الفلاةُ ما بــدا لها[3]

نشــدتُكَ اللهَ إذا جئــتَ الرُّبى ... فــرِدْ أضاها واســتظلَّ ضالها

ونــاوحِ الوُرقَ بشــجوِ ثاكلٍ ... أطفى لها ريبُ الرَّدى أطفالَهَا[4]

رحلَ أهلُ العزائمِ القويّة، وامتلأتْ بالأبرارِ البَريّة.

ليس لي في الدنيا أُنسٌ إلا بأخبارِهم، وزيارةِ قبورِهم وآثارِهم[5]:

---

(١) نُسِبتْ في «المدهش» (٢/ ٦٣٩) إلى الشريف الرضي. وليست في ديوانه.

(٢) مزج المؤلفُ هذه الأبيات بما قبلها، وهي لشاعرٍ آخر. وأورد فيها بيتاً ليس منها!

(٣) هذا البيت ليس من أبيات علي بن أفلح، بل هو لأبي القاسم المغربي مِنْ قصيدة أوردها المؤلف له في كتابه «مثير العزم الساكن» (١/ ١٤٨). وقد اختلف فيه ضمير المخاطب.

(٤) لعلي بن أفلح العبسي كما في «المدهش» (٢/ ٥٥٩)، و«مثير العزم الساكن» (١/ ١٤٩).

(٥) قال الحافظ ابن رجب في ترجمة الشيخ المؤلف في «الذيل على طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٨٦):
«ذكر ابنُ القادسي في «تاريخه»: أن الشيخ كان يقوم الليل، ويصوم النهار، وله معاملاتٌ، ويزور الصالحين إذا جنَّ الليل، ولا يكاد يفترُ عن ذكرِ الله».

يَـا صَاحِبي إِن كنـتَ لي أَو معي فعُـدْ إِلَى روضِ الحِمـى نرتـعِ
وسـلْ عَـن الْـوَادي وأربابـهِ وانشُـدْ فُؤَادِي فِي رُبـى المَجْمعِ

***

حَـيِّ كثيبَ الرمـل رمـلِ النَّقا وقـفْ وَسـلّمْ لي عـلى لعلـعِ
واسـمعْ حَدِيثاً قد روتْـه الصَّبَا تُسْـنِدهُ عَـن بانـة الأجـرعِ
وابـكِ فَـمَا فِي العَين مـن فَضلةٍ ونُبْ فَدتْك النَّفـسُ عَن مَدمعي

***

وَانْـزِلْ عـلى الشِّـيح بواديهـمُ واشـممْ عُشَـيبَ الْبَلَـدِ البلقعِ
بلّـغْ تـحياتـي إِلَى ربعهـمْ وَقُـلْ: ديـارَ الظّاعنين اسـمعي
رفقـاً بِنضـوٍ قـد براهُ الأسـى يَـا عـاذلي لَـو كَانَ قلبِـي معي
لهفـي عـلى طيـبِ لَيَـالٍ خلتْ عودي تعُـوْدي مُدْنفـاً قد نُعي
إِذا تذكـرتُ زَمَـانـاً مضـى فويـح أجفـانيَ مِـنْ أدمعـي
أراجـعٌ لي وصلُهـم بعْدهَـا؟ يَـا نفـسُ إِنْ لم يصلـوا ودِّعـي
يَا نفسُ كم أتلو حَدِيثَ الـمُنى ضَـاعَ زمـاني بالـمُنى فاقطعي
يَا قلبُ لَا تسـكُنْ عـلى بُعْدِهمْ وَأَنـتِ يَـا عيني فَـلَا تهجعي [1]

❁ ❁ ❁

(١) هذه القصيدة العينية للمؤلِّفِ، نسَبها إلى نفسهِ في كتابه «مثير العزم الساكن» (٢/ ١٠٨- ١٠٩). ووردت الأبيات (٣، ٤، ٥) في ديوان العباس بن الأحنف ص ١٨٣!

الفصل الثامن والعشرون

كلَّما زادتِ المعرفةُ قويَ الخوف:

كان يُسْمَعُ لصدرِ الخليلِ أزيزٌ مِنْ بعيدٍ مِنْ شدةِ خوفه.

وكذلــك كان نبيُّنا عليه الســلام يصلِّي ولجوْفهِ أزيزٌ كأزيزِ الــمِرجلِ مِنَ البكاء(١).

وكان إذا نزلَ الوحيُ عليه وهو على ناقتهِ أثّرَ فيها، فرُبما وتَدتْ يديها في الأرض، وربما بركتْ لثقلِ الوحي(٢):

أحسّــتْ بنارٍ في ضلوعي فأصبحتْ ... يَخُــبُّ بهــا حَــرُّ الغــرام ويُوضِــعُ

تحِنّــينَ إلاّ أنَّ بي لا بــكِ الهــوى ... ولي لا لــكِ الإلــفُ الخليــطُ المُودِّعُ

وباتتْ تشــكّى تحت رحــلي ضَمانةً ... كلانــا إذنْ يا نــاقَ نِضــوٌ مفَجَّعُ(٣)

كان الحســنُ(٤) يبكي ليلًا ونهاراً ويقول: ما يُؤمنُني أنْ يكونَ اطّلعَ على بعضِ ذنوبي فقال: اذهبْ لا غفرتُ لك.

---

(١) قال الإمام النووي في «الرياض»: «رواه أبو داود [٩٠٤] والترمذي في «الشمائل» [٣٢٣] بإسناد صحيح».

(٢) انظرْ: الطبقات الكبرى (١/ ١٩٧).

(٣) للشريــف الرضي مِنْ قصيدته: أقولُ وَما حَنّتْ بذي الأثلِ نَاقَتي. والأبيات المختارة هي (٤، ٢، ٣). انظرْ: ديوانه (١/ ٦٥٣).

(٤) البصري، الإمام الكبير المعروف، توفي سنة ١١٠هـ. صفة الصفوة (٣/ ٢٣٣).

وبكى مرة وقال: أخافُ أنْ يطرحَني في النار ولا يُبالي.

وكيف لا يقعُ القلقُ وقد قال قبلَ وجودِ الأعمالِ: «هؤلاءِ في الجنة ولا أُبالي، وهؤلاءِ في النار ولا أُبالي»[1].

ما زال الخوفُ يُفتِّتُ أكبادَ العارفين حتى رماهم على فرش الضنى.

كان سفيان الثوري مِنْ شدةِ خوفهِ يبولُ الدم، فحُمِلَ ماؤُه إلى الطبيبِ فقال: هذا ماءُ الرُّهبان، هذا رجلٌ قد فتَّتَ الحزنُ كبدَهُ.

وحُمِلَ ماءُ سري السَّقطي إلى الطبيبِ، فلما نظرَ إليه قال: هذا بولُ عاشق. قال حاملُه: فصُعِقْتُ وغُشِيَ عليَّ، ثم رجعتُ إلى سريٍّ وأخبرتهُ فقال: قاتله اللهُ ما أبصرَهُ!

إذا أنا واجهتُ الصَّبا عاد برْدُها ... ومِنْ حرّ أنفاسي عليه لهيبُ

وقد أكثرتْ فيَّ الأطبّاءُ قولَهم ... وما ليَ إلا أنْ أراكَ طبيبُ

البكاءُ دأبُهم، والدمع شرابُهم.

فلو رأيتَهم وعذَّالهم، ما لهم وما لهم؟

سلمتِ مما عناني فاستهنتِ به ... لا يعرفُ الشجوَ إلا كلُّ ذي شجنِ

شتّانَ بين خَليٍّ مُطلَقٍ وشَجٍ ... في ربقةِ الحُبِّ كالمصفُودِ في قَرَنِ

أمسيتُ يشهَدُ بادٍ مِنْ ضنى جسدي ... بداخلٍ مِنْ جوىً في القلبِ مكتمِنِ

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٩/ ٢٠٦).

علّمتِ بالهجـر جنبي هجرَ مضجعهِ   وبالفـراقِ فـؤادي صُحبـةَ الحَزَنِ
يـا هـمَّ نفسيَ في قُـربٍ وفي بُعُدٍ   وضمـن قلبـي في حَـلٍّ وفي ظَعَنِ
إن كان يوجِـبُ ضُرّي رحمتي فرضىً   بسُـوءِ حـالي، وحِلٌّ للضنـى بدَني
منحْتُـكِ القلـبَ لا أبغي بـه ثمناً   إلا رضـاكِ ووافقـري إلى الثمنِ[(١)]

قـويَ على القـومِ حصرُ الخـوف، فإذا هبَّ نسـيمٌ من الرجـاء ولَّوا وجوهَهم شطرَه:

يـا طـرباً لنفْحـةٍ نجْديّـةٍ   أعـدلُ حَـرَّ القلبِ باسـتبْرادِها
ومـا الصَّبـا ريحـيَ لـولا أنها   إذا جـرَتْ مرَّتْ عـلى بلادِها[(٢)]

الـمُحبُّ محصورٌ بين جبلَي الخوفِ والشَّوقِ، فهو يستغيثُ:

أيـا جبـلَيْ نَعـمانَ بـاللهِ خلّيـا   نسيمَ الصَّبا يخلُصْ إليَّ نسيمُها[(٣)]

فإذا لم يصلْ إليه رَوحٌ صاحَ بالريح:

نسيمَ الصَّبَا إِنْ زرتَ أَرضَ أحبتي   فخصّهـمُ عنّـي بِـكُل سَـلامِ
وبلّغهـمُ أَنِّي رهـينُ صبَابَـةٍ   وَأَنّ غرامـي فَـوق كلِّ غـرامِ

---

(١) للحسين بن محمد البغدادي المعروف بالبارع، وأول الأبيات:
ردّي عليَّ الكرى ثم اهجري سكني   فقد قنعتُ بطيفٍ منكِ في الوسنِ
انظرْ: المنتظم (١٧/ ٢٥٩-٢٦٠).
(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: أمكنتِ العاذلَ من قيادها. انظرْ: ديوانه (١/ ٣١٦).
(٣) لقيس بن الملوح. انظرْ: الحماسة البصرية (٣/ ٩٩٤). وفيه: طريق الصَّبا يخلص.

وَإِنِّي ليكفينـي طـرُوقُ خيالهـم لَـوَ انَّ جفـوني مُتِّعَـتْ بمنـامِ
وَلسـتُ أُبَالِي بالجنـانِ وباللظى إِذا كَانَ فِي تِلْـكَ الديـار مُقَامي
وَقد صُمتُ عَن لذاتِ دهريَ كُلِّهَا وَيَوْم لقاكـم ذَاك فِطْـرُ صيامي

رسائلُ الأحبابِ يحملُها في الليل بريدُ الرياح:

يَا نفحـاتِ الرّيح مُرّي سَـحَراً فبلبـلِي طُـرّة أَرضِ بابـلِ
صِفـي لأهـل بابـلٍ بَلَابـلي وبلّغيهـمْ في الْهـوى رسـائلي
كـم مـن دمٍ طـاحَ بِغَـيْر ثَائِـرٍ وَكـم قَتِيـلٍ كلـفٍ بالقاتـلِ!

يا رباعَ الأحبابِ:

أين سكانُك؟

يا مواطنَ أولي الألباب:

أين قطّانُك؟

يا جواهرَ الآدابِ:

أين خُزّانُك؟

يُطربُنـي للمنـازلِ الْيَـوْمَ مَـا أسـأرَ عِنْـدِي أَيَّامُهَـا الْقُـدُمُ
ويَطبّيني عـلى فصاحةِ شـكـ ـواي إليهـا ربُوعُهـا العُجُـمُ
عَـليَّ يَـا دَارُ جُهـدُ عَيْنـي وَمَا عَـليَّ عَـارٌ أَنْ تبخـلَ الدِّيـمُ

لَـك الرِّضَا مِـنْ جِمـامِ أدمُعِها	ودَمِهَـا إِنْ سـقى ثـراكِ دمُ
أما وعهدِ الغادين عَنْكِ وأشـجا	نٍ بـواقٍ لي فِيـكِ بعدَهُـمُ
وَمَـا أَطَالَ الـمُنى وَأعْرضَ مِنْ	عَيْـشٍ كَأَنّ اختلاسَـهُ حُلُـمُ
هَـل هُـوَ إِلَّا أَنْ قِيـلَ: جُنَّ بهمْ	نَعَـمْ عـلى كلِّ ما جنَـتْ نَعَمُ[1]

❁ ❁ ❁

(١) لمهيـار الديلمي مِنْ قصيدته: انظرْ معي فهي نظرةٌ أمـمُ. والأبيات المختارة هي (٣-٨، ١١). انظرْ: ديوانه (٣/ ٢٥٨).

الفصل التاسع والعشرون

إخواني:

ماتَ أهلُ العزائم، وخلتِ الديار.

ذهبَ المحبّون، ومُحيتِ الآثار.

ما بقيَ غيرُ قبورِ القوم تُزار:

طلولٌ إِذا دمعي شكى البَيْنَ بَيْنَهَا ... شكى غيرُ ذِي نطقٍ إِلى غيرِ ذِي فَهْمِ[(١)]

واعجباً مِنْ أحياء تموتُ برؤيتهم القلوبُ.

ومِنْ قبورِ أمواتٍ تحيا بزيارتها النُفوسٍ!

يَا صاحبيَّ سلا الأطلالَ والدِّمَنا ... متى يعُودُ إلى عُسْفانَ مَنْ ظعَنا

أستودعُ اللهَ قوماً ما ذكرتهمُ ... إلا تحدَّرَ مِنْ عينيَّ ما خُزِنا[(٢)]

***

أشتاقهمْ إشتياقَ الأرضِ وابلَها ... والأمِّ واحدَها والغائبِ الوطنا[(٣)]

---

(١) للغزي، مِنْ قصيدته: أعافية والدار عافية الرسم، وهو آخرها. انظرْ: ديوانه ص ٨٠٦.

(٢) للصوري مِنْ أربعة أبيات. انظرْ: تاريخ بغداد (١٠-٣٦٧).

(٣) لقاضي القضاة عبيدالله بن أحمد بن معروف (ت: ٣٨١هـ) ومعه آخر له. انظرْ: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٦٦-٣٦٧). وفيه: أشتاقكم.
والبيتان ليسا مِنْ أبيات الصوري السابقة.

واشوقاهُ إلى تلك الوجوه.

واطرباهُ عند تلك القبُور:

لله أحبــابٌ نــأتْ بهــمُ	أيدي النَّوى ففراقُهم جَللُ
القلبُ موطِنُهم ومسكنُهم	منّي ومذ سكنوهُ ما انتقلوا
عاهدتُهمْ لا اعتضتُ بعدهمُ	بدَلاً، وأنّى منهمُ البدلُ؟[(١)]

كانوا حِرزاً لأهلِ الأرضِ يحفظونهم[(٢)].

ونجوماً لأهلِ السماءِ يعرفونهم:

فُقِـدَ الضيـاءُ بفقدهـمْ	فالصبحُ مـذ رحلوا ظلامْ
واعتـلَّ بعدهـمُ الزمـا	نُ فصحّـةُ الدُّنيـا سَـقامْ
واطولَ ليـلِ الصَـبِّ إنْ	رحلَ الحبيـبُ وإنْ أقامْ[(٣)]

كانت مقاساةُ النهارِ عندَهم كحصاةٍ بين خُفٍّ وقدمٍ.

---

(١) لعلي بن أفلح العبسي. انظرْ: ديوانه ص ٥٢. وثَمَّ أربعة أبيات منها الأولُ هنا فقط.

(٢) أي يُحفظ أهل الأرض بهم، وهذا مِنْ باب حديث: «مهلًا عن الله مهلًا، فإنه لولا شيوخٌ رُكَّعٌ، وشـبابٌ خُشَّـعٌ، وأطفالٌ رُضَّعٌ، وبهائمُ رُتَّعٌ، لصبَّ عليكم العذاب صباً» رواه أبو يعلى في «مسـنده» (١١/ ٥١١)، وقال محققه حسين سليم أسد : «إسناده ضعيف». وانظرْ: رسالة السيوطي «الخبر الدال» ضمن «الحاوي للفتاوي» (٢/ ٤١٧-٤٣٧).

(٣) لابن المعلِّم الهُرثي الواسطي مِنْ قصيدته: ما ناح في البان الحمامُ. انظرْ: ديوانه (نسخة مكة ص٣٤١). وعجز البيت الثالث هو فيه:

واطـولَ ليـلِ الصَـبِّ إنْ ظعنَ الفريقُ وإن أقاموا

والقافية مضمومة، ولكنَّ الشيخ المؤلف تصرَّفَ بها أوجبَ التسكين.



وملاقاةُ الليلِ لهم قميصَ يوسف في أجفانِ يعقوب.

ينقضي الليــلُ عنهم وما قُضِيَ لهم وطر، فإذا جَمَعَ الدُّجى رحلَه للرحيلِ صاحوا به:

حبساً ولو ســاعةً تُروى بها مُقَلُ(١)

أين الذين أصفُهم.

بل أين مَنْ يعرفُهم؟

خرجوا عن الدنيا ورحلوا.

وفي القلوبِ قبل القبور نزلوا:

ليــت المطايــا للنوى مــا خُلقتْ ولا حــدا مِــنَ الحُــداة أحــدُ

عــلى الجفون رحلوا، وفي الحشــا تقيّلــوا، ومــاءَ عينــيْ وردوا(٢)

كان أكثرُ نفقةِ القوم في ظلام الدُّجى مِنْ كيسِ الدموع.

كانت عابدةٌ مِنْ أحســنِ النســاء عينين، فدامتْ على البكاء، فقيلَ لها: تذهبُ عيناكِ، فقالتْ: إنْ كان لي عند الله خيرٌ فســيُبْدلني خيراً منهما، وإنْ لم يكن فواللهِ لا أحزنُ عليهما:

(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: هلْ في الشُّــموسِ التــي تحدى بها العِيُرْ. وتتمته: هيمٌ وأنتَ عليها الدهرَ مشكورُ. وهو البيت العاشر. انظرْ: ديوانه (٢/ ١٠٤).

(٢) للحصكفي. انظرْ: المنتظم (١٨/ ١٢٩).

قد علَّمَ البَـيْنُ منـا البَـيْنَ أجفانا تَدْمَـى وَألَّـفَ فِي ذَا الْقلـب أحزانا

قد كنتُ أشْفِقُ مِنْ دمعي على بَصرِي فاليـوم كلُّ عَزِيـزٍ بعدكـم هانـا

تُهدي البـوارقُ أخـلافَ المِيَاهِ لكم وللمُحـبِّ مـن التـذْكَار نيرانا[١]

اسـتعملَ القومُ الأدبَ، فصلحوا للحضور بالحـضرة، فغابوا في لذةِ الـمُناجاةِ عن الدنيا وأهلِها.

انهدمتْ ناحيةٌ من المسجدِ ومسلمُ بنُ يسارٍ في الصلاة فما التفتَ:

إِذا اشْـتغل اللاهون عَنْكَ بشـغلهم جعلتُ اشتغالي فِيك يَا مُنْتَهى شغلي

فَمَنْ لي بِـأَن أَلْقَاكَ فِي سَـاعَةِ الرِّضَا وَمَنْ لي بِأَنْ ألقـاكَ وَالْكلُّ لي مَنْ لي؟

لَو أَحْبَبْتَ المخدومَ حضرَ قَلْبُك في الْخدمَة.

وَيحك، هَذَا الحَدِيدُ يعشقُ المغناطيسَ، فَكيفَ التفتَ التفتَ.

إِن كُنتَ مَا رَأَيْتَ هَذَا الْحَجَرَ، فَانْظُرْ إِلَى الخُبّازى يُواجِهُ الشَّمْس، فَكيف مَالَتْ مالَ:

وَإِنِّي إِذا اصطكـتْ رِقَابُ مطيّكم وثـوَّرَ حـادٍ بالرفـاقِ عجـولُ

أُخَالِفُ بَين الراحتين على الحشـا وَأنْظُـرُ أَنّـى ملتـمُ فأميـلُ[٢]

(١) للمتنبي مِنْ قصيدة، والأبيات المختارة هي (١، ٧، ٨). انظرْ: ديوانه ص١٨٥-١٨٦.

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: خليلي هل لي لو ظفرت بنية. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٢١).

إذا كانتْ مشـــاهدةُ مخلوقٍ أثّرتْ: ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[١]، فكيف بألبابٍ على البابِ؟

لَهَـا بِوَجْهِـك نـورٌ تسـتضيءُ بِـهِ   وَمِـن نوالـك فِي أعقابِهـا حـادي

لَهَـا أَحَادِيث مِـنْ ذكراك تشـغلُها   عَن الـشرابِ[٢] وتُلهيها عَنِ الزَّادِ[٣]

امتلأتْ أسماعُ القومِ مِنْ عتاب «كذبَ مَنِ ادّعى محبتي، فإذا جنّه الليلُ نامَ عنّي»، فحلفتْ أجفانُهم على جفاءِ النوم:

إِن كَانَ رضاكُـم فِي سـهري   فسـلامُ اللهِ عـلى وسَـني[٤]

كان بشرٌ[٥] لا ينامُ الليلَ يقولُ: أخافُ أنْ يأتي أمرُ اللهِ وأنا نائمٌ:

رقَـد السُـمّارُ وأرّقَـهُ   هـمٌّ للبَـيْنِ يُـردّدُهُ

فبكاه النَّجْـمُ وحقّ لَهُ   مِمَّـا يرعـاهُ ويرصـدُهُ

وَغداً يقْضِي أَو بعْد غَدٍ   هَلْ مِـنْ نظرٍ يتـزوّدُهُ

يهوى المشـتاقُ لقاءَكُمُ   وصُروفُ الدَّهْرِ تُقيّدُهُ[٦]

---

(١) مِنْ سورة يوسف، الآية ٣١.

(٢) في الأصل: الطعام. سهو من المؤلف.

(٣) لابن أبي حفصة. انظرْ: ديوان المعاني (١/ ٦٣) باختلاف ألفاظ.

(٤) لعبد الغافر السروستاني (كان حياً سنة ٥٤٦هـ) من أبيات. انظرْ: المستفاد ص٣٠١.

(٥) بشر بن الحارث الحافي، إمام معروف كبير الشأن، توفي ببغداد سنة ٢٢٧هـ. صفة الصفوة (٢/ ٣٢٥).

(٦) لعلي بن عبد الغني الفهري الضرير (ت: ٤٨٨هـ). انظرْ: الكشكول (١/ ٢١١)، ومقدمة زكي مبارك لـ: «زهر الآداب» (١/ ٦-٧)، و«الأعلام» (٤/ ٣٠٠).

يَا مخنَّثَ الْعَزْم:

أَيْن أَنْتَ وَالقوم؟!

سَبِيلٌ نصبَ فيهِ آدم.

وناحَ لأَجلهِ نُوح.

ورُمِيَ في النَّارِ الخليلُ.

وأُضْجِعَ للذبحِ إِسْحاق(١).

وبِيعَ يُوسُفُ بِدَرَاهِم.

وذَهَبتْ منَ البكاءِ عينُ يَعْقُوب.

ونُشِرَ بِالـمِنْشَارِ زَكَرِيَّا.

وذُبِحَ الحصورُ يحيى.

وضَـنـِيَ بالبلاءِ أَيُّوب.

وزَادَ على الـمقْدَارِ بكاءُ دَاوُد.

(١) القول بأنَّ إســحاق هو الذبيح قاله ابنُ عقيل الحنبلي مِنْ قبل. انظرْ: المنتظم (١٧/ ٣٠)، وأعــمار الأعيان ص١٢، والذيل على طبقــات الحنابلة (١/ ١٦٥) ط الفقي. ونســبه المؤلِّفُ إلى أصحابهم. انظر: زاد المسير (٧/ ٧٢).
والراجح أنه إسماعيل. والمؤلفات في ذلك كثيرة، وراجع الملحق.



وتنغَّصَ في الملكِ عَيْشُ سُليمان.

وتحيّرَ بردِّ ﴿لَن﴾[1] مُوسَى.

وهامَ مَعَ الوحوش عِيسَى.

وعالج الفقرَ مُحَمَّدٌ:

فيا دَارَهمْ بالحَزن إِنَّ مزارَها ... قريبٌ وَلَكِنْ دون ذَلِك أهوالُ[2]

هَذِه الجادةُ فَأَيْنَ السالك؟

هَذَا قَمِيصُ يُوسُف فَأَيْنَ يَعْقُوب؟

هَذَا طورُ سينا فَأَيْنَ مُوسَى؟

يَا جُنَيْدُ احضرْ.

يَا شبليُّ اسمعْ:

بِدَم الْمُحبّ يُبَاعُ وصلهُمُ ... فَمَنِ الَّذِي يبْتَاعُ بالسِّعرِ؟

❁ ❁ ❁

(١) من سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

(٢) لأبي العلاء المعري مِنْ قصيدته: مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال. انظرْ: سقط الزند ص٤٩٩، وفيه: فيا دارَها.

الفصل الثلاثون

إخواني:

إذا ذكرنا ذنوبَنا يئسنا.

وإذا تفكَّرنا في عفوهِ أَنِسنا:

إني لأذكركـم فتذهـبُ علتـي	عنّـي وأذكـرُ صدَّكـم فتعـودُ
واللهِ لا علـقَ الفـؤادُ بغيركـمْ	ما دام في الشـجرِ المُورِّقِ عودُ [١]

كان القومُ إذا غلبَ عليهم الخوفُ تمنّوا عدمَ الوجودِ، وإذا قويَ الرجاءُ انبسطَ اللسانُ.

قال يحيى بنُ معاذ[٢]: لئن طالبتَني بذنوبي لأطالبنَّك بعفوك.

ما زالوا يصابرون حرَّ الخوفِ حتى انقلبَ الهواءُ في الجوِّ، على أنَّ الرجاءَ تقويةٌ[٣] لنفْسِ المريض، وإلا فجمهورُ أحوالِهم مخافةٌ.

إخواني:

العروسُ تلبسُ عند العرضِ تحتَ الثيابِ شعارَ الخوفِ من الردِّ، وفوقَ الثيابِ حلةَ الانكسارِ، وحمرةُ الخجل تُغنيها عن حمرةٍ لأنها لا تدري على ماذا تقْدمُ، فكيف يَسكنُ مَنْ لا يعلمُ العواقب؟

(١) للزبير بن بكار. انظرْ: معجم ابن المقرىء، الرقم (١٢٤٢).

(٢) عابد زاهد مِنْ أهل الري، توفي سنة ٢٥٨هـ. صفة الصفوة (٤/ ٩٠).

(٣) لم تنقط في الأصل، فلعلها كذلك.

لا حيلةَ سوى التضرُّع.

لا ملجأ غير القلق:

قلـتُ للحِـبِّ في مناجـاة ليلى:	**يـا حبيبـي ألقيتَنـي كُلَّ ملقى**
ثم عنـدي عـلى هواك شـهودٌ	**أدمـعٌ مسـتهلةٌ ليـس ترقـا**
ثم سـلْ عـن أضالعـي زفراتٍ	**ما تُلاقـي مِـنْ حرِّهـنَّ وألقى**
أنتَ أتلفـتَ جلَّ قلبـي بالهجـ	**ـرِ فصُنْ بالوصال ما قد تبقّى**[1]

لابُدَّ مِنْ أنينِ مُبتلى، وتنفّسِ مخنُوق:

يـا حبيباً ليـس لي منـ	**ـه سوى هجري وياسي**
كـم أقـاسي منـكَ ما	**يُمرِضُ قلبي كم أقاسي؟**
والـذي تحكـمُ محمو	**لُ عـلى عينـي وراسي**

لما أعيت القومَ الحِيَل استراحوا إلى البكاء.

قيل لبعضِ العبّاد: كم تبكي؟ فقال: إذا لم أبكِ فما أصنعُ؟!

مَـا كَانَ يقْـرَأُ واشٍ سـطرَ كتـماني	**لَـو أَنّ دمعـيَ لم يَنْطِـقْ بتبيـانِ**
مَـاءٌ وَلكنّـه ذَوْبُ الهمـومِ وهـلْ	**مَـاءٌ تُـولّـدُهُ نـيرانُ أحـزانِ؟**
لَيْت النوى[2] **إِذْ سقتني سمَّ أسودِها**	**سدّتْ سَـبِيلَ امْرِئٍ فِي الحُبِّ يَلْحاني**

---

(١) للسراج باختلاف ألفاظ كثيرة. انظرْ: مصارع العشاق (٢/ ٨١)، وشعر السراج البغدادي ص٨٩-٩٠.

(٢) في الأصل: الهوى. وهو سهو من المؤلف. وقد جاء على الصواب في كتابيه: «التبصرة» (١/ ٣٩١)، و«المدهش» (٢/ ٦٨٣).

قد قلتُ بالجِزعِ لما أنكروا جزَعي: مَا أبعدَ الصَّبْرَ مِمَّنْ شــوقهُ دَانِ؟!

عُجنا على الرّبعِ نستسقي لَهُ مَطَراً وفاضَ دمعــيْ فــأرواهُ وأظماني

العارفُ غائبٌ عند ذكرِ الدُّنيا.

وحاضرٌ عند ذكرِ الجنّة.

وطائشٌ عند ذكرِ الحبيب:

وعَــدُوه اللقــاءَ يــوم النفْــرِ أي يُــسْرٍ قــد برقعــوه بعُــسرِ؟

فتّشــوا لي قلبــاً فقد ضــاع قلبي وأروني صــبراً فقــد عِيلَ صبري

هــل حيــاة لديكــمُ لأســير الــ حــبِّ إن لم يكنْ فَــكاكُ الأسرِ؟

آه مــن رَامــةٍ ومــا يجْلُب التْــأ ويــهَ للمُســتهامِ غــيرُ الذكرِ[١]

المحبُّ يحضرُ المجلسَ مُوثقاً بقيودِ الهمم[٢]، فإذا ذُكِرَ الحبيبُ قطّعَ السلاسل.

إنّ مداراةَ قيسٍ[٣] تمكنٌ، ولكنْ لا مع ذكرِ ليلى:

رَمَتْ بالحِمــى أبصارَها مطمئنةً فَلَمَّا بَــدَتْ نجدٌ وهبّــتْ جَنُوبُها

بخِلنــا عَلَيْهَا بالــبُرى فتقطّعتْ وَقلّ لنجْــدٍ لَو تفــرّتْ قلوبُها[٤]

---

(١) لابن المعلّم الهُرثي الواســطي مِنْ قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٣، ٧، ١٦). انظرْ: ديوانه (نسخة مكة ص٥٩-٦٠).

(٢) كأنها كذلك.

(٣) قيس بن الملوح الشــاعر المتيم المشــهور. انظرْ: ترجمته في الأعلام (٥/ ٢٠٨)، وقد أرخ وفاته بسنة ٦٨هـ.

(٤) للخفاجي. انظرْ: ديوانه ص٤٠٣، والمدهش (٢/ ٦٨٤).

مَنْ سمعَ ذكرَ الحبيبِ ولم ينْـزُ قلبُهُ عَنْ مستقرِّهِ فَهُوَ مُدّعٍ:

إِذا ذُكِـرَ المحبوبُ عِنْـد محبِّهِ(١) ترنـحَّ نَشـوانٌ وحـنَّ طَروبُ

إِذا قيل مَـيّ لم يَسْـعنِي لذكرها خِباءٌ وَلم يحبسْ بُـكاي رَقِيبُ(٢)

تمكّنَ الحُبُّ مِنْ حبّـاتِ قُلُوبِهم، فَأخْرجهُمْ إِلى الولـهِ، فَلَو رأيتُموهم لقُلتم مجانين:

قد لـجَّ بِيَ الغـرامُ حَتَّـى قَالُوا: قـد جُـنَّ بهـمْ وَهَكَـذَا البَلبالُ

الْـمَـوْتُ إِذا رَضِيتَـه سلسـالُ فِي مثل هَـوَاك ترخُـصُ الْآجَالُ

كانت رابعة تقُول: لقد طالتْ عليَّ الأيامُ بالشَّوقِ إِلى لقاءِ اللهِ تعالى:

أُمِـرْتُ عَنْـكَ بصـبرٍ وَلَيْـسَ لي عَنْـك صَبرُ

يَـا آمـري بالتسـلّي مَا لي مَعَ الشَّوقِ أَمرُ(٣)

كم بالغُوا فِي كتْم الحَال؟! وَسترُ الحُبِّ مُحَال:

ذكرتكـمُ عند الـزُّلال على الظما فلـم أنتفـعْ مِـنْ وِرْدِهِ ببـلالِ

وحدّثـتُ نفسي بالأمـانيِّ عنكمُ وليس حديثُ النفس غير ضلالِ

---

(١) الصدر في الديوان (١/ ٤٣): وغناك أقوام بوصف مناقبي.

(٢) لمهيار الديلمي مِـنْ قصيدته: هوى لي وأهواءُ النفوسِ ضروبُ. انظرْ: ديوانه (١/ ٤١)، والمدهش (٢/ ٦٨٥).

ونصُّ البيت فيهما:

إذا قيل: مي لم يرعني بحلمه حياء.....

(٣) لمحمد بن الحسـن الأقسـاسي العلوي (ت: ٤١٥هـ) مِنْ أربعـة أبيات في غلام. انظرْ: المنتظم (١٥/ ١٦٨).

يقرُّ بعيني الركبُ مِنْ نحوِ أرضِكم　　يُزجّـون عيسـاً قُيِّـدتْ بكلالِ
أسـائلُ عَمَّـن لَا أُرِيـدُ وَإِنَّـمَا　　أريدكـمُ مِـنْ بَينهـم بسُـؤالي
ويَعثُـرُ مَا بَـين الْـكَلَام ورَجْعِه　　لسـاني بكـمْ حَتَّـى ينـمَّ بحالي
وأطوي على مَا تعلمُونَ جوانحي　　وَأُظْهِـرُ للعـذّال أَنِّيَ سَـالي(١)

كلَّما جاء كلامي صعد.

كلَّما زدتُ في الوقودِ، فاحتْ ريحُ العُود.

أفيكم مستنشقٌ، أَو كلكُمْ مزكومٌ؟!

«إِنِّي لأجدُ نفَسَ الرَّحْمَن مِنْ قِبَلِ اليمن»(٢):

أَلا يَـا نسـيمَ الرّيحِ مَالـكَ كلَّما　　تجـاوزتَ مِيلاً زَادَ نَـشْرُكَ طِيبا؟
أَظنُّ سُـليمى خُبِّرَتْ بسَـقامِنا　　فأعطتـكَ ريّاهـا فَجئْـتَ طَبِيبا

❁ ❁ ❁

(١) للحسين بن علي الطغرائي. انظرْ: ديوانه ص٣١٧-٣١٨، والمستفاد ص٢٢٦، ومعجم الأدباء، ترجمة علي بن نصر الفندروجي (٥/ ١٩٨٥). وثمَّ اختلافٌ في لفظين.

(٢) قال العراقي: أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه: «وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» ورجاله ثقات. انظرْ: حاشية «المصنوع» للقاري لزاماً ص ٦٩-٧٠.

الفصل الحادي والثلاثون

يا أصحابَ الأنفةِ من الرذائل:

الدنيا مزبلةٌ، وإيثارُ المزبلة بله.

ويحكم، مَــنْ تعلَّقَ قلبُهُ بالجنّــةِ لم يصلحْ للمحبــة، فكيف بمَنْ يهوى الدُّنيا؟!

ما السَّليمُ مِنَ الخطايا كالـمَجروح.

قال وهب[1]: أوحى اللهُ تعالى إلى داود: ارفعْ رأسَــك، فقد غفرتُ لكَ غيرَ أنه ليس عندي ذاك الودُّ الذي كان:

أردناكــمُ صِرْفــاً فَلَــمَّا مزجتُــمُ ... بعُدْتُــمْ بِمِقْــدَارِ التفاتِكــمُ عَنَّا

وَقُلْنَا لكم: لَا تُسْكِنوا الْقلبَ غَيرَنَا ... فأســكنتمُ الأغيــارَ مَا أَنْتُــمُ منّا

يا هذا:

صلاتُكَ صورةٌ.

وتوبتُكَ على طرَفِ اللسان.

وبناؤُك على رَمْلٍ.

---

(١) ابن منبه الصنعاني، تابعي، توفي سنة ١١٠هـ. صفة الصفوة (٢/ ٢٩١).

إنما ينبغي أنْ تضعَ الأساسَ على أرضِ العزمِ الحُرّة.

ويحك، أحْكِمْ شدَّ الزقاقِ تحت «الكَلَك»، واحملْ عليه حجارةً:

وعهُودُهــم بالرَّمْلِ قــد نُقِضَتْ ... وكــذاك مــا يُبْنى عــلى الرَّمْلِ[1]

كم تعبتِ الخُطا في الخطأ؟

كم ضيعتَ الزَّمنَ بما أوجبَ الزَّمنَ:

مــا ضَاعَ مِــنْ أيامِنا هَــل يُغْرَمُ؟ ... هَيْهَــات والأزمانُ كَيْــفَ تُقوّمُ؟

يَــوْمٌ بــأرواحٍ يُبــاعُ ويُشــترى ... وَأَخُــوهُ لَيْسَ يُســامُ فِيــهِ دِرْهَمُ

لي وَقْفَــةٌ في الــدَّارِ لا رجعتْ بِها ... أَهْــوى ولا يــأسي عَليهــا يُقْدِمُ

وَكَفــاكَ أَنِّي للنوائــبِ عاتــبٌ ... ولصُــمِّ أَحْجــارِ الدِّيــارِ مُكلِّمُ

وَإِذا البليــغُ شــكا إِلَيْهــا بثّــهُ ... عَبَثــاً فَــمَا بَــالُ المطايا تُــرزمُ؟

كلٌ كنــى عَــن شــوقهِ بلُغاتــهِ ... ولرُبَّــما أبكى الفصيــحَ الْأَعْجَمُ

ترجُو سُــلوَّكَ فِي رســومٍ بَينهَا الـ ... أغصــانُ سَــكْرى وَالحــامُ مُتيّمُ

هــذي تميــلُ إِذا تنسّــمتِ الصَّبَا ... وَالوُرقُ تذكرُ شــجوَها فترنَّمُ[2]

---

(١) لـصردر مِنْ قصيدته: شـدوا على ظهر الصبا رحـلي. انظرْ: ديوانـه ص ١٥٥. وفيه: وعهودكم. مَنْ يبني.

وقد مرتْ أبياتٌ مِنْ هذه القصيدة في الفصل (١٧).

(٢) لصردر مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه ص ٣٤-٣٥. وفيه: والورق تذكر إلفها فترنم.

يا أصحابَ الذنُوب:

أبَقَتِ اللذاتُ، وأبْقَتِ الحسراتِ.

لقمةٌ واحدةٌ تناولَ آدمُ أحْرَجَتْه فأخرجَتْه.

مدَّ يدَهُ إلى بعضِ العناقيد وإذا بِهِ في العنا قِيْدَ، فكلَّما شـــامَ برقَ الملائكةِ مِنْ ديارِ الحبيب قطّع نفسُهُ الحيازمَ:

آهٍ لــبرقٍ لـمَـعـــا	ماذا بقلبــي صنَعا؟
أيقــظَ منــي للغرا	مِ مُسْــتهاماً مُوجَعا
فَبــتُّ مِــنْ إيماضِهِ	أسكُبُ دمعي دُفَعا
يَا بــرقُ إمّــا تريْـ	ني للصَّنيــعِ مَوْضعا
فحــيِّ عنّــي أَرْبُعاً	أكْــرِمْ بِهِــنَّ أَرْبُعا
يَا نَاظراً أقْسَــمَ مِنْ	بعدِ النَّوى: لا هجَعا
كــبَّرَ مــذْ فارقَهُم	عــلى الرُّقــادِ أَرْبَعا
يــا كبِــداً قطَّعهَــا	بَيْنُ الحبيــبِ قِطعا
حمَّلَ وجدي جَلَدي	أَكثــرَ مِمَّا وَسِــعا[1]

(١) للحسين بن محمد البغدادي المعروف بالبارع من قصيدة. والأبيات المختارة هي (١، ٣، ٤، ٧، ٨، ١٣، ١٤، ٢٠، ٣٣). انظرْ: خريدة القصر-القسم العراقي (ج٣ مج١ ص٧٨-٨٠). وثم تصرُّفٌ في موضعين.

وشى العدوُّ بين الحبيبِ والمحبوبِ، فأثمرتِ الحالُ البُعْدَ:

يامَـنْ يعـزُّ علينـا أنْ نفارقَهُم ... وجدانُنـا كلَّ شيءٍ بعدَكُـمْ عدَمُ

إنْ كان سرَّكُـمُ ما قالَ حاسـدُنا ... فـما لجُـرْحٍ إذا أرضاكُـمُ ألَمُ[(١)]

قيل له: يا آدمُ ما أكثرَ هذا البكاء؟

فأجابَ بلسانِ حالِهِ:

عوَّدوني الوصالَ والوصلُ عذبُ ... ورَموني بالصدِّ، والصدُّ صعبُ[(٢)]

ما كان سببُ سكون آدم إلا أنه قال: يا ربِّ إنْ تبتُ وأصلحتُ أراجعي أنتَ إلى الجنة؟ فقيل له: نعم[(٣)]:

وإنا لنرضى أنْ تصُـدّوا وتقرُبوا ... فَـرُدُّوا لنا ذاك الوصـالَ كما كانا

هو الوجـدُ أرضانا بأدنى نوالِكمْ ... وأقصى مُنانا أنْ تَقـارَبَ أَرْضانا

إذا ما ادّعينا سـلوةً عـنْ هواكمُ ... جرى الدمعُ مُنْهلاً فكذَّبَ دعوانا

فليت الوشـاةَ حين رقتْ حديثَنا ... إليهـا دمُوعُ العين رقَّـتْ لبلوانا

وكنّـا نُغطّـي وهـو دانٍ غرامَنا ... ونسـترُ مَا نلقى فَقَدْ بَـانَ مُذْ بَانَا

فليت نسـيمَ الريحِ حُمِّـلَ عَرفَهُمْ ... فـأدّاهُ أحيانـاً إلينـا فأحيانـا[(٤)]

---

(١) للمتنبي مِنْ قصيدته: واحر قلباه ممن قلبه شبم. والبيتان المختاران هما (٢٥، ٢٧).انظرْ: ديوانه ص٣٤٤.

(٢) للشبلي. انظرْ: ديوانه ص٨٥.

(٣) انظرْ: البداية والنهاية (١/ ١٢٦-١٢٧).

(٤) لابن حيوس مِنْ قصيدته: عداكم هوى مذ شفنا ما تعدانا. انظرْ: ديوانه (٢/ ٦٦٣).

لو وُزِنَ بكاءُ آدم ببكاءِ أولادهِ لرجحَ.

وكيف لا يبكي طائرُ الفهمِ على طِيبِ العُشِّ، وحلاوةِ العيْش؟!

إنما محنةُ آدم أنه لم يكنْ له مُساعِدٌ على الحزنِ:

هلْ مجـابٌ يَدْعُـو مُبَـدِّدَ أوطا   ري بِجَمْـعٍ يَـرُدّ أَيَّـامَ جَمْـعِ؟
أَو أَمِـين القُـوى أحمّلـهُ همْـ   ـماً ثقيـلاً يحُطّـهُ دون سَـلْعِ؟
فافرُجـا لي عَن نفْحةٍ مِـنْ صَباهُ   طَال مَدّي لَهَا الصليفَ[1] ورَفْعي
إِنَّ ذَاك النسـيمَ يجْـرِي عـلى أَر   ضٍ ثراهـا فِي الرّيحِ رُقيةُ لَسْـعي
كم زفـيرٍ علّمـتُ مِنْهُ حَمـامَ الـ   ـبانِ ما كانَ مِنْ حنينٍ وسَجْعِ[2]

كان إذا تذكّرَ الربعَ حنَّ.

وإذا تفكّرَ في البُعْدِ أنَّ.

وإذا جنَّ عليه الليلُ أظهرَ ما أجنَّ.

قُطِعَ عليه رضاعُ الوصالِ فلم يتهنَّ:

وبجرعاءِ الحِمـى قلبِي فعُجْ   بالحِمى واقرأْ على قلبِي السَّلاما
وترجّـلْ فتحـدَّثْ عجبـاً   أَنّ قلباً سـارَ عَن جسمٍ أَقاما

---

(١) صفحة العنق.

(٢) لمهيـار الديلمي مِنْ قصيدته: ملْ معي لا عليكَ ضـرّي ونفعي. والأبيات المختارة هي (٦، ٧، ٩، ١٠، ١٩). انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٣٣). وفي الديوان: وزفير، لأن الذي قبله:

كم بنجدٍ ولو وفى أهلُ نجد   لفؤادي مِنْ شعبة أو صدعِ

قــلْ لجــيرانِ الغضــا: آهٍ على ... طيبِ عَيْشٍ بالغضا لَوْ كَانَ داما

حَمِّلُــوا ريــحَ الصَّبــا نَشْركُمُ ... قبــلَ أَن تَحْمِلَ شِــيحاً وثُماما

وابعثُوا أشباحَكُمْ لي في الكرى ... إنْ أذنْتُــم لجفُــوني أَنْ تناما[1]

يا آدمُ إلى كم هذه الاستغاثة؟

قال بلسانِ حالهِ:

عــلى بُعْــدِك لَا يصبـِ ... ـــرُ مَنْ عَادَتُــهُ القُرْبُ

وَلَا يقوَى عــلى حَجْبـ ... ـــك مَنْ تيّمــهُ الحبُّ

فمهــلاً أيها الســاقي ... فقد أســكرني الشُّربُ

فَــإِن لم تــركَ العــينُ ... فقد يَشْــهَدُكَ الْقلبُ[2]



(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: بكرَ العارضُ تحدوه النُّعامى. والأبيات المختارة هي (١٧-١٩، ٢١، ٢٢). انظرْ: ديوانه (٣/ ٣٢٧).

(٢) انظرْ: مصارع العشاق (١/ ١٨٩-١٩٠) وليس فيه البيت الثالث.

الفصل الثاني والثلاثون

أيها الـمُقَصِّرُ عن طلبِ المراد:

كيف تدركُ المعالي بغيرِ اجتهاد؟

أين أهلُ السَّهرِ مِنْ أهلِ الرُّقاد؟

أين الراغبون في الدنيا من الزُّهاد؟

يا قلبُ ما أَنْتَ مِنْ نجدٍ وساكنهِ ... خلّفتَ نجداً وَرَاءَ الْمُدْلجِ الساري

أهفو إلى الركبِ تعلو لي ركائبُهُمْ ... مِنَ الحِمى في أُسيحاقٍ وأطمارِ

تفُوحُ أَرْواحُ نجدٍ مِنْ ثِيابِهِمُ ... عِنْد النزولِ لقُرْبِ العهْدِ بِالدَّارِ

يا راكبانِ قفا ليْ فاقضيا وطري ... وحدِّثانيَ عَنْ نجدٍ بأخبارِ

هَل روَّضتْ قاعةُ الوعْسَاء أم مُطِرَتْ ... خميلةُ الطَّلحِ ذَاتُ البانِ والغارِ؟

أمْ هَلْ أَبيتُ وَدَارٌ عِنْد كاظمةٍ ... دَاري وسُمّارُ ذَاك الحيّ سُمّاري؟

فَلم يَزالا إِلى أَنْ نمَّ بِي نَفَسِي ... وَحدَّثَ الركبَ عنّي دمعيَ الجاري[1]

مَنْ طلبَ المعالي سهرَ الليالي.

مَنْ أحبَّ العافيةَ لم يُخلِّطْ.

لولا صبرُ الـمُضَمَّرِ على قلةِ العلَفِ ما سُمِّيَ سبّاقاً:

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (١/ ٥١٧).

سـقَمي في الحُـبّ عافيتي ووجُودي في الهوى عدَمي

وَغـرامٌ ترتضـون بِـهِ في فمي أحـلى من النِّعمِ[١]

لـمّا كان الجوعُ سببَ السهر[....][٢].

لـمّا كان الليلُ زمانَ المناجاةِ أحبُّوه.

ثم تعـدّتْ محبتُهُـم إلى أماكنِ الخلواتِ فاشـتاقتْ الأماكـنُ إليهم: «اسكنْ حِراءُ»[٣]:

احبسـا الركبَ بوادي سَـلَمِ فبـذاك المُنحنـى طُـلَّ دمي

وانشُـدا قلبِـيَ في سـكَّانهِ فَمِـنَ السُـكَّان أَشْـكُو ألمي

أخذُوا القلبَ وأبْقَوا جَسَدِي فوجـودي بعـدَهُ كَالْعَـدمِ

صِـلْ محبّـاً جفْنُـهُ لم ينـمِ وابلائـي إنَّ خصْمي حكَمِي

وَاعجَباً للمُحِبِّ يَستُر ذكرَ الحبيبِ بِذكرِ المْنَازل، وَمَا يخفى على السَّامع مَقْصُودُهُ: «أُحُدٌ جبلٌ يحبنا ونُحبّه»[٤]:

أَلا سقِّني كاسـاتِ دمعي وغنّني بِذكرِ سُـليمى والربابِ وتَكتمِ[٥]

وَإِيَّـاكَ وَاسـمَ العامريّـة إِنَّنِـي أغـارُ عَليها مِـنْ فَـمِ المتكَلّمِ

(١) يُنسبان إلى الحلاج. انظرْ: نفح الطيب (٥/ ٥٩٨).

(٢) كلمة ممسوحة، ويصح أن نقول: ألفوه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤١٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٣٩٢).

(٥) في «المدهش» (٢/ ٥١٠): تنعم. اسم بصيغة الفعل، ويمكن أن يُقرأ: تُكتمِ.

كان قيسٌ إذا رحلتْ ليلى يتعلَّلُ بالآثار، ويستشــفي بالدِّمنِ، ويستنشقُ الصَّبا، ويشيمُ برقَ ديارِها:

أقْتَــلُ أدواءِ الرِّجَــالِ الوجدُ　　تَــوقَّ نجــداً فالغــرامُ نجدُ

إنَّ الصَّبَــا إذا جــرَتْ قادحــةً　　نَــارَ الغــرامِ ففــؤادي الزَّنْدُ

تُعْدي المُحبين الصَّبــا[1] كَأَنَّمَا　　لَهَا عــلى أهــلِ الغــرامِ حِقدُ

لَا تتلــقَّ نفحــةً نجديــةً　　هَزْلاً فهَــزْلُ النَّفحــاتِ جِدُّ

كَيفَ ببُرِئــي والطبيبُ مُمْرِضي　　يَصُدُّ والدَّاءُ العُضالُ الصَدُّ؟[2]

أشدُّ ما يُزعِجُ الـمَهجورَ النياحةُ.

وأطيبُ لغاتِ النُّواحِ عند القومِ صوتُ الحَمام:

كادَ يبكي أو بكى جزَعا　　مِنْ حماماتٍ بكينَ معا

ذكَّرتْهُ عيشــةً ســلفَتْ　　قطّعتْ أنفاسَهُ قِطَعا[3]

واعجباً للمُحبِّ يُقلقُهُ صوتُ الحَمام، وهو يحبُّهُ!

الحَمامُ جليسٌ مُسْعِدٌ، لكنه يُفشي سرَّ الـمُشتاق:

لي بِذَاتِ البانِ أشــجانُ　　حبَّذا مِــنْ أجْلِهَا البانُ

حبَّــذا وُرْقُ الحــمام إذا　　رنَّحتهــا مِنْــهُ أَغْصَانُ

---

(١) في الأصــل: الضنا، وفي «مرآة الزمــان»: الصبا. واللفظة كذلك في «كشــف الحقائق» (الورقة ١٠٧).

(٢) لابن المعلِّم الهُرثي الواســطي. انظرْ: ديوانه (نسخة مكة). وقد نسبها سبطُ ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (٢٢/ ١١١) إلى جده. وهذا خطأ، وكأنه سمعه يتمثّلُ بها فظنّها له.

(٣) أنشدهما ابنُ دريد. انظرْ: أمالي القالي (١/ ١٣٣).

داعياتٌ بالهَديلِ لَهَا … فِيهِ أسجاعٌ وألحانُ

أعجميّاتٌ إذا نطقَتْ … لَيْسَ إلَّا الشَّوق تبيانُ

كلَّما غنّينني هزَجاً … هاجني للذّكرِ أحزانُ

مَال بِي ميلَ الغصون بهَا … طرَبي فالْكلُّ نشوانُ

يَا حَمامَ البانِ يَجْمعُنا … وجْدُنَا إذْ نَحنُ جيرانُ

بُحْنَ بالشكوى إليَّ فَمَا … بَين أهلِ العشقِ كتمانُ

يتشاكى الواجدونَ جوىً … وَاجِداً والوجدُ ألوانُ

أَنا مخلوسُ القرينِ وأنـ … ـتُنَّ أَزوَاجٌ وأقرانُ

وبعيدُ الدَّارِ عَن وَطني … ولكُنَّ البانُ أوطانُ[1]

كانَ لي صبرٌ أُدِلُّ به … بانَ ذاك الصبرُ مذ بانُوا

أنا مِنْ حَرِّ الغرامِ إلى … بَرْدِ ذاكَ الوصلِ صَدْيانُ

جنِّبِ النادي فإنَّ بهِ … تقنصُ الآسادَ غزلانُ

وَانزلِ الوَادي بأيمنهِ … إنهُ بالدمعِ ملآنُ[2]

وارمِ بالطرفِ العقيقَ فلي … ثَمَّ أوطارٌ وأشجانُ

---

(١) مِنَ الأول إلى هنا، ثم بزيادة البيتين الأخيرين ذكرها المؤلفُ في «المدهش»، الفصل (٤٧)، (٢/ ٤٩١-٤٩٢)، و«اللطف»، الفصل (٤)، وفيها هناك بعد البيت الأول:

حَبَذا رَيّاهُ يوقِظُهُ … مِنْ نَسيمِ الفَجرِ رَيعانُ

(٢) مِنْ هنا إلى الأخير - عدا: آه مِنْ داء - ذكرها المؤلف في «المدهش»، الفصل (٣)، (١/ ٢٦٠).

وَانْشدِ القلبَ المَشُوقَ عَسى يُرْجِعُ المَفْقُودَ نُشدانُ

وابكِ عنّي مَا اسْتَطَعْتَ إِذا مَا بدا للطرفِ نَعْمانُ

أقرهِ عنّي السَّلَامَ فَسُكـ ـانُ قلبِي فِيهِ سُكَّانُ

آهِ مِنْ دَاءٍ أُكاتِمُهُ والهوى سِرٌّ وإعلانُ

لَا تزدني يَا عذولُ جوىً أَنا بالأشواقِ سَكرَانُ

❁ ❁ ❁

الفصل الثالث والثلاثون

يا مَنْ كانَ له معَنا وقتٌ فتكدَّرَ.

وكان يخدمُنا بقلبٍ فتغيَّرَ:

ما كانَ أطيبَ زمنَ الوصالِ.

ما أسرعَ ما استحالَ الحالُ؟!

ماضٍ منَ العيش لو يُفْدَى بذلتُ له ... كرائمَ المالِ مِنْ خيلٍ ومِنْ نَعَمِ

لم أقضِ منهُ لُباناتٍ ظفِرتُ بها ... فهلْ ليَ اليومَ إلا زفرةُ النَّدمِ؟

رُدّوا عليَّ لياليَّ التي سلفَتْ ... لم أنسَهُنَّ وما بالعَهْدِ مِنْ قِدَمِ

أقولُ للّائمِ المُهْدي ملامتَه: ... ذقِ الهوى وإنْ اسطعتَ الملامَ لُمِ

ما ساعفتني الليالي بعدَ عهدهُمُ ... إلا بكيتُ ليالينا بذي سَلَمِ

ولا استجدَّ فؤادي في الزمانِ هوىً ... إلا ذكرتُ هوى أيامِنا القُدُمِ

لا تطلبنَّ لي الأبدالَ بعدَهُمُ ... فإنّ قلبيَ لا يرضى بغيرهِمِ[1]

أشدُّ البكاءِ بكاءُ زمنِ الألفة.

وأعظمُ الحسراتِ ذكرُ أيامِ الصُّحبةِ:

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: يا ليلة السفح ألا عدت ثانية. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٧٣- ٢٧٥). وفيه: لم أقضِ منك لبانات...

لا يُذكَرُ الرَّمْلُ إلا حَنَّ مغتــربٌ ... له بذي الرَّمْلِ أوطارٌ وأوطــانُ

تهفــو إلى البان مِنْ قلبــي نوازعُهُ ... ومــا بيَ البانُ بلْ مَنْ دارُهُ البــانُ

أسُدُّ سمعي إذا غنّى الحَمــامُ بهِ ... أنْ لا يُهيِّجَ سرَّ الوجـدِ إعـلانُ

ورُبَّ دارٍ أُوليّهـا مُجـانبةً ... وليْ إلى الـدارِ أَطرابٌ وأشـجانُ

إذا تلفــتُّ في أطلالِهـا ابتـدرَتْ ... للعـينِ والقلـبِ أمـواهٌ ونيرانُ

كَلْــمٌ بقلبــي أداويــهِ ويقْرِفُــهُ ... طولُ ادّكاري لَمَنْ ليْ منهُ نسيانُ(١)

إنْ لم يكنْ لكَ مركُوبُ تعبّدٍ وقتَ السَّـحرِ، فاجلسْ على دكّةِ استغفارٍ، فإذا مرَّتْ بكَ جنائبُ الأحبابِ فصِحْ بها:

أقـولُ لرَكْـبٍ رائحـينَ: لعلّكـمْ ... تحلون مِـنْ بعـدي العقيـقَ اليمانيا

خُذوا نظـرةً منّي فلاقـوا بها الحِمى ... ونجْـداً وكُثبـانَ الِّلـوى والمطاليا

ومُـرّوا عـلى أبيـاتِ حـيٍ برامـةٍ ... فقولـوا: لديـغٌ يبتغي اليـومَ راقيا

وقولوا لجـيراني على الخَيْف مِنْ مِنى: ... تُراكـمْ مَـنِ اسـتبدلتمُ بجواريا؟

ومَــنْ ورَدَ المـاءَ الذي كنـتُ وارداً ... بهِ ورعى العُشْبَ الذي كنتُ راعيا؟

فوالهفتــي كم ليْ على الخَيْف شـهقةٌ ... تذوبُ عليهــا قطعةٌ مِــنْ فؤاديا؟!

صفا العيشُ مِنْ بعدي لحيٍّ على النقا ... حلفتُ لهـم لا أشربُ المـاءَ صافيا

ترحّلــتُ عنكــم، لي أمامــيَ نظرةٌ ... وعــشرٌ وعشرٌ بعدَكمْ مِــنْ ورائيا(٢)

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: أَسِلْ بدَمعِكَ وَادي الحَيّ إن بانوا. انظرْ: ديوانه (٢/ ٤٤٩).

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٢/ ٥٧٠-٥٧١).

يحقُّ لِمَنْ رأى الراحلينَ إلى الحبيبِ -وهو قاعدٌ- أنْ يبكي.

ولِمَنْ سمعَ أخبارَ الواصلين -وهو مُتباعِدٌ- أنْ يقلقَ:

أَبْصرَ الركْبَ على الجِزعِ ضُحى فتوالى دمعُهُ مُنْسَفِحا

يا خليليَّ بجَرْعاءِ الحِمى سَائِلا: مَنْ حَلّ ذَاك الأبطحا؟

وخُذا عنّي أَحَادِيثَ الغضا بَخِلَ الرَّاوِي بهَا أَو سَمَحا

واسْتَمِلّاها بدمعي واكتُبا عَن أخي الشَّوق جوى ما شرَحا

وَإذا هَبَّ الصَّبا قولا لَهُ: عُدْ فقدْ هيَّجْتَ قلباً ما صَحا

يَا أُهيلَ الحيِّ مِنْ كاظمةٍ عادَ مَسْتُورُ الْهوى مُفْتَضِحا

أتدرون ما أزعجَ هذا التائبَ.

وأيّ عتابٍ أقدمَ هذا الغائبَ؟

صبا لنسيمِ الصَّبَا إِذْ نفَحْ وأرّقهُ لَمْعُ برقٍ سنَحْ

فحنَّ إِلَى السَّفحِ سَفحِ العقيق فساحَ لَهُ دمعُهُ وانسفَحْ

وَكَانَ كتُوماً لسرِّ الْهوى وَلَكِنْ جرى دمعُهُ فافتضَحْ

فَدَعْهُ يُنَادي طلولَ الحِمى وَيسْألُ رامةَ عمَّنْ نَزَحْ

أنتم لا تعذرونهُ؛ لأنه في حالٍ لا تعلمونهُ:

وَلُمْتَ في البرقِ زفْراتي فلو علِمَتْ عيناكَ مِنْ أينَ ذاك البارقُ السَّاري![1]

---

(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدته: لو كنتَ تبلو غداة السفحِ أخباري. وهو البيت (٤). انظرْ: ديوانه (٢/ ٥٠).

دعوه يبكي على زمانٍ فات.

ويُنادي بلسانِ الحسرات:

مَـنْ مُعيـدٌ أَيَّـامَ ذِي الأَثْـلِ أَو ما	قَـلَّ مِنْهَـا دَيْنـاً عَـلِيَّ وقرضـا[١]

ما عندهُ مِنَ الحاضرين خبَر.

ولا لهُ إلى الناظرين نظَر:

ظـنَّ الْأَرَاكَ لَـدَى واديـه أظعانـا	فَـمَا اسْـتَطَاعَ لمـا أخفـاهُ كِتمانـا
فَبَـان للركـبِ ما قـد كانَ يسـتُرُهُ	عَن كلِّ مسـتخبرٍ مِنْ حُبِّ مَنْ بانا[٢]

لو قيل له: صِفْ لنا حالكَ لقالَ:

صونُ دمعي هتكْتُهُ	ودمي قد سـفكْتُهُ
لحبيـبٍ أحببتُـهُ	فجفـاني فخِفتُـهُ
غابَ عن مقلتي وفي	سرِّ قلبـي وجدْتُـهُ
وحيـاةِ الهوى وحُرْ	مـةِ ليـلٍ سـهِرْتُهُ
لا تغـيّرتُ في هـوا	كَ الـذي لا عدمْتُهُ

❁ ❁ ❁

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: عِنْدَ قَلْبي عَلاقَةٌ مَا تَقَضىّ. وهو البيت الرابع، انظرْ: ديوانه (١/ ٥٧٦). وقد مرَّ في الفصل (٢٠).

(٢) لابن حيـوس مِنْ قصيدة طويلة. انظـرْ: ديوانه (٢/ ٦٥٣)، وفيه: فلم يطق لرسـيس الشوق. و: فبان الركب شجو كان.

الفصل الرابع والثلاثون

شرابُ المحبةِ دائمُ السُّكرِ لا يصحو متناولُهُ.

كان الربيع بن أبي راشد[١] كأنهُ مخمارٌ مِنْ غيرِ شرابٍ:

يُرنِّحني إِلَيْكَ الشَّوقُ حَتَّى ... أميلَ من الْيَمينِ إِلى الشمالِ
كَما مَال المُعاقِرُ عاودَتْهُ ... حُميّا الكأسِ حالاً بَعْدَ حَالِ
ويأخذُني لذكركُمْ ارتياحٌ ... كما نُشِطَ الأسيرُ من العِقالِ
وأيسرُ ما أُلاقِي أَنّ همّاً ... يُغصِّصُني بذا الماء الزُّلَالِ[٢]

كان أبو عبيدة يستغيثُ: واشوقاه إلى مَنْ يراني ولا أراهُ:

هَل الطَّرفُ يُعْطَى نظرةً مِنْ حَبيبهِ ... أم الْقلبُ يَلقى رَوْحَةً مِنْ وجيبهِ؟
وَهل لليالْيَ عَطفةٌ بعد نفرةٍ ... تعُودُ فتُلهي نَاظراً عَنْ غُروبهِ؟
أحِنُّ إِلَى نَوْر الِّلوى فِي بطاحهِ ... وأظمى إِلى ريّا الِّلوى فِي هُبوبهِ
وذاكَ الحِمى يَغْدُو عليلاً نسيمُهُ ... ويُمْسي صَحِيحاً ماؤُهُ فِي قَليبهِ
هُوَ الشَّوق مَدْلُولاً على مَقْتَلِ الْفَتى ... إِذا لم يَعِدْ قلباً بلُقيا حَبيبهِ[٣]

رحلَ أصحابُ المعاني، وبقيَ أربابُ الدعاوي.

يا ديارَ الأحباب عندكِ خُبْرُ؟[٤]

---

(١) من الطبقة الثالثة من المصطفين من عُبّاد أهل الكوفة. انظر: صفة الصفوة (٣/ ١٠٩).

(٢) للشريف الرضي مِنْ قصيدته: لمن دمن بذي سلم وضال. انظرْ: ديوانه (٢/ ١٧٥).

(٣) للشريف الرضي مِنْ قصيدة: .انظرْ: ديوانه (١/ ١٣٢).

(٤) تتمته في كتاب «اللطف» الفصل (٣٨)، ص٧٢: أَين ساروا وهَل لَهم مُستَقرُ؟

راحةُ المريدين زيارةُ قبورِ الأولياءِ ومحادثتُها[١].

كان عمرو بن عُتبة[٢] يخرجُ بالليل إلى القبور، فيُسلِّمُ عليهم، ويصُفُّ قدميه يُصلِّي إلى الصبح[٣]:

هَا إِنَّهَا منَازِلٌ تعوّدتْ منّي إِذا شارَفْتُها التسليما

وقفتُ فِيهَا سالماً رأدَ الضُّحَى ورُحتُ مِنْ وجدٍ بهَا سليما

وللهوى سريرةٌ يعرفُها مَنْ حالفَ الأحزانَ والهُموما

قد وكّلتني أنشُدُ البروقَ عن أهلِ الحِمى وأسأَلُ الرُّسُوما

يَا نفحةَ الشَّمَال مِنْ تلقائِها رُدِّي عليَّ ذَلِك النسيما

---

(١) وهذا كقول المؤلف في كتابه «موافق المرافق» ص ٥٦:
«مَنْ وقف على قبر بشر ومعروف تذكَّر ما كانا فيه من معروف، مَنْ تصور حالتهما أثر في صورته، مَنْ تذكر أعمالهما بكى مِنْ غفلته».
وكقوله فيه: «وقفتُ على بعض قبور الصالحين فقلتُ: يا فلان بماذا نلتَ تردُّدَ الأقدام إليك؟ فقال لي [في «المدهش» ١/ ٣٦٢: فقال لي هاتفٌ]: أقدمتُ على ترك الهوى بلا تردُّد، فترددتْ إليَّ الأقدام، كان عطرُ إخلاصي خالصاً، فعبق نشرُه بالأرواح فاستنشقه الـمُريدون».
وكقوله ص١٣٠: «فرغت من القوم المنازل، ورحل إلى القبور النازل، نزل المريد تلك الديار، وتلمح بعين البصائر تلك الآثار. إذا خرجت إلى المقابر فتأمل قبر أحمد وبشر ومن جانسهما، تراهما عمراناً والباقي بلقع».

(٢) تابعي كوفي جليل. ذكره ابنُ الجوزي في وفيات سنة ٢٥. انظرْ: المنتظم (٤/ ٣٤٩)، وصفة الصفوة (٣/ ٦٨).

(٣) قال المؤلف في كتابه «موافق المرافق» ص٥٥: «كان عمرو بن عتبة يخرج على فرسه ليلا فيقف على أهل القبور فيقول: يا أهل القبور قد طويت الصحف ورفعت الأقلام. ثم يبكي ويصف قدميه حتى يصبح، ثم يرجع فيشهد صلاة الصبح».

نمَّتْ عليك نفحةٌ نجديةٌ حملتَ مِنْ عَرارها شميما
زرتَ ولم تُمْتِعْ وذنبُ مقلتي أنَّ الكرى يعتادُها تهويما[1]

قد أُلبِستْ قبورُ القومِ هيبةً ممزوجةً بأُنسٍ فالقلوبُ تُعظِّمها، والأرواحُ تحنُّ إليها.

قال إبراهيمُ الحربي[2]: قبْرُ معروف الترياقُ المجرَّبُ[3].

ما أحلى ذكرَ الأحباب.

---

(١) لأبي الحسن بن طاهر الحبار (أو الخباز). انظر: مثير العزم الساكن (٢/ ١٠٣-١٠٤).

(٢) بغدادي، من الأئمة المعروفين، توفي سنة ٢٨٥هـ. صفة الصفوة (٢/ ٤٠٤).

(٣) يقصد أنَّ الدعاء عنده مظنة الإجابة.

وقد روى المؤلفُ هذا القول عن إبراهيم الحربي بالسند. انظرْ: كتابه «مناقب معروف الكرخي»، الباب (٢٧) ص ١٩٩-٢٠٠، وقال: «قد ذكرنا في الباب الذي قبله عن بشر [الحافي] أنه قال في المنام مثل قول الحربي».

وانظر: الطيوريات ص٥٩٥.

وجاء في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الشيخ الإمام الفقيه المحدث ابن لال: أحمد بن علي الهمذاني (ت: ٣٩٨هـ)، (١٧/ ٧٦):

«قال شيرويه: كان ثقة، أوحد زمانه، مفتي البلد، وله مصنفات في علوم الحديث، غير أنه كان مشهوراً بالفقه.

قال: ورأيتُ له كتاب «السُّنن»، و«معجم الصحابة»، ما رأيتُ أحسنَ منه، والدعاءُ عند قبره مُستجابٌ...».

وهنا قال الإمامُ الذهبي (١٧/ ٧٧): «الدعاءُ مستجابٌ عند قبور الأنبياء والأولياء، وفي سائر البقاع، لكن سبب الإجابة حضور الداعي، وخشوعه وابتهاله، وبلا ريب في البقعة المباركة، وفي المسجد، وفي السَّحر، ونحو ذلك، يتحصلُ ذلك للداعي كثيراً، وكلُّ مضطرٍ فدعاؤُه مجابٌ».

وانظرْ لزاماً: سير أعلام النبلاء أيضاً (٩/ ٣٤٣)، و(١٠/ ١٠٧)، و(١٦/ ٥١٩).

ما أطيبَ حديثَ أولي الألباب!

إيـهٍ أَحَادِيـثَ نَعْـمَانٍ وسـاكنهِ إِنَّ الحَدِيـثَ عَـن الأحبابِ أسـمارُ

أفتـشُ الرّيـحَ عَنْكُمْ كلَّـما نفحَتْ مِنْ نَحْـو أَرْضكُمُ نكبـاءُ مِعطارُ[1]

تأنسُ النفوسُ بقبورِهم حتى بالليل، وتنفرُ مِنْ قبور غيرهم بالنهار.

فديتُ تلك الأصدافَ وما تحوي من الدُّرِّ:

حيِّ بالأجـرعِ تلـك الخياما واقـرا عنّي مَنْ بهنَّ السَّـلاما

وانشُـدِ القلبَ الذي ضاعَ لّما لعـبَ البَـيْنُ بـه وترامـى

ذكرَ الوصلَ الـذي قد تقضّى فاسـتهلّتْ مقلتـاهُ سِـجاما

كلَّـما نـاحَ عليـهِ بشـجوٍ عَلّـمَ النَـوحَ بـذاكَ الحَماما

كيف لا يشـكو ضنـاهُ إليكم حينَ سـلّطتُم عليـهِ الغراما

علِّلـوا قلبـي منكـمْ بوعدٍ رُبَّـما بلَّـغَ وعـدٌ مَرامـا

رحلَ الصالحون وفاتوا.

ونحنُ متنا، وهم ما ماتوا[2]:

---

(١) لصردر مِنْ قصيدته: لا أعذر المرء يصبو وهو مختار. انظرْ: ديوانه ص ٢٧-٢٨. والمنتظم (١٦/ ١٥٠).

(٢) هذا كقول محمد بن محمد العكبري (ت: ٤٧٢هـ):

أطيـلُ تفكُّـري في أي نـاسٍ مضوا قدمـاً وفيمَنْ خلفونـا

همُ الأحياءُ بعد الموتِ ذكراً ونحنُ من الخمـولِ الـميتونـا

انظرْ: البداية والنهاية (١٣/ ٢٠٦).

وقول أبي عبدالله ابن الدواليبي الأزجي (ت: ٧٢٨):

ماتـوا فأحياهمُ إحياءُ ليلهمُ ومَنْ سواهم أناسٌ بالكرى ماتوا

انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٢٠١).



خـلِّ طرفِي والبُـكا إنْ كنتَ خِلّي | فالحِمـى أقفرَ مِـنْ جَـارٍ وَأهْلِ
والـحُ مَنْ لم يدْرِ مَا طعمُ الأسـى | أَنا عَنْ لومِكَ فِي أشـغلِ شُـغْلِ
لم يـدعْ وقـرُ النَّوى فِي مسـمعي | واعتراضـاتُ الْهوى بابـاً لعذْلِ
هَـذِه مِـنْ بعدِهـمْ آثَارُهُـمْ | والتحاقـي ببـلَى الأطـلالِ يُبْلِي
مـا وُقـوفِي فِي مَحَـلٍّ سـاكن | فِي فُـؤَادِي أَهلُـهُ لا فِي المحَـلِّ؟
يتَمَنَّـى طيفَكـم صـبٌّ بكـمْ | مسـتهامٌ والـمُنى جُهـدُ المقِلِّ
وَالَّذِي يسـتجلبُ الطيفَ الْكرَى | مَـنْ لعَيْنِي أَنْ ترى النّوم وَمَنْ لي؟
بِعْـتُ حلمـي طائِعـاً لا كَارِهاً | بسـفاهي فاشـتروا عـزّي بذُلّي
وانقضى أَكثـرُ عُمْـري في القِلى | جفـوةً مِنْكُـم فرُقّـوا للأقـلِّ
حمِّلـوني الخـفّ مِـنْ هجركـمُ | وارحموا مَـنْ ما لَـهُ طَاقَـةُ ثِقْلِ
عجبـاً لي ولقلـبٍ ضائـعٍ | بـان عنّـي بَـين بانـاتٍ وأَثْـلِ
حـرّمَ اللهُ عـلى البـان الصَّبَـا | وحمـاهُ الْغَيْـث مِنْ طـلٍّ ووبْلِ
مـا عـلى السَّـائِقِ لَوْ حـلَّ النقا | وأراحَ العيـسَ مِـنْ شـدٍّ وَحَلِّ
فَعَسَـى تُدْني الـمُنى مِنّـي مِنىً | ولعـلِّي أَنْ أرى الخَيْـفَ لعَـلِّي





الفصل الخامس والثلاثون

انقسمَ العُبّادُ ثلاثةَ أقسام:

فمِنهم مَنْ لاحَظَ الحصادَ فزادَ في البَذْرِ.

ومِنهم مَنْ رأى حقَّ المخدُوم فقامَ بأدائهِ.

ومِنهم مَنْ خَدَم محبّةً فتلذَّذَ بالخدمةِ.

وهذه الخدمةُ لا ثقلَ لها؛ لأنَّ مُحرّكَها الحُبُّ، وغيرها ثقيلٌ على البدنِ.

نُوقُ أبدانِ المحبين لا تحسُّ بالنَّصبِ؛ أسماعُها مشغولةٌ بصوتِ الحادي، وقلوبُها معلَّقةٌ بالمنزلِ.

مَنْ عبدَهُ خوفاً آمنهُ.

ومَنْ عبدَهُ رجاءً أعطاهُ أملَهُ.

ومَنْ عبدَهُ حُبّاً فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفيَ له.

كان ابنُ سمعون[1] ينشدُ:

حاشاك مِنْ أنْ تراني ... ممَّــنْ يُحبُّــكَ خوفا

لم يبــقَ منــي وفاءٌ ... إلا وما منــكَ أوفى

أفنيتَنــي عَنْ جميعي ... فصرتُ أهواكَ ظرفا

(١) زاهد عابد صالح، كبير الشأن، بغدادي، توفي سنة ٣٨٧هـ. صفة الصفوة (٢/ ٤٧١).

الشَّوق يُبكي عيونَ المشتاقين.

ويُقلِقُ قلوبَ المحبين.

ورسائلُ القومِ يحملُها الأنين:

وأشتاقُ الديارَ لساكِنيها ... كما يَشتاقُ صحتَهُ العَليلُ

بكيتُ لهجرِهِمْ حيناً وحيناً ... لبُعدِهِمُ وقد أزفَ الرحيلُ

فلم تَذَرِ النَّوى والهجرُ دمعاً ... تُجادُ بهِ المعالمُ والطُلولُ

وممّا شفَّني وجدٌ عزيزٌ ... يُحاوِلُ قهرَهُ صبرٌ ذليلُ

جزى الريحَ الدَّبورَ اللهُ خيراً ... فلِيْ منها إذا هبَّتْ رسُولُ

أحمّلهُ إلى حِبّي[1] سلاماً ... تردُّ جوابَهُ الريحُ القَبولُ[2]

واعجباً للمحبةِ لا لذةَ فوقها، ولا عذابَ أشدُّ منها، لكنَّ عذابَها مُسْتعذَب:

شغلتُ قلبي وسمعي في مودَّتكُمْ ... لا خلّصَ اللهُ قلبي مِنْ محبتِكُمْ

ها قد غضبتُ على رُوحي لأجلكمُ ... حتى جفوتُ حياتي بعدَ جفوتكُمْ

إذا تلَهّبَ جمرُ الشَّوق في كبدي ... أطفاهُ ماءُ التلاقي يومَ رؤيتكُمْ[3]

---

(١) في الديوان: سلمى.

(٢) لابن حيوس مِنْ قصيدته: أرى سفهاً ولو جاء العذول. انظرْ: ديوانه (٢/ ٥١٥-٥١٦).

(٣) للوأواء الدمشقي. انظرْ: ديوانه ص٦٦ وفيه بيت آخر. والثاني هنا هو الثالث هناك.

أبكاهم الخوفُ دمعاً، ثم أبكاهمُ الشَّوق دماً:

قولوا لسُكّانِ الحِمى تحـوّلَ الدمـعُ دما
وكُلُّ حُلـوٍ بعدَكمْ قد صار مُـرّاً علْقَما

كان عمرُ بن عبدالعزيز وفتح الموصلي يبكيانِ الدم:

أجارتنـا بالغَورِ والرَّكـبُ مُتْهِمُ أيعلمُ خَالٍ كَيفَ بَاتَ الـمُتيَّمُ؟
رحلتمْ وعُمْرُ الليـلِ فينا وفيكمُ سـواءٌ ولكـنْ سـاهرونَ ونُوّمُ
بِنـا أَنْتُمُ[١] مِنْ ظاعنـينَ وخلّفوا قلوباً أَبتْ أَنْ تعرفَ الصَّبْرَ عَنْهُمُ
وَلما جـلى التوديـعُ عَـمَّا حذرتُهُ وَلم يبْـقَ إِلَّا نظـرةٌ تُتَغنَّـمُ
بَكَيْتُ عـلى الوادي فَحَرّمتُ ماءَهُ وَكَيف يحـلُّ الماءُ أَكْثَـرُهُ دمُ؟[٢]

الخوفُ يحرقُ.

والشَّوق يُقلِقُ.

إلا أنَّ نسيمَ الأسحارِ يُروِّحُ القلبَ، ورجاءَ اللقاءِ يُعَدِّلُ الحرارةَ:

سقى دارَهُمْ[٣] بالرقمتين وحيّاها مُلِثٌّ يُحيلُ التربَ في الدارِ أمواها
ومـا بيَ إلا نفحـةٌ حاجريّـةٌ تُؤدِّي صَباها ما تقـولُ خُزاماها
وكيف بوصلِ الحبلِ ممَّنْ أحبُّهُ[٤] وبـين بلادَينـا زَرُودٌ وحَبْلاها؟

---

(١) ويحتمل: تنآيتم. فالمؤلِّف يثبت المدَّ ألفاً.

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٣/ ٣٤٤).

(٣) في الديوان: دارها.

(٤) في الديوان: وكيف بوصلِ الحبلِ يا أم مالك.



يراها بعينِ الشَّوق قلبي على النَّوى فيحظى، ولكنْ مَنْ لعيني برُؤياها؟

دعوهُ ونجداً إنها شأنُ نفسهِ فلو أنَّ نجداً تلْعةٌ ما تعدّاها

وهبكمْ منعتمْ أنْ يراها بعينهِ فهل تمنعُونَ القلبَ أنْ يَتمنّاها؟[(١)]

أزعجتموني بقلقِكُم يا تائبين.

أقلقتموني بحُرَقِكُم يا خائفين:

يَا صَبا نجدٍ ويا بانَ الغضا أُرفقا بِي فِي التثنّي والهُبوبِ

لا يكنْ آخرَ عهدي بكمُ يا ولاةَ القلبِ ليلاتُ القليبِ[(٢)]

يا صبيانَ التوبة:

تتقوّمون بمقالي.

وتقومونَ على حرِّ المَقالي.

ويخرجُ عاطلُ البطالة وهو حالي.

وأنا لا أدري ما حالي.

﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[(٣)].

---

(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٤/ ١٨٣-١٨٤).

(٢) لمهيار. انظر: مثير العزم الساكن (١/ ٩٧-٩٨).

(٣) من سورة يوسف، الآية ٨٦.



إنْ وصلتُم فاذكروني.

إنْ حَصّلتم فأسهموني:

يَـا غاديـاً نَحْو هضـابِ الحِمى   بلّـغْ رسـومَ الـدَّار مَـا عِنْدِي

كـمْ لِيْ بِتِلْكَ الـدَّارِ مِـنْ وَقْفَةٍ   أَشْـكُو مِـنَ الهجـرانِ والصـدِّ

كلَّما رأيتُ التائبين تقلْقَلَ قلبي.

وإذا تلمّحتُ اصفرارَهم تبلْبَلَ لُبّي.

وإذا سمعتُ حنينَهُم تبدَّدَ ما أُعبِّي:

مَا ناحَ فِي البانِ الْـحَمامُ   إِلَّا ورنَّحنـي الغـرامُ

فكأننـي ثَمِـلٌ تمشـْ   ـشَتْ فِي مفاصِلهِ الـمُدامُ

مَـا لِي وبانـاتِ الحِمى   لَوْلَا الصَّبابةُ والهُيَامُ؟[1]

❁ ❁ ❁

(١) لابن المعلِّم الهُرثي الواسطي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (نسخة مكة ص٣٤٠). وقد مرتْ منها أبياتٌ في الفصل (٢٩).

الفصل السادس والثلاثون

قيل لرابعة: أما تشتاقين إلى الله؟

قالتْ: هو معي:

إنْ كنتَ لستَ معي فالذكرُ منكَ معي ... يراكَ قلبي وإنْ غُيِّبتَ عن بصري

العينُ تفقدُ ما تهوى وتبصرُهُ ... وباصر القلبِ لا يخلو مِنَ النَّظرِ(١)

هذا المرادُ بقولِ القائلِ: ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيتُ اللهَ فيه:

لبَّيكَ يا عالماً سرِّي ونجوائي ... لبَّيكَ لبَّيكَ يا قصدي ومعنائي

لبيكَ يا كُلَّ كُلِّي يا مدى أملي ... يا منطقي وعباراتي وأنبائي

إنْ كُنتَ بالغيبِ عَنْ عينيَّ مُحْتَجِباً ... فالقلبُ يرعاكَ في الإبعادِ والنائي(٢)

قال الخوّاصُ(٣): قال لي محمد بنُ الفضل(٤): منذ أربعين سنةً ما نظرتُ إلى شيءٍ استحسنتُهُ حياءً من اللهِ عزَّ وجلَّ:

إنْ كانت العينُ مُذْ فارقتَها نظرتْ ... إلى سواكَ فخانَتْها آماقيها

---

(١) للخليل بن أحمد، أو للخريمي، أو للحمدوني. ينظر عشرة شعراء مقلون ص٢٣٩-٢٤٠.

(٢) الأول للحلاج. انظرْ: الكشكول (١/ ١٨٥). وينظر الديوان ص ٢٣ (في المنسوب إليه).

(٣) هو إبراهيم بن أحمد الخواص، مِنْ أقران الجنيد، أصله من سر من رأى، لكنه أقام بالري، ومات بها سنة ٢٩١هـ. صفة الصفوة (٤/ ٢٩١).

(٤) مِنْ رجال الصفوة، توفي بسمرقند سنة ٣١٩هـ. صفة الصفوة (٤/ ١٦٥).

أو كانت النفسُ بعــدَ البُعْدِ آلفةً حبّاً ســواكَ فــلا نالــتْ أمانيها
ما إنْ تنفّســتُ إلا كنتَ في نَفَسي تجري بكَ الروحُ مني في مجاريها[١]

دخلوا على معروفٍ[٢] وهو يدورُ حولَ ساريةِ المسجد ويقول: يا حبيبي يا حبيبي. فقالوا له: علِّمنا المحبة.

فقالَ: هذا لا يجيءُ بالتعليم.

مَنْ أرادَ أنْ يعرفَ المحبة فلينظرْ إلى قيس:

أنــتَ عــلى البُعْــدِ هُمومــي إذا غبــتَ، وأشــجاني عــلى القُرْبِ
لا أتبــعُ القلــبَ إلى غيركُــم عينــي لكــم عــينٌ عــلى قلبي

لـــمّا تمكنتْ نيرانُ المحبّة مِنْ قلوبِ القوم صيَّرتْ لحومَ الأبدان ســلَىً، وفتحتْ سكْرَ الدموع، فما قَدروا على سدِّهِ.

كان مالكُ بنُ دينار يبكي حتى يقعَ صريعاً فيُحْملُ إلى أهله.

وكان عبدُالواحد بنُ زيد[٣] يبكي حتى يُغْشى عليه:

عرِّجــوا بالرفاقِ نَحْو الــرَّكبِ وقفُــوا وَقْفَــةً لأنشُــدَ قلبِــي
وخُــذوا لي مــن النُّقيبِ لِــماظاً أو رِدُوا بي إلَى العُذَيبِ وحســبي

(١) للحلاج. وقد مرتْ في الفصل التاسع.
(٢) الكرخي.
(٣) من الطبقة الرابعة من المصطفين من عُبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٢١).

فهبُـوبُ الرِّيَاحِ مِـنْ أَرضِ نجدٍ ... قُـوتُ رُوحي وحبَّذا مِـنْ مَهَبِّ

يَـا نسـيمَ الصَّبَا ترنّمْ عـلى الدَّو ... حِ بصَوْتٍ يُشْـجي وَإِنْ طَار لُبِّي

يا غصونَ النَّقا سأسـقيكِ دمعي ... وكفُ عيني يكفي عيونَ السُّحْبِ

مَـنْ مُعِيـدٌ أيامَنـا بِلِـوى الجز ... ع وهيهـاتَ أَيْنَ منّيَ صحبي؟[1]

أين الذين كانوا كالأعلامِ على جوادِّ الهدى؟

ما بقيَ في الدِّيارِ ديّار.

كان أويسٌ إذا أمسى يقول: هذه ليلةُ الركوع، فيركعُ حتى يُصْبحَ.

ويقولُ في الليلة الأخرى: هذه ليلةُ السجود، فيسجدُ حتى يُصْبحَ.

وكان عَبْدة بنُ هـلال[2] يقول: لِله عليَّ أن لا يَشْـهدَ عليَّ ليلٌ بنومٍ ولا شمسٌ بأكلٍ:

ودَّعْـتُ قلبِـي حِـين ودَّعْتُهمْ ... وَقلتُ: يَـا قلبُ عَلَيْكَ السَّـلَامْ

وَصحتُ بِالنَّوْمِ: انْصَرفْ راشـداً ... فَـإِنَّ عَيْنـي بعدهـمْ لَا تنـامْ

بكى أُسَـيد الضبّي[3] حتى ذهبَ بصُرهُ، فعُوتِبَ على كثرةِ بكائه فقال:

---

(١) للمؤلف. انظرْ: مثير العزم الساكن (٢/ ١٠٥-١٠٦).

(٢) ثقفي زاهد، لا تُعْرفُ أخباره. انظرْ: المؤتلف والمختلف للدارقطني (٢/ ١١٤) والإكمال لابن ما كولا (٦/ ٣١). وفي ضبط الاسم خلاف، وقد تابعت ضبط المخطوط.

(٣) من الطبقة السادسة من المصطفين من عُبّاد أهل الكوفة. صفة الصفوة (٣/ ١٦٣).

كيفَ أسـكُنُ وأنا أمُوتُ غداً؟! واللهِ لأبكينَّ، فـإنْ أدركتُ خيراً فيَمُنُّ اللهُ عليَّ، وإنْ تكنِ الأخرى فما بُكائي في جَنْبِ ما ألقى؟!

لا تُكْثـرنَّ ملامـةَ العُشّـاقِ ... فكفاهمُ بالوجدِ والأشـواقِ

أتلُومهـمْ للنفـعِ أم لتزيدَهُم ... باللـومِ إقلاقاً عـلى إقلاقِ؟

فدع المحـبَّ مِـنَ الملامةِ إنها ... بئسَ الدواءُ لِـمُوجَعٍ مقلاقِ

لا تُطفئـنَّ جـوىً بلـومٍ إنهُ ... كالريحِ تُغرِي النارَ بالإِحراقِ

وأرى رُقَـى العُذّال غيرَ نوافعٍ ... لا سـيّما لِـمُتيّمٍ مشـتاقِ

ما للمُحـبِّ إذا تفاقـمَ داؤُهُ ... غيرُ الحبيبِ يزُورُهُ مِنْ راقِ(١)

القومُ مع الحبيب حاضرُون.

وعن الخلقِ غائبون.

فالعذّالُ لِـمَنْ يُحدّثُون؟

كثَّـرَ فِيـكَ اللـوّمُ ... وأَيْـنَ سَـمْعِي وهُمُ؟

قلبِـيَ واللـوْمُ عَلَيْـ ... ـك مُنْجِـدٌ ومُتْهِـمُ

قَالُوا: سـهرتَ والعيو ... نُ الـمُسْهَراتُ نُـوّمُ

وَلَيْسَ مِنْ(٢) جسْمِكَ إلـ ... ـلا جِلـدَةٌ وَأعظُـمُ

(١) لابن الرومي مِنْ قصيدة طويلة تبلـغ (١٠٢) بيت، والأبيات المختارة هي فيها (١، ٣، ١٦- ١٩). انظرْ: ديوانه (٤/ ١٦٦٢-١٦٦٣)

(٢) في الديوان: في.

وما عَلَيْهِم سـهري[١] ولا رُقـادي لـهُـمُ

وَهل سـماتُ الحبِّ إلْـ لا سَـهَـرٌ وسَـقَـمُ

خُذ أَنْت في شَـأْنكَ يا دمعي وخـلِّ عَنْهُمُ[٢]

لو رأيتَ المحبَّ يهربُ من العُذّال إلى فلواتِ الخلوات، فإذا ناولَهُ الوجدُ كأسَ الدُموع اقترحَ عليه غناءَ الحَمام:

ذَكَـرَ الأحبـابَ والوطنا وَالصِّبَا وَالْإِلْفَ والسَّـكنا

فَبكـى شـجواً وَحُـقَّ لَهُ مُدْنفٌ بالشَّوق حِلْفُ ضنى

مَـنْ لمشـتاقٍ تُميِّلـهُ ذَاتُ سـجْع ميّلـتْ فننا؟

لمْ تُعـرِّضْ فِي الحنـين بِمَنْ مُسْـعِدٌ؟ إلّا وَقلـتُ: أنا

لَكِ يَـا وَرْقَاءُ أُسْـوَة مَنْ لـم تُذيقي طرفَهُ الوَسنا

بـكِ أُنْسي مثلُ أنسُـك بِي فتعـالي نُبْـدِ مَـا كمَنـا

نتشـاكى مَـا نُجِـنّ إذا بُحتِ شجواً صحتُ واحزَنا

أَنـا لا أَنْتِ الْبعيـدُ هوىً أَنا لا أَنْـتِ الْغَرِيـبُ هُنَا

أَنـا فَـردٌ يَـا حَمـامُ وَهَا أَنْـتِ وَالإلْـفُ القرينُ ثُنَا

اسرحـا رأْدَ النَّهـار مَعـاً واسكنا جُنحَ الدُّجى غُصُنا

---

(١) في الديوان: أرقي.

(٢) لمهيـار الديلمـي مِنْ قصيـدة. والأبيات المختارة هـي (١، ٢، ٥–٩). انظـرْ: ديوانه (٣/ ٣٢٢).وفيه: دمعيَ خُذْ ودعهمُ.

وابكيا يَا جارتيَّ لما لعبتْ أَيدي الْفِراَق بِنَا

أَيْن قلبِي مَا صنعت بِهِ مَا أرى صَدْرِي لَهُ سكنا

حانَ يَوْمُ النَّفْرِ وَهْوَ معي فَأبى أَنْ يَصْحبَ البدَنا[1]

❁ ❁ ❁

(١) للحسين بن محمد البغدادي المعروف بالبارع. ولها تتمة. انظر: المنتظم (١٧/ ٢٦٠-٢٦١)، وخريدة القصر - القسم العراقي (ج٣ مج١ ص٨٣-٨٧)، وإخبار الملوك ص٢٧٦-٢٧٧.



الفصل السابع والثلاثون

روى أبو ذر قال: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ صلاة الليلِ أفضلُ؟

فقال: «نصف الليل، وقليلٌ فاعلُهُ»(١).

ونقِلَ أنَّ داودَ عليه السلام قال: يا ربِّ، أيُّ ساعة أقومُ لك؟

فأوحي إليه: قمْ في شطرِ الليل حين تخلو بي وأخلو معك، فارفعْ إليّ حوائجَك.

وقال داود: يا جبريلُ، أيُّ الليل أفضل؟

فقال: ما أدري إلا أنَّ العرشَ يهتزُّ مِنَ السَّحرِ:

عثَرتْ بريحكمُ الصَّبا سحَرَاً ... فارتاحَ قلبي المُدنَفُ الحرضُ

ما لي أَرَاكِ سقيمةً بهمُ ... يا ريحُ عِنْدِي لا بكِ المَرَضُ

أَتْبَعْتُها نفَساً أشيّعُها ... فَإِذا جروحُ الْقلبِ تنْتَقضُ

قفْ صَاحِبي إنْ كُنتَ تُسعدُني ... عِنْد الْكَثِيبِ فثَمَّ لي غَرَضُ

وانشُدْ فُؤَادِي عِنْد كاظمةٍ ... في كل ركبٍ راحَ يعْتَرِضُ

أَشْكُو ومنّي أشتكي ألَمي ... عَيْني رمَتْ وفؤاديَ الْغَرَضُ

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٥/ ٤٣٩)، وغيرُه.



فَرضُوا على العُشّاق أن لا تلتقي ... أجفانُهُمْ في هجرِهِمْ فرضُوا[(١)]

كَيفَ اصْطِبَارِي بعد فرقتهم؟ ... وأشدُّه مَا عَنْهُمُ عِوَضُ[(٢)]

رياحُ الأسحارِ بريدُ الأخبارِ:

يا نسيمَ الصَّبا الولوعَ بوجدي ... حبَّذا أنتَ لو مررتَ بنجدِ

أجرِ ذكري - نَعِمتَ - وانعتْ غرامي ... بالحِمى ولتكُن يداً لكَ عندي[(٣)]

***

يا خليليَّ خلّياني وهمّي ... أنا أولاكُما بغيّي ورُشدي

لو أمنتُ الملامَ والدمع ما اختر ... تُ وقوفي على المنازلِ وحدي[(٤)]

لو سمعتَ مناجاةَ القومِ في الأسحارِ لغَشّتْ عليكَ عيشَ الدُنيا:

فالطويلُ السَّهرِ يقولُ:

ما كنتُ لولا طمعي في الخيالْ ... أنشُد نومي في طوالِ الليالْ

أسألُ عيني كيف طعم الكرى؟[(٥)] ... عُلالةً وهْوَ سؤالٌ مُحالْ

---

(١) نصه في «مثير العزم الساكن»:

فَرضُوا على الأجفان إذ ظعنوا ... لا تلتقي فاصبرْ لما فرضُوا

وهو الصحيح وزناً.

(٢) للمؤلف. انظرْ: مثير العزم الساكن (٢/ ١٠٦).

(٣) لابن الخياط الدمشقي مِنْ قصيدة طويلة. انظرْ: ديوانه ص١٠٤.

(٤) ليس هذان البيتان في قصيدة ابن الخياط، لذلك فصلتهما.

(٥) مرَّ في الفصل (٢٣).

وكيــف بالنــومِ عــلى الهجرِ لي   والنومُ مِنْ شرْطِ ليالي الوصالْ؟[١]

والمهجورُ يصيحُ:

ودّعــوا يَــوْم النَّوى واسـتقلّوا   لَيْت شـعري بعْدهَا أَيْــن حَلّوا

يَـا نسـيمَ الرّيــح بلّــغْ إِلَيْهِـم   أَنّ عقْــدي مَعَهــم مــا يُحَــلُّ

لي مــن الرّيــح الشَّــمال انتهــالٌ   فَــإِذا هبّــت سُـحَيْراً فعَــلُّ

عرّضُــوا قلبِــي لسُــقمٍ طَوِيــلٍ   باطِــنٍ يظهَــرُ مِنْــهُ الْأَقَــلُّ

لَو بَكت عَيْني عــلى قدْر وجْدي   صــار وادِيهــمْ دَمــاً لا يحــلُّ[٢]

والـمُنْكَسِرُ ينادي:

وَلمــا رَأَيْــتُ الحــبَّ قد مُــدَّ جسْرُهُ   وَنُودِيَ بالعشــاق: قومُوا بِنَا واسْروا

خرجتُ مَعَ الأحبــابِ حتى أجوزَهُ   فصادَفنــي الحرمــانُ وَانْقطعَ الجسرُ

ومالــتْ بِنَا الأمواجُ مِــنْ كلِّ جَانبٍ   ونادى مُنَادي الحبِّ: قد غرقَ الصَّبْرُ

والخائفُ يَستغيثُ:

يَا بُريــقَ الحــيِّ حرّمــتَ المناما   فانقــضى ليــلي قُعــوداً وقيامــا

أَتَــرَى ما قــد أرى يــا صاحِبي   كَيفَ والشَّــوق بروحي يترامى؟

يــا ســقى اللهُ حِماهــم مزنــةً   حلبتْ أشــطُرَها أَيــدي النُّعامى

---

(١) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٣/ ١٦٦).

(٢) للمؤلف. انظرْ: مثير العزم الساكن (٢/ ١٠٦-١٠٧).



يا نسـيمَ الرّيـحِ بلّـغْ وَأعدْ أَنَّ نَفْسِي مَعَ أنفاسِ الخزامى
آهِ لَـو عـاد زمـاني بهـمُ عِنْد جرعاءِ الحِمى عَوْداً لماما
يا ليـالينـا على الأثْلِ ارجعي أسـفاً لَوْ أَنّهُ يشـفي النَّداما
يا صحـابي بلّغُـوا إِن جُزْتم بنقا الرمل عَن الجِسْم السلاما
إِنّ قلبِـي يَـوْم طُفنـا باللوى ورحَلنـا عَنهُ بالوجـد أَقَامَا
قلقـي في حُرَقـي مـن أرقي يرتقي بل ينتقي مني العظاما
طـرَبي في كـربي مـن حَربِي تاهَ بي فيكـم ولم أشرب مُداما
لو جرت عَيْني على قدْر الأسى رَجَعَ الـمَاءُ بواديهم حَرَاما[1]

والعارفُ يُزمْزِمُ:

بِـالله يـا ريـح الصَّبَا مرّي على تِلْـكَ الرُّبَى
وبـلّغـي رِسالَتي بفَصّهـا أهـل قُبـا
واحربـاً وَهـل يـرُدْ دُ فـائتـاً واحَـربا؟

والـمُحبُّ يُنشِدُ:

يـا مالـك مهجتـي ووالي دِيني كم ينشرني الهوى وكم يطويني؟
هجرانـك مَـع محبتـي يضنيني هَـل تُدركنـي بنظـرة تحييني؟

(١) للمُؤلف. انظرْ: المدهش (٢/ ٦١٤-٦١٥).



وسكرانُ الوجدِ يُغنّي:

يَا مُنيةَ الْقلب مَا جيدي بمنعَطفٍ ... إِلَى سـواكم وَلَا حبـلي بمنقـادِ

لَـوْلَا الْمحبَّة مَا اسـتلمعْتُ بارقة ... وَلَا سَـأَلتُ حمام الدوح إسعادي

وَلَا وقفـت على الْوَادي أسـائلهُ ... بالدمع حَتَّى رثى لي سَاكنُ الْوَادي

والـمُشتاقُ يترنّمُ:

لو وقف الركب بوادي الأراكْ ... سـألتهم عنك ومَنْ لي بذاكْ؟

وكنـتُ أسـتصحبُهم نظرةً ... لأنّ عينـي تشـتهي أنْ تراكْ

يا مالكَ القلـبِ إلى كَمْ وكَمْ ... تجفو؟ فقد أقـرحَ قلبي جفاكْ

والله لا حُلّـتْ عهـودُ الوفا ... دهري ولا اخترتُ حبيباً سواكْ





الفصل الثامن والثلاثون

يا مضيِّعَ الزمانِ فيما يَنقضُ الإيمان.

يا مُعْرِضاً عن الأرباحِ مُتعرِّضاً بالخسران:

جدَّ الزمانُ وأنــتَ هازِلْ يُصْبيك جؤذُرك الـمُغازِلْ

والشرُّ يَصْعــدُ منكَ والـ ـــخيرُ العميمُ إليكَ نازِلْ

تــاللهِ لا أرضى فَعــا لك ذا لربّاتِ الــمَغازِلْ

إن كُنتَ لم تدركْ ذوي الرْ رتــبِ العليّــةِ والمَنــازِلْ

فسـلِ المنــازلَ عنهــمُ واســمعْ تُحدِّثْــك المَنازِلْ

وُعِظــوا زمانــاً بالبــوا ئــقِ والصواعقِ والزلازِلْ

فعَمُوا وصَمّوا والــمُوَلْـ لي خلفَــهُ للدهر عــازِلْ

حتــى إذا أمِنــوا الــرَّدى نزلــتْ بهــمْ منهُ نــوازِلْ

مجلسُ الذكرِ حُجّةٌ، ومحجّةٌ، وفرجةٌ.

فيا حاضراً قد خرجَ مِنْ سجنِ الهوى: تنزَّهْ فيما تَسْمعُ وترى.

اسمعْ أنينَ الـمُذنبين، وحنينَ الـمُحبِّين.

وانظرْ إلى بكاءِ الصادقين.

وتأمَّلْ حيرةَ الـمُشتاقين:

أرأيتَ ما فعلتْ بنا الأشواقُ ... لمّا استقلتْ للفراقِ نياقُ؟

يا حاديَ الأظعانِ عُجْ مُتوقّفاً ... وَانْظُرْ دمَ العُشّاقِ كيف يُراقُ

صَبَرُوا على صعْبِ التهاجُرِ والقِلى ... وتجرَّعوا مُرَّ الْفِراقِ وذاقوا

كم دخلَ إلى المجلسِ عاصٍ في باطنهِ باطيةُ خمرِ الهوى فعملتْ فيها حدَّةُ شمسِ المواعظِ، فاستحالتْ خَلَّاً، فحلَّتْ:

يكونُ أُجاجاً دونَكُمْ فَإذا انتهى ... إِلَيْكُمْ تلقّى طيبَكُمْ فيطيبُ[(١)]

لو عاينتَ قلبَ الـمَشوقِ يخفقُ عند ذكرِ الحبيبِ فلا يَقدرُ على إمساكهِ:

أَلا فَتى يَسْأَلُ قلبي: مَا لَه ... يَنْزُو إِذا بَرْقُ الحِمى بدا لَه؟

فَهَبَّ يَرْجُو خَبراً مِنَ الغضا ... يُسْنِدُهُ عَنهُ فَمَا رَوى لَهُ

أَرَادَ نجداً مَعَهُ ببابلٍ ... إِرَادَةً هَاجَتْ لَهُ بَلْبالَه

وانتسمَ الرّيحَ الصَّبَا وَمَنْ لَهُ ... بنفحةٍ مِنَ الصَّبَا طُوبَى لَهُ[(٢)]

يا معاشرَ التائبين:

سُبحان مَنْ أقامَكم وأقعدَنا.

---

(١) للعباس بن الأحنف مِنْ أبيات. انظرْ: ديوانه ص٤٥.

(٢) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٣/ ٢٢٧). وفيه: بنفحة من الصبا طواله. وقال المحققُ: أي: طويلة.

وفي مثير العزم الساكن (١/ ١٢٤) كما هنا.

وقرَّبَكم وأبعدَنا.

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[1].

قفوا لأجلِ زمِن.

ارحموا مَنْ قد عطَب:

رُدُّوا المطيَّ وَإِلَّا ردَّهَا نَفَسِي ... وأدمعي فهُما سَيْلٌ ونيرانُ

يا سائقَ الظُّعنِ قلبي في رحالِهِمُ ... أَمَانَةٌ رعْيُها وَالحِفْظُ إِيمانُ

تحمَّلوا وفؤادي قبلَ سيرهمُ ... حيرانُ والدمعُ في الأجفان حَيرانُ

ورُحْتُ والجسمُ كالرَّبْعِ الذي نزلوا ... لا روحَ فيه ولا للرَّبْعِ سُكانُ

مَا أحسنَ هَؤُلَاءِ التُّوّاب؟!

مَا أذلَّ وقوفَهم على الْبَاب؟!

اعتبروا ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2]:

بِمَا بَيْننَا مِنْ حُرْمَةٍ: هَلْ رَأَيْتُمَا ... أرقَّ مِنَ الشكوى، وأقسى مِنَ الهجرِ؟[3]

يُخَيَّلُ لي أنَّ الحيطانَ تبكي معنا.

---

(١) مِنْ سورة إبراهيم، الآية ١١.

(٢) مِنْ سورة البقرة، الآية ١٧٩.

(٣) لعلي بن الجهم مِنْ قصيدته: عيون المها بين الرصافة والجسر. انظرْ: ديوانه ص١٤٥ وهي ضمن التكملة التي صنعها المحققُ.

وأنَّ النسيمَ قد رقَّ لحُزننا:

ولَا وَمَنْ فطَرَ الْأَشْـيَاءَ مَـا وَجَدَتْ كوجْدنا العيـسُ بل رقّـتْ لبَلوانا

أتدرون ما أقامَ التائبَ.

وأي شيءٍ استحضرَ الغائبَ؟

سرى نسيمُ الصَّبا مِنْ حاجرٍ فصَبا[١]

شوقُهُ يقلقُهُ.

خوفُهُ يحرقُهُ:

ما يبرح البارقُ النجـديُّ يُزعجُهُ[٢]

***

طـارتْ شراراتُهُ مِنْ جـوٍّ كاظمةٍ[٣]

***

يـودُّ لـو أنَّ أيـامَ الحِمـى رجعَتْ

(١) تتمته في «المدهش» (٢/ ٧٣١): فباتَ يشكو إلى أنفاسِ الوصبا.

(٢) في «المدهش» (٢/ ٧٣١): ما يبرح البارقُ النجـديُّ يذكره. وتتمته: نجداً ويلهبه وجداً إذا التهبا.

وهو بيتٌ ثان للبيت السابق.

(٣) لمهيار مِنْ قصيدته: لو كنتَ تبلو غداة السـفحِ أخبـاري، وعجزه: تحتَ الدُّجى بلباناتي وأوطاري. وهو البيت الخامس. انظرْ: ديوانه (٢/ ٥٠).

يصيح عزمُهُ[١]:

حلفتُ بدينِ الحُبِّ لا خنتُ عهدَكُمْ[٢]

يُنادي رفقاءَهُ في اللهو:

قُـلْ للزمـانِ: صُلحا قد عادَ ليـلي صُبحا[٣]

فإذا قال له رفيقهُ: في أيِّ مجمعٍ كنتَ؟

قال:

ضمَّنـا يَوْمَ تنـادَوا للنوى موقـفٌ يعرفُهُ مَنْ عشِـقا

مُلتقـى حُـمَّ وخفْنـا أنهُ آخرُ العهـدِ لطيبِ المُلتقى

فتشـاكينا الذي حَـلَّ بنا وبردْنـا بالدمـوعِ الحُرَقا

علِّلـونا بلقـاءٍ نـافعٍ إنّنـا للبُعْدِ كالـشيءِ الَّلقا

وخـذوا أرواحَنا خـالصةً أو ذروا في كلِّ جسمٍ رمَقا

وارحموا مَـنْ تنقضي أيامُهُ غمـراتٍ والليـالي أرَقـا

وإنْ قال له: فما الذي أصابَكَ في المجلس؟

---

(١) كأنها كذلك.

(٢) تتمتـه في كتاب «اللطف» للمؤلـف، الفصل (٤١)، ص٦٤: وتِلكَ يَمـيْن لَو عَرَفْت غَمُوسُ.

(٣) لمهيار الديلمي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٢/ ٢٠٩).

قال:

خُذي حديثكِ في نَفْسِي من النَّفَسِ[(١)]

وإنْ قال له: ارفقْ بنفسِكَ.

قال:

قلبــي كلفٌ وأنــتَ خالي	كم بين مُسَــهَّدٍ وســالي؟
حسبي حُرَقي وفيضُ دمعي	فالعــاذلُ مــا لــه وما لي؟
حتّــامَ يلــومُ في هــواهُ	مــا يقنــعُ لي بســوءِ حالي
قــد صــارَ لِطَيْفــهِ مَنوعاً	مَــنْ كان يجــودُ بالوصالِ
الطرفُ على الحبيــبِ باكٍ	والجســمُ كما ترون بالي[(٢)]
والهجــرُ مُلازمــي فــماذا	يُغنــي عنّي ومــا احتيالي؟
الصــبرُ عن الحبيــبِ صبرٌ	والوصــلُ إذا طلبتُ غالي
أقســمتُ بحبهِ وشــوقي	لا أنســاهُ مــدى الليــالي

❁ ❁ ❁

---

(١) للشريف الرضي، ونصُّه:

خذي حديثك مِنْ نفسي عن النفسِ   وجدُ الـمَشوق الـمُعنَّى غير ملتبسِ

انظرْ: ديوانه (١/ ٥٥٧).

(٢) ورد هــذا البيتُ ضمِنْ قصيدة في «ديوان الدوبيت في الشــعر العــربي في عشرة قرون» ص١٦٥-١٦٦.

الفصل التاسع والثلاثون

سببُ صلاحِ الدِّينِ رقةُ القلبِ، والقساوةُ مصيبةٌ قويةٌ.

قال مالكُ بن دينار: ما ضُرِبَ عبدٌ بعقُوبةٍ أعظمَ مِنْ قسوةِ القلبِ:

قد أصبحتْ قلُوبُنا قاسيةً ... يأبى لها الشقاءُ أنْ تلينا

تغرُّنا الدُنيا كأنّا لا نرى ... وجهَ الغرورِ ظاهراً مُبينا

كمْ قدْ ظنَّنا أنها تبقى لنا ... وغدرُها يُكذِّبُ الظُّنونا

وتوبةُ الشبابِ مُسْتَحْسنةٌ ... فكيف مَنْ قد جاوزَ الستّينا؟

لما رقَّتْ قلوبُ الصالحين رقّتْ الدموعُ إلى العيون، فهي تجري أسَفاً على تبذيرِ النُذورِ.

يا هذا:

لو عرفتَ ما فاتكَ صارتْ عينُك عَيناً بالبكاءِ:

أنامُ على سهوٍ و تبكي الحمائمُ ... وليس لها جُرْمٌ ومني الجَرائمُ؟

كذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاقلاً ... لما سبقتني بالبكاءِ الحمائمُ[1]

أَسَفاً لـمَهجورٍ ما يُؤلِـمُهُ الهجرُ.

---

(١) للمجنون. انظرْ: الأغاني (٢/ ٦٩-٧٠)، والثاني من أربعة أبيات في «الحماسة البصرية» (٣/ ١١١٥) وقال: «قال قيس بن الملوح، وتُروى لنصيب».

ولـمَطرودٍ ما يُحسُّ بالطردِ:

مـا للبَـيْنِ سـادتي يُغـرَى بي	قـد قطَّعَ مِـنْ وصالِكم أسـبابي
الهجـرُ أمرُّ مِـنْ جميـعِ الصَّابِ	المـوتُ ولا قطيعـةُ الأحبـابِ

يا مَنْ قد قسا قلبُهُ:

اخرجْ إلى مجامعِ التائبين.

واسمعْ صوتَ نياحتِهم على الذنوبِ في مأتمِ الأحزانِ يتناوبونَ البكاء.

قال حزمٌ[١]:

قال لنا أشعث الحداني[٢]: انطلقوا بنا نزور حبيباً العجمي[٣]. فانطلقنا، فجلسَ هو وحبيبٌ يبكيان إلى أنْ جاءَ الظهر، ثم بكيا إلى العصر، ثم بكيا إلى الـمغرب، ثم ودَّعه وانصرفَ.

بكى يزيد الرقاشي حتى أحرقتِ الدموعُ مجاريها.

وبكى عطاء السَّليمي حتى عمشَ.

---

(١) حزم بـن أبي حزم القطعي، واسـم أبي حزم مهران، من عُبّاد أهل البصرة، مات سـنة ١٥٧هـ. مشاهير علماء الأمصار ص ١٥٦.

(٢) من الطبقة الرابعة من المصطفين من عُبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٣٥).

(٣) من الطبقة الرابعة من المصطفين من عُبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣١٦).

قالتْ أمُّ ضيغمٍ[١] له يوماً: يا ضيغمُ كيف فرحُك بالقدومِ على اللهِ تعالى؟ فصاحَ وغُشِيَ عليه، فجلستْ تبكي عند رأسِهِ.

وقالتْ له يوماً: يا ضيغمُ تحبُّ الموتَ؟

قال: نعم رجاءَ خيرِ ما عند الله.

فقالتْ له يوماً آخر: تحبُّ الموت؟

قال: لا، لكثرةِ تفريطي وغفلتي. فبكتْ واجتمعَ أهلُ الدارِ يبكون.

يا كثيرَ الذنوب، قليلَ البكاء:

ابكِ على عدمِ بكائِك.

كانوا يبكون مع التقوى، وأنتَ تضحكُ مع الذنوب.

[.......][٢]

قال أبو بكر الزقاق[٣]: جنَّ عليَّ الليلُ في بعض البوادي، وكنتُ محموماً، فرميتُ نفسي في قبةٍ هناك، وجعلتُ أئنُّ، ثم لمتُ نفسي، وقلتُ:

(١) ضيغم من الطبقة الخامسة من المصطفين من عُبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٥٧).
(٢) كلمتان لم أستطع قراءتهما بسبب التصوير أو قص طرف الصفحة.
(٣) ترجم له ابن الجوزي في المصطفين من عُبّاد أهل بغداد. صفة الصفوة (٢/ ٤١٥). وهو من أهل القرن الثالث. وانظرْ: حلية الأولياء (١٠/ ٣٤٤)، وتاريخ بغداد (٥/ ٤٤٢).

تئنين؟! فـإذا بهاتفٍ مِنْ بعـضِ زوايا القبة: يـا أبا بكر: أنينُ الـمُحبين شوقٌ كلُّه[١]:

لكَ منّـي عـلى البعـادِ نصيبُ	لم ينلْـهُ عـلى الدنـوِّ حبيـبُ
وعلى الطرفِ مِنْ سـواكَ حجابٌ	وعلى القلبِ مِنْ سـواكَ رقيبُ[٢]

كانت قلوبُ القوم تزجرُ النفوسَ إذا أنَّت ألماً ما يشـبه الشكوى فيكون كرقدة في حضرة المبتلي[٣].

قال الشبلي: نعسةٌ في ألفِ سنةٍ فضيحةٌ.

ساروا ورجعنا.

ورحلوا وانقطعنا.

هذه طريقُهم فأين السالكُ[٤]؟

---

(١) الخـبر في كتـاب «الأربعين في شـيوخ الصوفيـة» للماليني (ت: ٤١٢هــ) ص٢٠٨، برقم (٣٥).

(٢) لإبراهيم بن أحمد ابن المولَّـد الرقي الواعظ (ت: ٣٤٢هـ) ومعهما آخران. انظرْ: البداية والنهاية (١١/ ٤١٧) وحاشية المحقق.

(٣) كأن الكلام هكذا، وفيه وقفة.

(٤) هذه الأسـطر الأربعة الأخيرة كتبها المؤلفُ في الورقة (٦٩)، ثم ضربَ عليها، وكتبها في حاشية الورقة السابقة (٦٨).

هذه [صفاتُهم][١] فأين الطالبُ؟

هذي المنــازلُ والعقيـ ــقُ فأينَ ليلى والخِيامُ؟
لم يبقَ مذ صاحوا النَّوى لِمُتيّـمٍ فيهــا مقــامُ[٢]

❁ ❁ ❁

(١) ذهبت الكلمةُ في التصوير أو في القصِّ، إذ كُتِبتْ هذه الجمل في الحاشية، واستدركتُها من الموضع المضروب عليه، و«موافق المرافق» ص٨٦، و«الـمدهش» (٢/ ٦٢٠).

(٢) لابن المعلِّم الهُرثي الواسـطي مِنْ قصيدته: ما ناح في البان الحمامُ. والبيتان المختاران هما (١٠، ١١). انظرْ: ديوانه (نسـخة مكة ص٣٤٠). وقد مـرَّتْ أبياتٌ منها في الفصلين (٢٩) و(٣٥).
وذُكِرَ البيت الأول في كتاب «صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز» المسـمى «تاريخ المستبصر» ص٣٢، ومعه بيت قبله، هو:
قل يا رفيقَ المستها م متى يفيق المستهام؟
ونُسِبا إلى الأمير أبي الحسن بن المعلِّم!

الفصل الأربعون

كان عُتبة الغُلام[1] يأكلُ خُبزاً ومِلحاً، ويقول: العرسُ في الدارِ الأخرى.

وكان يقــولُ في مناجاتِهِ: إنْ تُعذِّبني فإني لكَ محـبٌّ، وإنْ ترحَمْني فإني لكَ محبٌّ.

وقيــلَ لعبدالواحد بن زيد: إنّا لا نفهمُ كلامَكَ مِنْ بكاء عُتبة. فقال: إنَّ عُتبة يبكي على نفسهِ، أفأنهاه؟ لبئس الواعظُ أنا:

الهجــرُ عــليّ منــكَ دائمْ	والقلــبُ إلى لقــاكَ هائمْ
اللُــوّمُ فيــكَ يَنصحــوني	والنُّصــحُ خيانــةُ اللوائمْ
كم صحَّ على السُلُوّ عزمي	والحُــبُّ يُحلّــلُ العزائمْ[2]
المُقعِــدُ والمُقيــمُ عنــدي	ما دمتَ على الصدودِ قائمْ
هــل تُنْقَــعُ غُلّــةٌ لظــامٍ	في اللّجة مِنْ جفاك حائمْ؟
مــا لي أجــدُ الحِــمامَ أنّى	باحــتْ بأراكِهــا الحمائمْ

قال عنبسةُ الخوّاص[3]: باتَ عندي عُتبة فبكى بالليلِ بكاءً شديداً، فلما أصبحَ قلتُ له: قرَّعتَ قلبي الليلةَ ببكائِك.

(١) عتبــة بن أبان بن صمعة، من أهل الطبقة السادســة من عُبّاد أهل البصرة. صفة الصفوة (٣/ ٣٧٠).

(٢) وردَ هذا العجز في قصيدة: الدمعُ يخون كل كاتم، في الفصل (٢٦).

(٣) يَــروي حديثاً ورقائق، ولا تُعْرفُ له ترجمة. انظرْ: الثقــات (٧/ ٥٣١)، ومجمع الزوائد (١٠/ ٦٣).

فقال: يا أخي؛ إني ذكرتُ العَرْضَ على الله.

ثــم جعلَ يخورُ ويُحشرجُ حشرجةَ الموت، ويقــولُ: تُراكَ تُعذِّبُ مُحبّيك وأنتَ الكريمُ؟!

مَنْ لقلــبٍ هائمٍ دنفٍ كلَّــما ســكّنتُهُ قلِقــا؟
كانَ لي قلــبٌ أعيشُ به فاصطلى بالنار فاحترقا
أنــا لم أُرزقْ مودَّتهــم إنــما للعبدِ مــا رُزِقا[1]

قال مالكُ بن دينار: وددتُ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أذنَ لي يومَ القيامة أنْ أسجدَ سجدةً فأعلمَ أنه قد رضيَ عنّي، ثم يقول لي: كُنْ تُراباً:

وإني ليُرضينــي قليــلُ نوالِكُــم وإن كنــتُ لا أرضى لكــم بقليلِ
بحُرمــةِ ما قــد كانَ بيني وبينكم مِــنَ الــوُدّ إلا عُدتــمُ بجميلِ[2]

قــال سَريٌّ: رأيتُ طائراً في بعضِ البلادِ يصيحُ طــولَ الليل: أخطأتُ لا أعودُ. فسألتُ أهلَ البلد فقالوا: هذا يُسمَّى فاقدَ إلفهِ:

يــا طائــرَ البــانِ غرِّيــداً عــلى فننٍ مــا هاجَ نوحُــكَ لي يا طائــرَ البانِ؟
هل أنتَ مُبْلــغُ مَنْ هامَ الفــؤادُ بهِ؟ إنَّ الطليــقَ يــؤدِّي حاجــةَ العــاني

---

(١) مرَّ الشعر في الفصل (٢٣).
(٢) نُسبا في «الأغاني» (٨/ ٣٦٥) إلى العباس بن الأحنف.
وفي «الزهرة» (١/ ١٥٥) إلى ذي الرمة. و ليسا في «الديوان» كما قال المحقق.
وفي «المنتخل» (١/ ٤١٦) إلى ابن الرومي. ولم يجدهما المحققُ في شعره.

ضمانــةً مــا جناهــا غــير مُقلتــهِ يــومَ الــوداعِ وواشــوقي إلى الجاني

لــولا تذكُّــرُ أيامــي بــذي سـلَمٍ وعنــدَ رامــةَ أوطــاري وأوطــاني

لَمـا قدَحتُ بنـارِ الوجـدِ في كبِدي ولا بللــتُ بــماءِ الدمــعِ أجفاني[1]

يجري على القوم العظائمُ، إذا سمعوا نوحَ الحمائمِ:

أيا حمامــةَ بطــنِ الواديــين قِفي على الأراكةِ بين الظلِّ والشَّــجرِ

قِفي أطارِحْكِ أنفاسَ الصَّبا سحَراً فإنَّ أحبابَنا ســاروا معَ السَّــحَرِ

تجتمعُ الأحــزانُ في قلوب القوم فتورثُ الكمَدَ، فيرتاحون في الليل إلى نوحِ الحمَام، ومهابِّ الرياح:

يا مَــنْ في بحرِ هجــرهِ ألقاني ارحمْ دمعي عليكَ هذا القاني

ألجــأني إليــكَ أنّي الجــاني المــوتُ ولا تحكّــمُ الهجــرانِ

***

ما غــرَّدَ طائــرٌ عــلى الأغصانِ إلا أشــجاني بذكــرهِ أشــجاني

يــا شــدةَ حــسرتي ويــا أحزاني هل يَرْجِعُ ذاهــبُ الزمانِ الفاني؟

***

كــم أكتــمُ حبَّكُمْ عــن الأغيارِ والدمعُ يُذِيعُ في الهوى أسراري؟

هبنــي غالطــتُ رؤيــةَ الأبصارِ هل يخفى في الحشــا لهيبُ النارِ؟

---

(١) للشريف الرضي مِنْ قصيدة. انظرْ: ديوانه (٢/ ٤٧٥). وقد اختارها المؤلفُ في ترجمته في «المنتظم» (١٥/ ١١٧).

***

واشــوقي إلى الحِمى واشوقي | تحتي نــارٌ وحرُّها مِــنْ فوقي
محــرومٌ مُعَــذَّبٌ بالتــوقِ | واضعفــي وكلُّ ذا في طوقي؟

***

أين الصبــحُ هل أرى مِــنْ فجرِ | أين الصلح كم نُــرى في الهجرِ؟
يا مَــنْ يبري ســهامَه كم تَبري؟ | ســهمٌ يكفــي لنحْرِ هــذا النَّحرِ

***

مَــنْ يُرجِعُ دهرَنا بــأرضِ الجِزعِ | بين الأَثَــلاتِ والرُّبى في سَــلْعِ؟
قالوا: صبرٌ وليس ذا في وُسْــعي | يا حُزنُ أقِــمْ، وأنتَ سرْ يا دمعي

***

كمْ كمْ أشكو وأينَ نفعُ الشكوى؟ | قــد قلَّ تصــبّري وجَــلَّ البلوى
ما لي جَلــدٌ على جفاكُــمْ يَقوى | أهــوى قلَقي إذا جفــا مَنْ أهوى

***

إنْ كان بكائــي في هواكمْ يُجْدي | أقرحــتُ بــما يَفيضُ منــهُ خدّي
أو كنتــم ترضــونَ بالجفا والصدِّ | ســلّمتُ لأمركــمْ وهــذا حدِّي

***

آخرُ الكتاب، والحمدُ لله.

فرَغَ من هذه النســخة ناظمُهُ عبدُالرحمن بنُ عــلي بنِ محمد بنِ الجَوزي في يوم الخميس تاســع عشر ذي الحجة مِنْ سنةِ إحدى وثمانين وخمس مئة، بالمدرســةِ الشــاطئيةِ ببابِ الأزَج، حامداً لله ومُصلِّياً على رسوله محمد وآله أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



ملحق حول « الذبيح »

قال ابنُ كثير في «البداية والنهاية»:

«مَنْ حكي القول عنه بأنه إسحاق:

كعب الأحبــار، ورُوي عن عمــر، والعباس، وعلي، وابن مســعود، ومسروق، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، والشعبي، ومقاتل، وعبيد بن عمر، وأبي ميسرة، وزيد بن أسلم، وعبدالله بن شقيق، والزهري، والقاسم، وابن أبي بردة، ومكحول، وعثمان بن حاضر، والسدي، والحسن، وقتادة، وأبي الهذيل، وابن سابط، وهو اختيارُ ابن جرير، وهذا عجبٌ منه! وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس، ولكن الصحيح عنه وعن أكثر هؤلاء أنه إسماعيل عليه السلام.

قال مجاهد، وســعيد، والشعبي، ويوســف بن مهران، وعطاء، وغير واحد عن ابن عباس: هو إسماعيل عليه السلام.

وقــال ابنُ جرير: حدَّثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عــن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: المفدى إســماعيل، وزعمت اليهودُ أنه إسحاق، وكذبت اليهود.

وقال عبدُالله ابن الإمام أحمد عن أبيه: هو إسماعيل.

وقال ابنُ أبي حاتم: سألتُ أبي عن الذبيح؟ فقال: الصحيح أنه إسماعيل عليه السلام.

قال ابنُ أبي حاتم: ورُوي عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، وأبي الطفيل، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، والشعبي، ومحمد بن كعب، وأبي جعفر محمد بن علي، وأبي صالح أنهم قالوا: الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

وحكاه البغوي أيضاً عن الربيع بن أنس، والكلبي، وأبي عمرو بن العلاء.

قلتُ:

ورُوي عن معاوية وجاء عنه أنَّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا ابنَ الذبيحين فضحك. رسول الله ﷺ[1].

وإليه ذهب عمر بن عبدالعزيز، ومحمد بن إسحاق بن يسار، وكان الحسن البصري يقول: لا شك في هذا.

وقال محمدُ بن إسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبدالعزيز وهو خليفة إذ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٤)، وقال الذهبي: إسناده واه.



كان معه بالشام -يعني استدلاله بقوله بعد العصمة: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[1]- فقال له عمرُ: إنَّ هذا الشيء ما كنتُ أنظر فيه، وإني لأراه كما قلتَ.

ثم أرسلَ إلى رجلٍ كان عنده بالشام - كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علمائهم- قال: فسأله عمر بن عبدالعزيز: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل - والله - يا أمير المؤمنين، وإن اليهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان مِنْ أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم.

وقد ذكرنا هذه المسألة مستقصاةً بأدلتها وآثارها في في كتابنا (التفسير) ولله الحمد والمنة»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) من سورة هود، الآية ٧١.

(٢) البداية والنهاية (١/ ٢٣٦-٢٣٧).



قائمة المصادر

- مؤلفات ابن الجوزي:

- أعمار الأعيان، تحقيق: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١ (١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

- التبصرة، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١ (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م).

- ذم الهوى، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط١ (١٩٦٢م).

- زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

- صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، دار الوعي، حلب، ط١ (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

- اللطف في الوعظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م).

- اللطائف (وهو كتاب «اللطف» عينه)، تحقيق: أحمد عبدالقادر عطا، دار الطباعة المحمدية، القاهرة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

- لقط الجمان في كان وكان، مخطوط في مجموعة الفاتح في المكتبة السليمانية، برقم (٤٠٦١).



- مُثير العَزْم الساكن إلى أشرف الأماكن، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، الرياض، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

- مُختصر المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: أحمد جمعة عبدالحميد، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١ (٢٠١١م).

- المُدهش، تحقيق: عبدالكريم تتّان وخلدون مخلوطة، دار القلم، دمشق، ط٢ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).

- المُطرِب للمُذنب، مخطوط في مكتبة المسجد الأقصى ببيت المقدس، برقم (٤٢٦).

- المقامات، نسخة خطية في مكتبة إنابي في بورصة برقم (١٥٨٩).

وهو مطبوع، ولكن هذه النسخة التي كانت تحت يدي.

- مناقب عمر بن عبدالعزيز، ضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م). طُبع باسم: سيرة ومناقب عمر...

- مناقب معروف الكرخي، تحقيق: عبدالله الجبوري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م).

- المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

- المَنثور، تحقيق: هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٩٩٤م).

- المَواعظ والمجالس، تحقيق: مجدي محمد الشهاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

- الياقوتة، تحقيق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

- **المصادر الأخرى:**

- إخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور محمد بن عمر الأيوبي (ت: ٦١٧هـ)، تحقيق: ناظم رشيد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ (٢٠٠١م).

- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم مِنْ كتاب الأوراق للصولي (ت: ٣٣٥هـ)، تحقيق: ج. هيروث. دن، دار المسيرة، بيروت، ط٢ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

- الأعلام للزركلي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، (٢٠٠٢م).

- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (ت بعد ٣٥٦هـ)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢.

- الإكمال لابن ماكولا (ت: ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١١هـ).

- أمالي الزجّاجي (ت: ٣٤٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

- الأمالي لأبي علي القالي (ت: ٣٥٦هـ)، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

- الابتهال بما في شعر أبي العتاهية من الحِكَم والأمثال لابن عبدالبر (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي إبراهيم كردي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط١ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

- البداية والنهاية لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين، طبعة وزارة الأوقاف القطرية (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).

- بُغية الطلب في تاريخ حلب لابن العَديم (ت: ٦٦٠هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دمشق (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

- تاريخ الإسلام للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

وتحقيق: بشّار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، فإنْ أردتُها بيّنتُ.

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣)، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م فما بعد).

- التاريخ لابن الفرات (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسن محمد الشماع، ساعدت جامعة البصرة على طبعه.



- التاريخ المظفـري لإبراهيم بن عبدالله الهمداني الحموي المعروف بابن أبي الدم (ت: ٦٤٢هـ)، نسخة خدابخش في الهند.

- التذكـرة الحمدونية لابن حمدون (ت: ٥٦٢هـ)، تحقيق: إحسـان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١ (١٩٩٦م).

- تزيين الأسـواق للأنطاكي (ت: ١٠٠٨هـ)، تحقيق: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

- تفسير القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

- تفسـير النيسـابوري (ت بعد ٨٥٠هـ) «غرائب القرآن»، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

- التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ت: ٤٢٩هـ) تحقيق وشرح وفهرسة: قصي الحسين [كذا كُتِبَ]، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١ (٢٠٠٣).

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الثقات لابن حبان (ت: ٣٥٤)، دار الفكر (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

- حلية الأولياء لأبي نُعيم الأصبهـاني (ت: ٤٣٠هـ)، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٥هـ).



- الحماسة البصرية لعلي بن أبي الفرج البصري (ت: ٦٥٦هـ)، تحقيق: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

- الخبر الدال للسيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضمن الحاوي للفتاوي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت (١٤١١هـ-١٩٩٠م).

- خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (ت: ٥٩٧هـ):

قسم شعراء العراق، تحقيق: محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، مابين (١٩٥٥-١٩٧٨م).

قسم شعراء بلاد الشام، تحقيق: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط١ ما بين (١٩٥٥-١٩٦٨م).

قسم شعراء مصر، تحقيق: أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة.

- خزانة الأدب للحموي (ت: ٨٣٧)،تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١ (١٩٨٧م).

- الدُّر المنثور في طبقات ربّات الخُدور لزينب بنت علي العاملي (ت:١٣٣٢هـ)، المطبعة الأميرية، مصر، ط١ (١٣١٢هـ).

- الدُّر المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد للعُليمي (ت:٩٢٨هـ)، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، مطبعة المدني، القاهرة، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

- ديوان ابن حيوس (ت:٤٧٣هـ)، تحقيق: خليل مردم، دار صادر، بيروت (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

- ديوان ابن الخياط (ت:٥١٧هـ)، تحقيق: خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، المطبعة الهاشمية (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م).

- ديوان ابن الدّمينة (ت: نحو ١٣٠هـ)، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق: أحمد راتب النَّفّاخ، مطبعة المدني، مصر (١٣٧٩هـ).

- ديوان ابن الرُّومي (ت:٢٨٣هـ)، تحقيق: حسين نصّار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٣ (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

- ديوان ابن سنان الخفاجي (ت:٤٦٦هـ)، تحقيق: مختار الأحمدي نويوات ونسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

- ديوان ابن المُعتز (ت:٢٩٦هـ)، دار صادر، بيروت.

- ديوان ابن المُعلِّم الواسطي (ت:٥٩٢هـ).

نسخة مكتبة مكة بمكة برقم (أدب٣٣).

ونسخة معهد الدراسات الإسلامية ببغداد برقم (٢٩٢).

ونسخة الظاهرية بدمشق برقم (٦٧١١).

- ديوان أبي بكر الشِّبلي (ت:٣٣٤هـ)، جمعه وحقَّقه وعلَّق حواشيه وقدَّم له: كامل مصطفى الشيبي، مطابع دار التضامن، بغداد (١٣٨٦هـ-١٩٦٧م).



- ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي (ت:٤١٦هـ)، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

- ديوان أبي فراس الحمداني (ت:٣٥٧هـ)، رواية ابن خالويه، دار صادر، بيروت.

- ديوان أبي نُواس (ت:١٩٨هـ)، تحقيق: أحمد عبدالمجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

- ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبدالله بن محمد المُعتز بالله (ت: ٢٩٦هـ)، تحقيق: محمد بديع شريف، دار المعارف، القاهرة. فإن أردتها بينتُ.

- ديوان الأمير وجيه الدولة الحَمْداني (ت: ٤٢٨)، دراسة وتحقيق: محسن غياض، دون مكان ودون ناشر (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).

- ديوان جرير (ت: ١١٠هـ)، ضمن شرح الصاوي، مطبعة الصاوي، القاهرة (١٣٥٣هـ).

- ديوان الحلّاج (ت: ٣٠٩هـ)، صنعه وأصلحه: كامل مصطفى الشيبي، مطبعة المعارف، بغداد (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

- ديوان الحماسة لأبي تمّام (ت: ٢٣١هـ)، علَّق عليه وراجعه: محمد عبدالمنعم خفاجي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).

- ديوان الدُّوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون، صنعه وقدَّم له: كامل مصطفى الشيبي، دار الثقافة، بيروت، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).

- ديوان الشريف الرَّضي (ت: ٤٠٦هـ)، دار صادر، بيروت.

- ديوان الشريف المُرتضى (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: رشيد الصفار، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (١٩٥٨م).

- ديوان صرَّدر (ت: ٤٦٥هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢ (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

- ديوان الصُّوري (ت: ٤١٩هـ)، تحقيق: مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، دار الحرية للطباعة، بغداد (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م).

- ديوان الطغرائي (ت: ٥١٥هـ)، تحقيق: علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

- ديوان العباس بن الأحنف (ت: ١٩٢هـ)، دار صادر، بيروت (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

- ديوان علي بن أفلح العبسي البغدادي (ت: ٥٣٦هـ)، عُني بجمعه وتحقيقه: إبراهيم صالح، (مع كتابه «البديع»)، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

- ديوان علي بن الجهم (ت: ٢٤٩هـ)، تحقيق: خليل مردم بك، دار الآفاق الجديدة، بيروت، دون تاريخ.

- ديوان علي بن عبدالرحمن البلنوبي الصقلي (من شعراء القرن الخامس الهجري)، تحقيق: هلال ناجي، دار الرسالة، بغداد (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).

- ديوان عُلية بنت المهدي (ت: ٢١٠هـ) جمعه وحققه: سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت، ط١ (١٩٩٧م).

- ديوان الغَزي: أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الكلبي الأشبهي (ت: ٥٢٣هـ)، تحقيق ودراسة: عبدالرزاق حسين، إصدار مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١ (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).

- ديوان القاضي عبدالوهّاب البغدادي المالكي (ت: ٤٢٢هـ)، جمع: عبدالحكيم الأنيس، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

- ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، دار الجيل، بيروت.

- ديوان المُتنبي. انظر: العرف الطيب.

- ديوان مهيار الديلمي (ت: ٤٢٨هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١ (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م).

- ديوان الوأواء الدمشقي (ت نحو ٣٨٥هـ)، تحقيق: سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، دار صادر، بيروت، ط٢ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (ت:٧٩٥هـ)، تحقيق: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م). فإنْ أردتُ طبعة حامد الفقي بيّنتُ.

- الرسالة القُشيرية لأبي القاسم القشيري (ت:٤٦٥هـ)، تحقيق: عبدالحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطبعة حسان، القاهرة.

- رياض الصالحين للنووي (ت:٦٧٦هـ)، دار الجيل، بيروت.

- زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم الحصري القيرواني (ت:٤٥٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٣ (١٣٧٢هـ-١٩٥٣م).

- الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني (ت:٢٩٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط٢ (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م).

- سَقط الزند وضوءه لأبي العلاء المعري (ت:٤٤٩هـ)، تحقيق: السعيد السيد عبادة، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط١ (٢٠٠٣م).

- السُّنن الكبرى للنسائي (ت:٣٠٣هـ)، تحقيق: عبدالغفار البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١١هـ-١٩٩١م).

- السنن لأبي داود (ت: ٢٧٥هـ)، دار الفكر، بيروت.

- السُّنن لابن ماجه (ت:٢٧٣هـ)، طبعة: محمد فؤاد عبدالباقي، تصوير دار الفكر، بيروت.

- سير أعلام النبلاء للذهبي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين، مؤسسة الرسالة، بيروت.



- شرح ديـوان أبي الطيـب المُتنبـي «معجز أحمـد» لأبي العـلاء المعري (ت:٤٤٩هـ)، تحقيق: عبدالمجيد دياب، دار المعـارف، القاهرة. تاريخ مقدمة المحقق (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

- شعر الخلفاء في العصرين الراشـدي والأموي لنبال تيسير خماش، وزارة الأوقاف، عمّان (١٩٨٤م)

- شـعر السَّراج البغدادي (ت:٥٠٠هـ)، جمع ودراسـة: عادل العزاوي، مطبعة العاني، بغداد، ط١ (١٩٩٠م).

- الشـمائل للترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١ (١٤١٢هـ).

- صحيح ابـن حبان بترتيب ابـن بلبان (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شـعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤١٤هـ-١٩٩٣م).

- صحيح البخـاري (ت:٢٥٦هـ)، طبعة: مصطفى البغـا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣ (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).

- صحيح مسـلم (ت:٢٦١هـ)، طبعة: محمد فـؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- صفـة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المُسـماة: تاريخ المُسـتبصر لابن المُجاور: يوسـف بن يعقوب الشيباني الدمشـقي (كان حياً سنة ٦٢٤هـ، يُنظر

ص ١٥ منه)، اعتنى بتصحيحه وضبطه: أوسكر لوفغرين، طُبع في ليدن، بمطبعة بريل سنة (١٩٥١م).

– صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي (ت: ٣٦٩هـ)، مطبعة بريل، ليدن (١٨٩٧م).

– طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت: ٧٧١هـ)، تحقيق: الطناحي والحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

– طبقات الصوفية للسُّلمي (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

– الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.

– الطُّيوريات من انتخاب أبي طاهر السِّلفي (ت: ٥٧٦هـ) مِنْ أصول كتب الشيخ أبي الحسين الطيوري (ت: ٥٠٠هـ)، تحقيق: مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر، دار البشائر، دمشق، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

– العَرْف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب لليازجي. دون أي بيانات.

– عشرة شعراء مُقلون لحاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

– عيار الشعر لابن طباطبا (ت: ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبدالعزيز المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.



- فهرس الفهارس والأثبات للكتاني (ت: ١٣٨٢هـ)، بعناية: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢ (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

- فيض القدير بشرح الجامع الصغير للمُناوي (ت: ١٠٣١هـ)، تصوير دار الفكر، بيروت.

- الكامل للمُبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

- كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية لأبي سعد الماليني (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات لأيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

- الكشف والبيان [في تفسير القرآن] للثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

- الكشكول للعاملي (ت: ١٠٣١هـ)، تحقيق: محمد عبدالكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).

- اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري (ت: ٤٨٧هـ)، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

- مجاز القرآن لأبي عُبيدة (ت: ٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

- مجمـع الآداب في معجم الألقاب لابن الفُوطـي (ت: ٧٢٣هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسـة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشـاد، إيران، ط١ (١٤١٦هـ).

- مجمع الزوائد للهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت (١٤١٢هـ).

- مجموع فتاوى شـيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسـم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

- المُحمَّدون من الشـعراء للقفطي (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد عبدالستار خان، دائرة المعارف العثمانية، الهند (١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م).

- مُختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا لرمضان ششن، وقف الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول (١٩٩٧م).

- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين، الرسالة العالمية، دمشق، ط١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

- مسامرة النُّدمان ومؤانسة الإخوان لعمر بن محمد الرازي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: وليد مشـوح، مركـز زايد للتراث والتاريخ، العـين، ط١ (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م).



- المستدرك للحاكم (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (١٤١١هـ-١٩٩٠م).

- المُستطرف في كل فنٍّ مُستظرف للأبشيهي (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ (١٩٨٦م).

- المُستفاد مِنْ ذيل تاريخ بغداد للدمياطي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: محمد مولود خلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- مسند أبي يعلى الموصلي (ت: ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١ (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م).

- مسند أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- مشاهير علماء الأمصار لابن حبّان (ت: ٣٥٤هـ)، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

- مصارع العشاق للسَّراج (ت: ٥٠٠هـ)، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاته، دار الكتب العلمية؛ بيروت، ط١ (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

- المَصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري (ت: ١٠١٤هـ)، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٥ (١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).

- المُعجب في تلخيص أخبار المَغرب لعبدالواحد المراكشي (ت: ٦٤٧هـ)، تقديم: ممدوح حقي، دار الكتاب، الدار البيضاء.

- المُعجم لابن المقرئ: أبي بكر محمد بن إبراهيم الأصبهاني الخازن المشهور بابن المقرئ (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

- مُعجم الأدباء لياقوت الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٩٩٣م).

- مُعجم الكتب لابن المِبرد (ت: ٩٠٩هـ)، تحقيق: يسري عبدالغني البشري، مكتبة ابن سينا، مصر (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

- المغني عن حمل الأسفار للعراقي (ت: ٨٠٦هـ)، ضمن: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.

- المُنتخل لأبي الفضل عبيدالله بن أحمد الميكالي (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (٢٠٠٠م).

- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعُليمي (ت: ٩٢٨هـ)، ج٤ حقَّقه: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط١ (١٩٩٧م).

- المُؤتلِف والمُختلِف للدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت.



- مؤلَّفــات ابن الجــوزي لعبدالحميد العلَوْجي، نــشر مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ط١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

- نفح الطيب للمَقَّري (ت: ١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- الــوافي بالوفيات للصفــدي (ت: ٧٦٤هـ)، إصدار جمعية المســتشرقين الألمانية، فرانز شتاينر بفيسبادن (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

- الوســاطة بين المُتنبي وخصومه للجرجاني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت.

- وفيات الأعيان لابــن خلِّكان (ت: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحســان عباس، دار صادر.

- يتيمــة الدهر للثعالبــي (ت: ٤٢٩هـ)، طبعة المكتبــة التجارية الكبرى، القاهرة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م).

وتحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، فإنْ أردتُها بيّنتُ.





قائمة المحتويات



❁ ❁ ❁

صدر للمحقِّق عن
دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

١- النبي ﷺ في رمضان. ط٢(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ط٣ (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ط٤ (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م).

وطبعة خاصة عن مراكز الأميرة هيا بنت الحسين الثقافية الإسلامية. أمّا الطبعة الأولى فكانت سنة (٢٠٠٣م) عن دار البحوث.

٢- حقوق الطفل في القرآن. ط١(١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م). ط٢ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).

٣- أدب المتعلم تجاه المعلِّم في تاريخنا العلمي. ط١(١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).

٤- الإمام القرافي وتجربته في الحوار مع الآخر. ط١(١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م).

٥- توضيح قطر الندى للعلامة الأستاذ الشيخ عبد الكريم الدبان التكريتي: عناية وتقديم. ط١ (١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م)، ط٢ (١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م)، ط٣ (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م).

٦- التوقيع عن الله ورسوله . ط١(١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).

٧- موعظة الحبيب وتحفة الخطيب (من خطب النبي ﷺ والخلفاء الراشدين) للعلامة علّي القاري (ت: ١٠١٤هـ): دراسة وتحقيق. ط١(١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).



٨- العناية بطلاب العلم عند علماء المسلمين. ط١ (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

٩- قادة الأمة في رمضان. ط١ (١٤٣١هـ- ٢٠١٠م)، ط٢ (١٤٣٤هـ- ٢٠١٣).

١٠- رعاية الأسرة المسلمة للأبناء: شواهد تطبيقية من تاريخ الأمة. ط١(١٤٣١هـ- ٢٠١٠ م).

* عشر رسائل في التفسير وعلوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ): دراسة وتحقيق، وهي:

١١- رياض الطالبين في شرح الاستعاذة والبسملة.

١٢- الأزهار الفائحة في شرح الفاتحة.

١٣- الكلام على أول سورة الفتح.

١٤- ميزان المعدلة في شأن البسملة.

١٥- المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة.

١٦- اليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى.

١٧- الفوائد البارزة والكامنة في النعم الظاهرة والباطنة.

١٨- المحرر في قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

١٩- إتحاف الوفد بنبأ سورتي الخلع والحفد.

٢٠- الإشارات في شواذ القراءات.

وهذه الرسائل العشر صدرت في مجلدين، ط١(١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ط٢(١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

٢١- الأخبار المروية في سبب وضع العربية للسيوطي: تقديم وتحقيق. ط١ (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

٢٢- الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة للسيوطي: دراسة وتحقيق. ط١ (١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م).

٢٣- وداع رمضان للإمام أبي الفرج ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ): تحقيق وتقديم. ط١ (١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م)، ط٢ (١٤٣٧هـ-٢٠١٦م).

٢٤- قلادة الدر المنثور في ذكر البعث والنشور للإمام الشيخ عبد العزيز بن أحمد الديريني(٦١٢-٦٨٨هـ): تحقيق وتعليق. ط١(١٤٣٢هـ- ٢٠١١م).

٢٥- نداء إلى الآباء والأمهات (مطوية). ط١ (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م).

٢٦- دليلك إلى العمل اليسير والأجر الكبير (مطوية). ط١ (١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م).

٢٧- البارق في قطع السارق للسيوطي: تحقيق ودراسة. ط١ (١٤٣٤هـ- ٢٠١٢م). ط٢ (١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م).

٢٨- الضابطية للشـاطبية اللامية لعلي القاري (ت:١٠١٤هـ): تحقيق. ط١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٢٩- المسألة في البسملة لعلي القاري (ت:١٠١٤هـ): تحقيق. ط١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٣٠- أربعون حديثاً من جوامع الكلم لعـلي القاري (ت:١٠١٤هـ)، عناية. ط١ (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م). (نشر في مجلة الضياء).

٣١- أفكار حول رمضان (مطوية). ط١ (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٣٢- تعظيم الفتيـا للإمام أبي الفرج ابن الجـوزي البغدادي (ت:٥٩٧هـ)، تحقيق. ط١ (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

٣٣- رحـم الله رجلاً (الأعمال التـي دعا النبي ﷺ لعاملهـا بالرحمة). ط١ (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٣٤- جناح اللؤلؤ (كلمات في مكانة الأم). ط١، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٣٥- رسـالة في التفسير على صورة أسئلة وأجوبة للعلامة الشيخ عبد الكريم الدَّبَان: تقديم وعناية. ط٢ (١٤٣٥هـ-٢٠١٣م)، أما الطبعة الأولى فكانت عن دار البحوث بدبي، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٣٦- عمر بن الخطاب والقرآن. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).



٣٧- الوزير ابن هبيرة وخواطره في القرآن. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).

٣٨- القرآن دليلنا. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).

٣٩- التفسير في مجالس التذكير. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).

٤٠- أحباب الله في القرآن. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).

٤١- قادة الأمة في رحاب القرآن. ط٢ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣).

٤٢- التربية القرآنية وأثرها في تنشئة الأجيال. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).

٤٣- التربية القرآنية وأثرها في التنمية البشرية. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).

٤٤- الوقف على القرآن. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م).

٤٥- تكوين مكتبة للأبناء. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).

٤٦- الكتاب بين الإعارة والاستعارة. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).

٤٧- التراث وإشكالية النضج والاحتراق. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).

٤٨- رسالة في علم الصرف للأستاذ الشيخ عبد الكريم الدَّبان التكريتي. عناية. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).

٤٩- تراث التفسير بين المخطوط والمطبوع. ط١ (١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م).

٥٠- وظائف العقل في القرآن. ط١ (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م).



٥١- الإمام الزركشي وكتابه اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة. ط١ (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).

٥٢- قيمة العمر: مختارات شعرية، جمع واختيار. ط١ (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٥٣- ثقافة الرجوع عن الخطأ. ط١ (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٥٤- منجزات علمية في رمضان. ط١ (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٥٥- أوحد النحاة العلامة أحمد بن محمد الحناوي (٧٣٦-٨٤٨هـ). ط١ (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٥٦- خواطر حاجّ (من وحي حج ١٤٣٥هـ). ط١ (١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).

٥٧- المجموعة النفيسة للعلامة الأستاذ الشيخ عبد الكريم الدَّبان التكريتي. عناية. ط١ (١٤٣٧هـ-٢٠١٥م).

٥٨- روضة الناقل ونزهة العاقل للعلامة أبي الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت:٥٩٧). عناية ودراسة. ط١ (١٤٣٨هـ-٢٠١٦م).

٥٩- الخواتيم للإمام أبي الفرج ابن الجوزي البغدادي (ت: ٥٩٧هـ). عناية ودراسة. ط١ (١٤٣٨هـ-٢٠١٧م).

❁ ❁ ❁


هذا الكتاب منشور في


شبكة الألوكة
www.alukah.net

WWW.IACAD.GOV.AE @IACADDUBAI 800600 TEL | هاتف